آثارُ المضمونِ القرآني من خطاب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام
دراسة تحليليّة للخطبة الفدكيّة

الشيخ حيدر العريضي
ماجستير علوم القرآن

مقدمة

يؤلِّف الضد النوعي غالباً أهم أدوات الحرب الناعمة التي يستعملها العدو تمهيداً لغزوه، فمقارعة المجتمع المتديّن لا تكون ناجعة إلا بأسلوب ديني من حوزته، وينبغي التصدي لهذا العدوان بما يماثل أدواته الثقافيّة، ومثله ما جرى من تعدٍّ على حرمة بضعة المصطفى ومهجته، فكانت تلك الظُلامة أول مفرزات الانقلاب العقديّ وما جرى في السقيفة من ارتداد على الأعقاب.

يلحظُ النُقّاد هيمنة المضمون القرآني على نفوس الأدباء؛ بسبب ثراء آياته المباركة بمعانٍ لا تنفد، وسيطرة نُظم أسلوبه الفني المعجز[1]، ولأجله فقد استعملت السيدة الزهراء في خطبتها الكبرى (الفدكيّة) نصّ الآيات القرآنيّة كثيراً، وكان من جملة خطابها القرآني ما استعارته من الفاظٍ قرآنيّة جاءت ضمناً في جدالها مع القوم؛ لغرض تأدية معاني قرآنيّة تفيد لإثبات حقّها الشرعيّ من تركة النبيّ الأكرم وإرثه، وهذا ما ينقض دعوى الحاكم وقتها بأنّه سمع حديثاً نبويّاً يمنعها من الارث المادي[2]. وعند استقراء كلمات الخطبة الفدكيّة يجد المتأمل فيها أنّ مضامين الآيات القرآنيّة قد توزعتْ في استعمالها الجدليّ الى ثلاثة أقسام، فقسمٌ للتذكير والتحذير، وثاني للوعيد والترهيبً، وثالثٌ للتقريع والانكار. اذ جاءت تلك المحاججة في تدرجٍ حكيمٍ يتناسب وكيفيّة الاقناع العقليّ، وإلقاءً للحُجة البالغة.

مما يدلُّ على أنّ القرآن الكريم كان منطقها (عليها السلام) ومنهجها في الحياة، فقد استشهدت بآياته المباركة كثيراً ما بين نصٍّ ومضمون، اذ حمل خطابها القرآني رؤى فكريّة وضعت حداً لتخرصات الجاهليّة، وقد كان للنصُّ القرآني نصيبُهُ من مقالٍ كتبتُه سابقاً بعنوان **(أثر النصّ القرآني في خطاب فاطمة الزهراء)**، واليوم أشرع في اقتناص جملة من المضامين القرآنية المتخللة بين طيات الخطبة الكبرى، ويكون منهجي البحثي هو التحليل لآراء المفسِّرين استنارةً بآرائهم في معرفة دلالة هذا التوظيف للمضمون القرآني.

سوابق بحثيّة

أولا– تمظهرات التناص القرآني في خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الفدكيّة.

د. خليل كاظم غيلان

د. ستار قاسم عبد الله

ثانياً– تداعيات (التناص الواعي) في النص المعصوم

م. د. عماد صالح جوهر.

---

[1] يُنظر: د. خليل كاظم غيلان، تمظهرات التناص القرآني في خطبة السيدة فاطمة الزهراء ع الفدكيّة، مقال، مجلة أدباء ذي قار، العدد ١٦، ق٢، ص٢٥٧.

[2] الفخر الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر البكري، تفسير مفاتيح الغيب، ج٢٤، ص١٨٦.

ثالثا– الاقتباس والتضمين في الخطبة الفدكيّة

م.د. فضيلة عبوسي محسن العامري.

رابعا– الاقتباس القرآني في خطبة الزهراء الفدكية

المؤلف: الشيخ فوزي السيف.

وغيرها الكثير من البحوث النقديّة والعقديّة.

تنويه...

تلافياً للإطالة وتجنباً للتكرار ساورد هنا مصادر الخطبة الفدكيّة...

ابن طيفور، ابو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، ص٢٣ ـ ٢٧.

ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١١.٢٤٩.

العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص ١٤٨.

أتسم الخطاب الفدكي باحتفائه القرآني –نصّا ومضمونا– في جميع مفاصله، فالمضمون القرآني الذي استعملته عليها السلام جاء على ثلاثة مضارب، فضربٌ ورد للتذكير ترغيباً لهم بحسن العاقبة، والثاني جاء لغرض التحذير من سوء العاقبة والوعيد بالعذاب الأليم، وضربٌ ثالث سيقَ تسخيراً لتقريع القوم على ظلمهم إيّاه، وإنكاراً لما جنتْ أيديهم بحقّها، وعليه انقسم البحث على غرار تلك الضروب الى ثلاثة مباحث ساتناولها بالتحليل والتفصيل بعونه تعالى.

المبحث الأول- أثرُ التذكير بالمضمون القرآني في الخطبة الفدكيّة

أنماز سمة أسلوب التذكير بكثرة الاستعمال القرآني في محاورة المخالفين لمبادئه ومعتقداته الحقّة، فقد ورد التأكيد على هذا الأسلوب الحواري في قوله تعالى :(فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى(٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى[١])، فالتذكير يعني: هو الموعظة نصحاً لأجل الترغيب بثواب الآخرة[٢]، وهذا الأسلوب يتماشى مع تحقيق الغاية القصوى لإنزال القرآن الا وهي الهداية لمن يريد النجاة، ويُحرم من منافع ذلك الغرض المعاند اللجوج.

لقد تضّمنتْ خطبة السيدة الزهراء أكثر من سبعة شواهد قرآنيّة استبطنتْ معنى التذكير، وكان أول تلك الشواهد تذكيرهم بضرورة الالتزام بما أمر به اللهُ تعالى، وامتثال ما جاء به النبي الأكرم، والذي لا يصدر عنه من تشريعات الّا وكان مصدرها ربُّ العالمين، كما قال تعالى: ((**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**))[٣]، ومن هذا المنطلق ذكّرتهم السيدة الزهراء بدءً بأهميّة الطاعة لله سبحانه بقولها عليها السلام: "**وأطيعوا الله في ما أمركم به وما نهاكم عنه**"، فالطاعة بعنوانها العريض تشمل الايمان بالعقائد الاسلاميّة الحقّة، ومن بعدها أهميّة يأتي الالتزام بما شرّع الله سبحانه من أحكام فقهيّة واخلاقيّة، وقد تواردتْ آراء المفسرين من أعلام المدرستين مجمعةً على تلك الحقيقة القرآنيّة، والتي صرّحت بها آيات مباركة كقوله تعالى: ((**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ**

[١] سورة الطارق: ٩–١٠

[٢] يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٤٦٦.

[٣] سورة النجم:٣–٤

النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا(٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ))[١] فالمولى سبحانه أمر المسلمين بوجوب تسليم الأمانة الى من يستحقها، كما نهى سبحانه عن الخيانة وسلب الناس حقوقهم ظلماً وعدوانا، والمعني بهذا الخطاب أولاً هم ولاة الأمر من الحكّام على رقاب المسلمين باجماع علماء الاسلام[٢]، والظاهر من أخبار المعصومين عليهم السلام يؤكد هذا المعنى بمسؤوليّة الحكّام في أداء الأمانة من السابق المستحق الى اللاحق المتأهل بما أوصتْ الشريعّة، والعمل وفق الأوامر الالهيّة بالحكم العادل بين الناس، وذيل هذه الصحاح يدلُّ على جريان هذا الأمر في سائر الحكّام[٣].

مما تقدّم من آراء المفسرين يُلتمس معه أنّ القصد من استعمال السيدة الزهراء لهذا المضمون القرآنيّ هو تذكيرهم بحقّها في فدك أولاً، ومن ثمَّ تذكيرهم بعدها أن مستحق الأمانة بمعنى (الحكم) هو بعلها(الامام علي) من دون الناس، فالأمر الذي وجب اطاعته هو أداء الأمانة الشرعيّة التي استودعها النبيّ الأكرم لدى الحكّام وسائر المسلمين، وقد وثّقَ هذه الوديعة الذكرُ الحكيم بقوله تعالى: **((قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى))**[٤] وهي (عليها السلام) أقرب الناس الى رسول الله رحما، ومعه يمكن القول أنّ المقصود من الأمانة هنا هو الزام الحكّام بحفظ حرمة السيدة الزهراء، والنهيّ عن إثارة غضبها بتضييع حقّها في أرض فدك، حيثُ أوصى النبيّ الأكرم بها خيرا حين قال صلى الله عليه وآله: "**فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فمَن أغْضَبَها أغْضَبَنِي**"[٥]، وكان سبب انتفاضتها عليها السلام بإعلان الخطبة الفدكيّة هو قيام الحاكم وقتها بطرد عمال السيدة الزهراء من أرض فدك بالقوة، واصدار حكم مصادرتها لصالح الحكومة، وهو ما أثار غضب السيدة الزهراء بعد حادثة السقيفة حتى ماتتْ عليها السلام وهي غاضبة عليهم وواجدة[٦].

لقد بات واضحاً سبب اختلاف الأمة وكثرة الفتن التي وقعتْ بين المسلمين بعد رحيل المصطفى، فلم تلتزم الأمة بالميثاق والعهد الذي أعطته للامام علي بالبيعة له خليفةً بعد النبيّ الأكرم، بل انقلبت الأمة على أعقابها وتركت ميثاقها وسر وحدتها ّالا القليل ممن وفى بعهده، وتمسك بحبل الله المتين، مما حدى بالسيدة الزهراء استعمال التذكير بفضائل أبيها المختار على سائر المسلمين هو حثّهم على مقابلة الاحسان بمثله، وأن لا يقابلوا تلك الجهود الكبيرة التي بذلها النبي الاكرم بالإساءة لبضعته الطاهرة، ولا يتعرّضوا لنعم الله تعالى عليهم بالجحود والعصيان.

المبحث الثاني- أثرُ التحذير بالمضمون القرآني في الخطبة الفدكيّة

التحذير بالوعيد هو أسلوب حواري يعتمده المتحاجّون في خصومتهم مع المخالفين، والهدف منه رجوع الانسان الى نفسه إعمالاً لعقله في معرفة عاقبة أمره، فالهدفُ من الوعيد هو التخويف زجراً من فعلٍ ما، كتنبيهات القضاة[٧]،

---

١ سورة النساء: ٥٨–٥٩

٢ يُنظر: القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري، الجامه لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٢١؛ وغيره كثير.

٣ يُنظر: الطبطبائي، السيد محمد حسين، تفسير الميزان، ج٤، ص٣٨٥.

٤ سورة الشورى:٢٣

٥ صحيح البخاري، مناقب فاطمة، رقم الحديث :(٣٤٨٣)؛ وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، فضائل فاطمة بنت النبي، رقم الحديث:(٤٤٨٣).

٦ يُنظر: صحيح البخاري –كتاب المغازي– باب غزوة خيبر، ج ٥، ص٨٢ –٨٣.

٧ يُنظر: ابن عبد البر، الاستذكار، ج٢، ص٢٨٩.

ومن شواهده القرآنيّة قوله تعالى: ((**وَأَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**))[1].

إنّ الوعيد هو ما يُقابل الوعد في الحساب والجزاء على الاعمال الاختياريّة، فالوعد هو مقابلة الامتثال بالإحسان، وأمّا الوعيد فهو معاقبة المسيء على ارتكاب ما نُهيَ عنه، فكلٌّ من وجد الثواب فبوعد مولاه، وكل من ذاق العقاب فبوعيده، وهو ما تقتضيه الحكمة عند العقلاء، فالمعارف كلها معقولة بالعقل وواجبة بنظره، وشكر المنعم واجب كوجوب دفع الضرر عن النفس[2].

حينما احسّتْ السيدة الزهراء أنّ القوم قد بلغت بهم قساوة القلب ما يمنعهم من الانتفاع بالتذكير، وحين يأست (عليها السلام) نهضتهم ضد الظالم استجابةً لخطابها الترغيبيّ، عمدتْ (عليها السلام) الى أسلوب التحذير بالوعيد من عقاب الآخرة وسوء المنقلب، فاستعملتْ (عليها السلام) عدداً من المضامين القرآنية مقارب لما استعملته في أسلوبها الترغيبي.

بدأت (عليها السلام) بمضمون قرآنيّ يحذر الناس من اتباع وساوس الشيطان الرجيم، وتبيين سوء عاقبة الاستجابة لنداء إبليس وهتافه، إذ قالت (عليها السلام): "**وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين**"، وهذه الاستجابة تعكس حالة الارتداد عن قيم الاسلام الحنيف ومبادئه العليا، وهذا التحذير مقتبسٌ معناه من قوله تعالى: ((**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**))[3]، فالنهي عن عبادة إبليس يعني الحذر من طاعته، ثُمّ أنّ الانقياد لأمره والطاعة له هي عبادة، ولا بُد من إطاعة من أمرنا الله سبحانه بطاعتهم في قوله تعالى: ((**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**))[4]؛ لأنّ طاعتهم ما كانت الّا بأمر الله عز وجل، فلا تكون إلّا عبادة له وطاعة له عز وجل، وإنما تكون عبادة الأمراء من غير الله عز وجل هو طاعتهم فيما خالف الأمر الآلهيّ، والمائز بين طاعة الشيطان–وهو لا يُرى– من طاعة الرحمن، هو أنّ عبادة الشيطان تكمن في مخالفة أمر الله عز وجل، أو الامتثال لأمر الله عز وجل لا لأنّه أمر به، فأحياناً يتمثّل الشيطان في بشرٍ يأمر وينهى، حينما يصدرَ من شخص أمراً، فلو كان الأمرُ موافقاً لأمر الله عز وجل فهو طاعةٌ له عز وجل، أو كان مخالفاً لأمره عز وجل فذلك الشخص مع الشيطان يأمر الناس بما يأمر إبليس به، فإن أطاعه الانسانُ فقد عبد الشيطان[5].

إذا لابُد أن تكون الاستجابة لصوت الحق المطلق المتمثل بالمعصوم، والذي دعتهم السيدة الزهراء إليه من خلال التحذير من مغبة الاستجابة لصوت غريمه المضاد له في الوسائل والأهداف، وهو ما يُقابل دعوة القرآن الكريم في قوله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**))[6]، فلقد دعاهم قبلاً لحفظ مقام

---

١ المائدة : ٩٢

٢ يُنظر: الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج١، ص٤٢.

٣ سورة يس: ٦٠

٤ النساء : ٥٩

٥ يُنظر: الفخر الرازي، تفسير مفاتح الغيب الكبير، ج٢٦، ص٨٥.

٦ سورة الأنفال: ٢٤

العترة الطاهرة بالامتثال لأوامرهم النابعة من وحي القرآن وهديه، ووجه الحذر من الاستجابة لصوت إبليس وجنده هو ما يتركه من سوءٍ في المنقلب، حيث الخسران المبين وصولاً الى العذاب في جهنّم كما أخبر تعالى في قوله تعالى: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ))[1]، وهذا ما يلحظه كلُّ منصفٍ في وصفِ حال المسلمين حين استجابوا لدعوة أصحاب السقيفة، وتركوا الوصيّ الشرعيّ ولم يتخذوه خليفة، فأصاب الأمة الخمول والضياع حين فقدت حياة الولاء للحقِّ والبراءة من الباطل.

مما ظهر من محاججة يمكن الخروج بزبدة من هذا المطلب، وتتلخص باعتماد السيدة الزهراء أسلوب التحذير، والوعيد ترهيبا بعد أن استنفدت عليها السلام التذكير ترغيبا، حيثُ حشدت عليها السلام جملة من المضامين القرآنيّة في سبيل انقاذ القوم من ورطة إتبّاع الشيطان ووسواسه وأمانيّه لهم، وتبيّن أنّ شياطين الأنس أخطر من غيرهم وأدهى، وبالأخص حين يتلبس هؤلاء بلباس الاسلام وزيّه، فهم من عمد الى انحراف مسيرة الاسلام عن جادة الحقّ، ومن علل الاستجابة لأهل الباطل هو هجر القرآن الكريم وترك العمل بتعاليم وعقائده، فقد تركه لهم رسول الله حبلاً وملاذا يُنجيهم من أباطيل المارقة وزيفهم، لكنهم خلفوه خلف توجهاتهم بدل أن يجعلوه دليلاً لهم، فانذرتهم السيدة الزهراء من سوء عاقبة ترك الثقل الأول، وحذرتهم من خذلان الثقل الثاني ومناكفته، فمن ترك الثقلين أصاب تجارته الخسران الكبير، وكان موقفه يوم القيامة لا يُحسد عليه.

المبحث الثالث- أثر الإنكار بالمضمون القرآني في الخطبة الفدكيّة

يُعد إنكار الباطل والنهيّ عنه لأجل تغييره من أعظم الواجبات الدينيّة، فقد ورد في أهميّة فريضة النهي عن المنكر من الأوصاف العظيمة ما يلزم المرء المسلم الامتثال لأمرها، فتلك الفريضة مقدمة للجهاد في سبيل الله عز وجل، وبها تُقام الحدود على الخوارج، وتكون الأمة بخير وقوة، وبها تُصان الحرمات والحقوق، فهي سبيل الانبياء، وهي نصيرٌ لكُلِّ مظلوم، وفيها الكثير من المنافع[2].

ومعنى الانكار في اللغة: هو الجحود، والمناكرة هي: المحاربة، وناكره أي: قاتله وعاداه، وفي البلاغة يكون الانكار بمعنى: الاستفهام عما ينكره، وحين إنكار ثبوت رأي المقابل، والاستنكار هو استفهامٌ مجازي لإنكار أمرٍ ما، والمنكر من الأمر: خلاف المعروف فهو الباطل[3]. ومن الناحية البلاغيّة يحتل الإنكار مرتبة عالية من الاستعمال في الحوار بين المتخاصمين، ويُصاغ بهيئة استفهام مجازي لا حقيقيّ، وهو ما يُعرف بالاستفهام الإنكاريّ، فحينها يخرج الاستفهام الحقيقيّ عن معنى الطّلب إلى معنى مجازيّ يُفيد استنكار وقوع الخطأ، كأن يقول أحدهم: أتُخون الوطن؟ أتضحي بالشرف؟ ومنه قوله تعالى: ((أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ))[4]، ومن لوازم الاستفهام الإنكاري هذا أن يكون المستفهم عنه باطلاً وغير واقع، أو أن يكون حقٌّ مدّعيه كاذبا[5]. ويحدد علم النفس مفهوم الإنكار في أصله

---

١ سورة فاطر: ٦

٢ يُنظر: عبد العزيز الراجحي، شرح الوصيّة الكبرى لابن تيميّة، ج١٢، ص٣؛ ومحمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج٣، ص١٩٤٣.

٣ يُنظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٣٣.

٤ سورة الصافات: ١٤٩

٥ يُنظر: محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة، ص٢٩٧.

بانّه آليّة عقليّة للدفاع عن فكرةٍ ما، وينطوي هذا الإنكار على رفض حقيقةٍ غير مناسبة للمبادئ الساميّة، وتكون مؤلمة جدًا بحيث يتعذر على الشخص قبولها[1].

بدأت السيدة الزهراء بالإنكار على القوم لتركهم العمل بالقرآن الكريم، فبدل أن يجعلوه إماماً للأمة، وهادياً لها تركوه خلفهم هجراناً لتعاليمه القيّمة، فقد كانت شرعته تعمل على وحدتهم وقوتهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، فباغتتهم السيدة الزهراء بإنكارٍ شديدٍ حين قالت عليها السلام: "**قد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون وبغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلاً**"، فالسؤال الانكاري كان يدور حول استبدال أحكام القرآن الكريم بقول شيطان الأنس وأوامره، وهذا البدل يُورث الندامة كما قال تعالى: ((**لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا**))[2]، الذي استعملته من مضمونٍ قرآنيٍّ هو مستوحى من قوله تعالى: ((**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُم عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**))[3]، فالمولى عز وجل يُنكر هنا على عبادهّ إطاعة إبليس وذريته ممن تبعهُ بالفكر والعقيدة الفاسدة، والتي لا تستحق أصلاً أن تكون بدلاً عن طاعة القرآن الكريم، فالهمزة في (أفتتخذونه؟) هي للإنكار والتعجيب، فعقيب ما عرفوا إبليس عدواً لهم اتخذوه وليّا لهمً بدلاً عن مولاهم الحقّ، وكفروا بنعمة القرآن الكريم وهدايته، فبئس البدل من الله تعالى إبليس لمن ظلم نفسه والأمة بهذا الحكم، فأطاع إبليس بدل طاعة الله عز وجل بعد اتخاذه شريكاً لله عز وجل في العبادة[4]، فالطاعة لإبليس كانت متمثلة بالاستجابة لصوت الارتداد العقدي لدعاة السقيفة، وهي بديل الاستجابة لصوت القرآن الكريم باتخاذ الامام علي وليّاً وخليفةً.

إنّ محور الإنكار الذي وجهته للقوم هو إيثارهم الدنيا الزائلة على حساب زهدهم بالآخرة الباقيّة، فالدنيا إن حصل فيها نعيم فهو زائل لا محالة، وأما عذاب الآخرة إن كان استحقاقاً للإنسان حال كفره وظلمه، فهو يبقى ولا يزول أثره عليه، فما غصبوه من أرضٍ أو خلافة يعتبرونها مُلكاً دنيوياً لم يدم معهم، وبقي عليهم غضب الله سبحانه بسبب غضب السيدة الزهراء (عليها السلام) عليهم مع كلِّ ما تقدم من تحذيرٍ وتذكيرٍ وإنكار.

خلاصة المبحث الأخير الذي تناول أسلوب الإنكار في حوارها مع القوم، فمنهم من تعمدّ ظلمها وغصبَ حقّها، ومنهم من لم يحرك ساكن لنصرتها، ولم ينبس ببنت شفة، فوجهة الانكار تستهدف هجرهم للقرآن الكريم وهو الثقل الأول من تركة النبيّ الأكرم لهم واستبداله بالإصغاء الى صوت الشيطان وجنوده الذين تعمدوا غصب حقّ أهل البيت اقصاءً لهم عن مراتبهم التي خصّهم الله بها، فكان الأجدر بهم أن يخافوا وعيد الله بدل خوفهم من الطاغوت الذي يحكم دولة الاسلام؛ لأنّ أثر الطاغوت وظلمه زائل لا محالة، وأما عذاب الله تعالى فهو خالد لا يزول.

نتيجة البحث

١– استندتْ السيدة الزهراء في جدالها مع القوم بالاقتباس المعنوي لآي القرآن الكريم (التناص)؛ لغرض إيصال مرادها للقوم، ومنه تنطلق لإثبات حقّها المهتضم، مما دلَّ على معرفة السيدة التامة بأسرار القرآن ووحيه، وقد تنوعت

١ يُنظر: روزين جوزيف، فرويد قراءة عصريّة، ص٣٢٥–٣٢٦.

٢ سورة الفرقان: ٢٩

٣ سورة الكهف: ٥٠

٤ يُنظر: جار الله الزمخشري، تفسير الكشّاف، ج٣، ص٥٩٢.

الأساليب الى ثلاثة هي: اسلوب التذكير ترغيبا، وأسلوب التحذير ترهيبا، واسلوب الإنكار والوعيد.

٢– ساد اسلوب التذكير واستبق بقيّة الأساليب الحواريّة، وكان من أهم النعم التي ذكرتهم بها هي نعمة القرآن الكريم، ونعمة الوجود المبارك للنبيّ الأكرم وجهوده في تحريرهم، ونعمة بسالة بعلها الامام علي ومساندته للدعوة الاسلاميّة نصرةً للحق، وتحقيقاً للعيش الآمن بسلام، فالشكر يقتضي حفظ أمانة النبي الأكرم لديهم بإكرام السيدة الزهراء.

٣– لمستْ عليها السلام قساوة القلوب وتخاذل القوم، فعمدت الى أسلوب التحذير من مغبة عنادهم في ظلمها، وتثاقلهم عن نصرتها، وأهم موارد الحذر التي أنذرتهم بها هو الندامة على خذلانها، وإحباط أعمالهم السابقة حتى خسران حرث الاخرة، فختمتْ السيدة الزهراء جدالها مع القوم بأسلوب الإنكار العقلي لسوء اختيار القوم، فبدل أن يختاروا الخشية من الله سبحانه وعذابه، تجدهم خافوا إبليس وذريته من أعوانه وأنصاره، وبدل أن يطيعوا الكتاب العزيز ويحفظوا حدوده، دأبوا على الاستماع لوساوس الشيطان وهمزاته، وبدل أن ينصروا ذرية رسول الله واهل بيته، صاروا سندا للطغاة والمرتدين عن وصايا النبي الخاتم.

٤– استعملتْ السيدة الزهراء مفهوم الكفر بمعنى إنكار ولاية الامام علي عليه السلام، كما اقتبستْ ما حُكي بالقرآن الكريم عن الكافرين في الردِّ على المنافقين، ونسبت عليها السلام صفة الشيطان الى أبالسة زمانها من الذين تعمدوا ظلمها وغصب حقّها. فلا حول ولا قوة الّا بالله العليّ العظيم.

٥– ظهر من البحث الكثير من أوجه التداخل في النُظم الكلامي –لفظا ومعنى– بين خطاب السيدة الزهراء والمضمون القرآنيّ، وهو ما يُعرف بـ(التناص الواعي)، وقد اتسمَّ بالتحليل العميق على مستويات النُظم الظاهر، والمعنى العميق للنصّ.

المولد الفاطمي لا يُنكر ولا يُسرق

م.م. شذى جبار عمران
جامعة واسط/ قسم التخطيط والمتابعة

مقدمة

نستذكر تلك المحاولات التي يقوم بها القوم لسرقة المولد الفاطمي الشريف، ونسبته إلى غيرها لا سيما تلك المرأة الغيورة جداً منها، ومن أمها السيدة خديجة التي توفيت وربما لم ترها في عمرها ولكن كثرة ذكر النبي (ص) لها وثناءه عليها، وترحمه، وبكاءه تأسفاً عليها يجعلها تغار حتى تُسيء لها.

تلك المرأة التي ولدت في الجاهلية القرشية وفي السنة الخامسة قبل البعثة، وربما قبلها، حاولت هي وبنيها ولا سيما بني أختها من أبناء الزبير أن يسرقوا مولد سيدة النساء وينسبوه إليها، ولذا أحببتُ أن أتناول هذه المفردة بهذا المقال القصير في يوم مولدها لندفع شُبهة قد تنطلي على بعض البسطاء من هذه الأمة.

المولد الفاطمي المبارك

أجمع علماء الطائفة المحقة؛ أن مولد سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع) كان في البعثة النبوية الشريفة، وبعد المعراج حتماً، ولذا ذهب الأعم الأغلب منهم إلى السنة الخامسة من البعثة وكان عمر رسول الله (ص) خمس وأربعين سنة كما في روايات الصادقين (ع)، فعن الإمام الصادق (ع) قال: (**ولدت فاطمة في جُمادى الآخرة، اليوم العشرين منها، سنة خمس وأربعين من مولد النبي (صلى الله عليه وآله)، فأقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوما**). (دلائل الإمامة: ١٠)

هذا تحديد من ولدها الإمام جعفر الصادق (ع) فيأتيك أولئك ليأخذوا من عيونهم الكدرة، ويدَّعون أن ولادتها قبل البعثة بخمس سنين، وفي عام بناء الكعبة، وهم شبه مجمعون على هذا الخطأ إلا ما شذَّ وندر ورواه خجلاً أنها ولدت بعد البعثة الشريفة، ولكن لهؤلاء نتساءل هل لهم عقول يفقهون بها، أو أنهم يقرؤون ويروون الأحاديث ولا يفقهونها؟

النطفة الفاطمة من الجنة

ربما أول نقطة تضيرهم هؤلاء أن فاطمة الزهراء (ع) ولدت ونطفتها جاءت من الجنة، وثمارها، وهم يروون الكثير من الروايات الصحيحة في ذلك، فعن عائشة، قالت: قلتُ: يا رسول الله مالكَ إذا جاءت فاطمةُ قبّلتَها حتّى تجعل لسانَك في فيها كلِّه، كأنّك تُريد أن تَلعقها عَسَلاً؟! قال: (نعم يا عائشة؛ إنّي لمّا أُسري بي إلى السماء أدخلَني جبرئيلُ الجنةَ، فناولني منها تفّاحةً، فأكلتُها، فصارت نطفةً في صُلبي، فلمّا نزلتُ واقعتُ خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، وهي حوراء إنسيّة، كلّما اشتقتُ إلى الجنة قبّلتُها). (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ووسيلة المآل، وينابيع المودة، وغيرها)

وكان رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) يُكثر تقبيلَ فاطمة (عليها السلام) فأنكرت ذلك عائشةُ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يا عائشة؛.. فما قبّلتُها قطّ إلاّ وجدتُ رائحةَ شجرة طوبى منها)، فأين كانت التفاحة، وشجرة

طوبى، والجنة قبل البعثة أيها الناس؟ فكيف يستقيم هذا الكلام يا مسلمين إذا كانت الولادة الفاطمية في الجاهلية وقبل البعثة، أو حتى قبل المعراج؟ ألا يكون هذا الكلام باطلاً ولا أساس له؟

فاطمة (ع) حوراء إنسية

كيف يكون لا أساس له وتُضافره الكثير من الروايات التي تؤكد أن فاطمة الزهراء (ع) ليست من أهل الدنيا، بل حوراء إنسية، كما في الرواية المشهورة وربما المتواترة، فعن عائشة قالت: وكانت– أي فاطمة (عليها السلام) – لا تحيض قطّ لأنّها خُلِقت من تفاحةِ الجنّة). (أخبار الأُول وآثار الدُول لأحمد بن يوسف الدمشقي)

وعنها قالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يا حميراء إنّ فاطمة ليست كنساء الآدميّن، ولا تعتلّ كما يعتلِلنَ) (مجمع الزوائد للهيثمي، والدر المنثور لجلال الدين السيوطي) وعنها قالت: لقد وضعتِ (ولدت) الحسنَ بعد العصر وطهرت من نفاسها وصلتِ المغربَ، ولذلك سميت الزهراء)، فأين هذا من نساء الدنيا عدا عن نساء الجاهلية في قريش؟ ودخلت عائشة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقبّل فاطمة، فقلت له: أتحبّها يا رسول الله؟ قال: أما والله لو علمتِ حبّي لها لازددت لها حبّاً، إنّه لما عُرِج بي إلى السماء.. ثمّ تقدّمتُ أمامي فإذا أنا برُطَب ألين من الزَبد وأطيب رائحةً من المسك وأحلى من العَسَل، فأخذت رُطَبَةً فأكلتُها، فتحوّلتْ الرطبة نطفةً في صُلبي، فلمّا أن هبطت إلى الأرض واقعتُ خديجة فحمَلتْ بفاطمة، ففاطمةُ حوراءٌ إنسيّةٌ، فإذا اشتقتُ إلى الجنّة شممتُ رائحةَ فاطمة (عليها السلام). وعن عائشة: قال رسولُ الله (صلى الله عليه وآله): (إذا اشتقتُ إلى الجنّة قَبّلتُ نحرَ فاطمة).

فاطمة (ع) نورانية

من المعروف عند المسلمين قاطبة أن فاطمة الزهراء (ع) خُلقت من نور الله، ومن نورها زهَّرت السماوات وأضاء الكون، ولذا سُمِّيت زهراء، فكانت تُزهر لأمير المؤمنين ثلاث مرات في اليوم وينعكس ذلك النور على أهل السماوات والأرض، ويرى أثر ذلك في المدينة المنورة، فلم يكن يخفى عليهم، كيف وهذه المرأة المعادية الغيورة تقول وتعترف: (كُنّا نخيط، ونغزل، وننظم الأبرة بالليّل في ضوء وجه فاطمة (عليها السلام).

وعن عائشة قالت: كنتُ عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فذكرتُ عليّاً، فقال: (يا عائشة لم يكن قطّ في الدّنيا أحدٌ أحبَّ إلى الله منه، وأحبَّ إليّ منه، ومن زوجته فاطمة ابنتي، ومن ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام). يا عائشة؛ تعلمين أيّ شيء رأيتُ لأبنتي فاطمة ولبعلها؟ قالت: لا، فأخبرْني يا رسول الله؟ قال: يا عائشة إنّ ابنتي سيّدةُ نساء العالمين، وإنّ بعلَها لا يُقاسُ بأحد من النّاس، وإنّ ولديه الحسنَ والحسينَ هما ريحانتاي في الدّنيا والآخرة. يا عائشة أنا وفاطمة والحسنُ والحسينُ وأُبنُ عميّ عليٌّ في غرفةٍ من درّةٍ بيضاء، أساسُها من رحمةِ الله تعالى، وأطرافُها من عفوِ الله تعالى ورضوانِه، وهي تحت عرشِ الله تعالى، وبين عليّ وبين نور الله بابٌ ينظر إلى الله، وينظر الله إليه، وذلك وقتَ يُلجِم الله النّاسَ بالعَرَق، على رأسه تاجٌ قد أضاء نورُه ما بين المشرق والمغرب، وهو يرفُل في حلّتين حمراوين. يا عائشة؛ خُلقتْ ذريّةُ محبّينا من طينةٍ تحت العرش، وخُلِقت ذريّةُ مبغضينا من طينة الخَبال وهي في جهنّم)، فأين يستقيم هذا النور وتلك العظمة لو قلنا أنها ولدت قبل البعثة؟

ودخلت عائشة على أبيها فقالت: يا أبتاه إني رأيتُ من فاطمة أمراً عجيباً (عجباً)، رأيتُها وهي تعمل في القِدر، والقِدر على النار، يغلي وهي تحرِّك ما في القِدر بِيدِها. فقال لها: يا بنتاه أُكتمي هذا الأمر، وإنه لأمرٌ عظيم)، نعم إنه لأمر عظيم عليهم لأنها رأتها مرَّة فأرادا أن يكتما، ولكن رآها سلمان المحمدي، وعمار بن ياسر، والكثير من الصحابة تعمل ذلك، وما هو أعظم من ذلك بل الملائكة وسيدهم جبرائيل كانوا من خدامها في بيتها، فيعملوا لها الأعمال الشاقة الصعبة كالطَّحن، والعجن، والخبز، وغيرها من أعمال البيت.

فاطمة (ع) سيدة نساء العالمين

لهذا كانت فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي سيدة النساء في الدنيا، وسيدة النساء في الجنة، والروايات كثيرة في ذلك، فعن عائشة: (أَسَرَّ– رسول الله (صلى الله عليه وآله)– إليها فقلتُ: ما رأيتُ كاليوم، فَرَحاً أقربَ من حُزنٍ، فسألتُها عمّا قال، فقالتْ: (ما كنتُ لأفشيَ سرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتّى قُبِض النّبيُ (صلى الله عليه وآله) فسألتُها، فقالت: (أسرَّ إليّ أنّ جبرئيل كان يُعارضني القرآنَ كلَّ سنة مرّةً، وأنّه عارَضَني العام مرّتين ولا أراه إلاّ حَضَرَ أجلي وإنّكِ أوّلُ أهلِ بيتي لحوقاً بي، فبكيتُ، فقال: أما ترضينَ أن تكوني سيّدةَ نساء أهل الجنّة، أو نساءِ المؤمنين؟ فضحكتُ لذلك) (صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد وغيرهم كثير).

وعن عائشة، قالت لفاطمة (عليها السلام): ألا أُبشّرك؟ إنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (سيّداتُ نساء أهل الجنّة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم إمراة فرعون) (المستدرك على الصحيحين للحاكم، ومجمع الزوائد للهيثمي، وكنز العمال للمتقي الهندي الحنفي)

وعنها وغيرها عن النّبي (صلى الله عليه وآله)، أنّه قال: (يا فاطمة أبْشري فإنّ الله اصطفاكِ على نساء العالمين، وعلى نساءِ الإسلام، وهو خيرُ دينٍ) (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي). وعنها أن النّبي (صلى الله عليه وآله) قال وهو في مرضه الّذي توفّي فيه: (يا فاطمة ألا ترضينَ أن تكوني سيّدةَ نساء العالمين، وسيّدةَ نساء هذه الأُمّة، وسيّدة نساء المؤمنين) (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري وكنز العمال للمتقي الهندي الحنفي)

فهل يستقيم بعد كل ذلك أن تكون فاطمة قد ولدت قبل البعثة، كما يروون، ولكن بدأت تصدر أصوات منصفة وعاقلة تُنادي بتصحيح هذه الترهات والخرافات التي زرعها إما الإسرائيليون أو الأعداء من الأمويين من أبناء الشجرة الملعونة في القرآن، أو الزبيريون أعداء الله ورسوله، الذين أرادوا أن يصنعوا أسطورة لخالتهم على حساب أهل البيت الأطهار (ع)، ولكن الآن ترتفع بعض الأصوات الصالحة وتُنادي بالإصلاح التاريخي والتصحيح الفكري لهذه المسيرة المشوَّهة للإسلام والمسلمين، ولاسيما من أهل البيت الأطهار (ع).

المصادر والمراجع//

- فاطمة الزهراء (ع) من المهد إلى اللحد؛ السيد كاظم القزويني، ط٢ الغدير ١٣٩٦
- بحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي (١٠٣٧ هـ-١١١١ هـ)
- أعيان الشيعة؛ السيد محسن الأمين العاملي الحسيني (و١٨٦٥ – ت ١٩٥٢)
- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري؛ (١٩٤ هـ – ٢٥٦ هـ)
- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري: (٢٠٦ هـ – ٢٦١ هـ)
- الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري (و ٨٢٨ – ت ٨٨٩)

- وسائل الشيعة، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي (١٦٢٤ – ١٦٩٣)
- المبسوط، أبي جعفر محمد بن الحسن الطّوسي (ت٤٦٠)
- منتهى المطلب، العلامة الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن مُطهّر الحلي، المعروف بالعلامة الحلّي (١٢٥٠ – ١٣٢٥)
- مسند أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٧٨٠ – ٨٥٥ م)

الحصانة الفكرية وأهميتها في حماية المجتمع من الانحراف
خطبة الزهراء "عليها السلام" انموذجاً

م.م الشيخ أحمد ذجر طلاب الجابري
الشؤون الدينية في الأمانة العامة للمزارات الشيعية الشريفة

الكلمات المفتاحية: (الحصانة – الفكرية – المجتمع – الانحراف – الزهراء "ع")

المستخلص:

لاشكَّ أنَّ تأصيل العقيدة في النفوس وتربية الجيل عليها من أسباب تحصينهم من الشرور والفساد، وحماية أفكارهم من القضايا الهدّامة، والآراء الضالّة، والمناهج البعيدة عن الهدى. وإنَّ أول تلك المجتمعات المستهدفة هو المجتمع الإسلامي، في ظل التطور التكنلوجي الكبير وسهولة الوصول الذي أثر تأثيراً كبيراً في فكر الكثير من أفراد المجتمع، فتسبب بإرباك وهزات وانتقالات لا يسلم منها المجتمع، إلا إذا حصن نفسه وفق آليات مدروسة وشعور بالمسؤولية من قبل الجميع. ولاشك أن الزهراء (عليها السلام) كان لها دور في تحصين الفكر الاسلامي من خلال خطبها وأحاديثها وأن هذا البحث تناول الجوانب التي اكدت فيها الزهراء (عليها السلام) على الحصانة الفكرية وأهميتها في حماية المجتمع .

Abstract:

There is no doubt that rooting the faith in the souls and educating the generation on it is one of the reasons for immunizing them from evil and corruption, and protecting their ideas from destructive issues, misguided opinions, and methods that are far from guidance.

The first of these targeted communities is the Islamic community, in light of the great technological development and ease of access, which has greatly affected the thinking of many members of society, causing confusion, tremors and transitions from which the community is not spared, unless it fortifies itself according to studied mechanisms and a sense of responsibility on the part of everyone.

There is no doubt that Al-Zahraa (peace be upon her) had a role in fortifying Islamic thought through her sermons and hadiths, and that this research dealt with the aspects in which Al-Zahraa (peace be upon her) emphasized intellectual immunity and its importance in protecting society.

المقدمة:

لا شك أن أبرز صفات العصر الحديث؛ هو ظهور الاتجاهات والأطروحات الفكرية المتباينة، فلا يكاد يمر على الأمة الإسلامية يوماً حتى يخرج علينا شرقي أو غربي بنظرية أو أطروحة أو مبدأ فكري جديد يريد أن يقنع به عوام الأمة، وخاصة شبابها، وأصبح المسلمون أمام حملة عاتية من الأفكار الغريبة والمستوردة، بعضها يستحق المناقشة والاهتمام، ولكن الأغلب غث رديء له أهداف تدميرية، ويتخذ من شباب الأمة غرضاً لحملته الفكرية على الأمة، وساعدهم في ذلك التقدم التقني الهائل في وسائل الاتصال والإعلام.

ولاشكَّ أنَّ تأصيل العقيدة في النفوس وتربية الجيل عليها من أسباب تحصينهم من الشرور والفساد، وحماية أفكارهم من القضايا الهدّامة، والآراء الضالّة، والمناهج البعيدة عن الهدى.

وإنَّ أول تلك المجتمعات المستهدفة هو المجتمع الإسلامي، ومن يعيش في ظل الدول الإسلامية من ديانات أخرى، في ظل التطور التكنلوجي الكبير وسهولة الوصول الذي أثر تأثيراً كبيراً في فكر الكثير من الافراد، وسبب لهم انزياحاً لا إرادياً عن قيمهم وديانتهم واعرافهم، وبدأ ذلك الانزياح بصراع مرير مع الدين والأعراف والقيم التي عليها المجتمع؛ فتسبب بإرباك وهزات وانتقالات لا يسلم منها المجتمع، إلا إذا حصن نفسه وفق آليات مدروسة وشعور بالمسؤولية من قبل الجميع، ولاشك أن الزهراء (عليها السلام) كان لها دور في تحصين الفكر الاسلامي من خلال خطبها وأحاديثها وأن هذا البحث تناول الجوانب التي اكدت فيها الزهراء (عليها السلام) على الحصانة الفكرية وأهميتها في حماية المجتمع .

أهمية البحث:

تُعد الحصانة الفكرية الركيزة الأساس لحركة سلوك الإنسان وتصرفاته، ويعتبر الاتزان الفكري دليل أهلية الفكر في سلوك الانسان ومن هنا تنبع أهمية الحصانة الفكرية وحمايته.

مشكلة البحث:

يري الباحث أنه لابد من معرفة بعض الأسئلة والمنطلقات التي يجب الرجوع إليها والصدور عنها للولوج في هذا البحث وهي: هل الحصانة الفكرية ضرورة حياتية؟ وماذا يحدث في حالة فقدانها؟ وكيف نستطيع حمايتها وحماية مكتسبات الأمة الإسلامية في أعظم ضروریاتها وحماية لعقيدتها ووجودها وما تتميز به عن غيرها من الأمم؟

منهج البحث:

ولتحقيق المرامي التي يسعى إليها الباحث سيتبع المنهج الوصفي التحليلي من خلال اسلوبي الاستنباط والاستقراء عليه فسيجمع البحث بين الأسلوب الاستنباطي والاستقرائي.

هيكل البحث:

المبحث الأول: تعريف الحصانة الفكرية لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: مفهوم الحصانة الفكرية وعلاقتها بالسلوك.

المبحث الثالث: موارد الحصانة الفكرية.

المبحث الرابع: ضرورة الحصانة الفكرية:

المبحث الخامس: أسباب الانحراف عن الحصانة الفكرية.

المبحث الأول: تعريف الحصانة الفكرية لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الحصانة لغة:

الحصانة مصدر الفعل حصُن، وأصل هذه الكلمة يدل على الحفظ والحياطة والحرز، يقال: حصن المكان يحصن حصانة فهو حصين منُع، وحصن حصين أي منيع، كما يطلق الحاصن والحصان على المرأة المتعففة ومنه قول حسان:

حصانٌ رزانٌ ما تُزنّ بريبة وتصبح غَرثَى من لحوم الغوافل

فالحصانة تدل على المنعة وهي العزّ والقوة التي تمنع الغير من الوصول إلى من اتصف بها بإيذاء أو تنقص[١].

ثانياً: تعريف الحصانة اصطلاحاً:

لم يرد لفظ الحصانة في شئ من النصوص الشرعية ولا في لغة الفقهاء، وإنما الذي ورد مصطلح الإحصان والمحصن والمحصنة. فالإحصان ومشتقاته يطلق على معان منها:

١– الإعفاف عن الزنى وتحصين النفس من الوقوع في الحرام، ومنه قوله – *سبحانه وتعالى* {إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات}[٢] فالمحصنات هنا بمعنى العفيفات.

٢– الزواج كما في قوله – *سبحانه وتعالى* {والمحصنات من النساء}[٣] أي ذوات الأزواج، وقوله تعالى: {فإذا أحصنّ}[٤] أي زوجنّ، ويقال للمرأة محصنة لأنها تستعف بالزوج عن الزنى.

٣– الحرية فقد ورد لفظ المحصنات بمعنى الحرائر كما في قوله تعالى: {فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب}[٥]-[٦].

ثالثاً: تعريف الفكر لغة واصطلاحاً:

(التَّفَكُّرُ) التَّأَمُّلُ وَالِاسْمُ (الْفِكْرُ) وَ (الْفِكْرَةُ) وَالْمَصْدَرُ[٧]. الفِكْرُ، جمع: أفْكارٌ. فَكَرَ فيه وأفْكَرَ وفَكَّرَ وتَفَكَّرَ[٨] فكر: أي نظر ورؤية[٩] والفكر في المصطلح هو: الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، وهو كذلك المعقولات نفسها، اي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري[١٠]. وقيل: الفكر هو حركة النفس نحو المبادئ، والرجوع عنها الى المطالب[١١]. ولابد من الإشارة الى ان السلوك والقيم والاتجاهات التي تتكون عند الانسان لا تتأثر ولا تقوم وتمارس إلاّ بعمل الفكر. ويعد الفكر الركيزة الأساس لحركة سلوك الإنسان وتصرفاته، وسلوك الأفراد يعد ترجمة لما يؤمنون به من أفكار ويتأثرون بها فالسلوك الإنساني يمر بمرحلتين:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة التفكير أو مرحلة الإعداد النفسي للقيام بالسلوك.
المرحلة الثانية: هي مرحلة التنفيذ وذلك بمباشرة النشاط الإرادي الموصل إلى نتيجة أياً ما كانت صورته[١٢].

المبحث الثاني: مفهوم الحصانة الفكرية وعلاقتها بالسلوك.

أولاً: أهمية الحصانة الفكرية:

لم يحظ مفهوم الحصانة الفكرية بتعريف متفق عليه لأنه من المفاهيم الحديثة وهو يعبر عن حصانة الأمة ضد ما يغزو فكرها واعتقادها، من الخارج أو الداخل، وزاد انتشاره أكثر إبان وقوع الأزمات الفكرية والاعتقادية، في سياق مواجهة الأفكار الضالة التي اتسمت بالتطرف في مجال العقيدة أو الفكر الإنساني المعاصر[١٣].

والحصانة الفكرية في الأمة الإسلامية يعني: أن يعيش المسلمون في بلدانهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية، ومنظومتهم الفكرية، المنبثقة من الكتاب والسنة فمتى ما اطمئن المسلمون على خصائص ومميزات فكرهم، وأمنوا عليه من الفكر الدخيل فقد تحققت لهم الحصانة الفكرية[١٤] ويعني حماية عقول أفراد المجتمع من كل

فكر شائب ومعتقد خاطئ يتعارض مع العقيدة والمبادئ والقيم التي يدين بها المجتمع، وبذل الجهود من كل المجتمع من أجل تحقيق الحماية[١٥]. وقد بينت الزهراء (عليها السلام) هذه الأهمية من خلال كلامها حيث قالت: **(فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق، والصِّيامَ تَثْبيتاً للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييداً لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقاً لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزاً لِلإِسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصاصَ حِصْناً لِلدِّماءِ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْريضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْييراً لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ الله الشِّرْكَ إخلاصاً لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، {فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} وَأَطيعُوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّه {إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ})**[١٦].

وتعد الزهراء (عليها السلام) رائدة في التأسيس للإقناع بمضمون العقيدة الإسلامية، وتبيان موقف آل بيت الرسول (عليهم السلام) بعد رحيله، إذ صرحت بأن الأمر بعده إليهم، بتقدير: فرض الله **(وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَةِ)** فكان عرض هذا الفرض هو خلاصة الرد على ما اتُّخذ ودبر من مواقف.

ويلحظ أن الزهراء (عليها السلام) بدأت بالإيمان، وختمت بالنهي عن الشرك، والإخلاص لله بالعبودية، لأهمية ذلك في تزكية النفس، وتنزيه روح الإنسان وفكره وسلوكه. وربطت كل ما تقدم بخشية الله، التي لا تدرك إلا بالعلم، وبالوسيلة إليه.

ثانياً: علاقة الحصانة الفكرية بالانحراف السلوكي:

المعروف في التصرفات الإنسانية أنَّ تغيير العقائد والمفاهيم والمبادئ ينجم عنه تغيير في السلوك على هيئة العقائد والمفاهيم والمبادئ الجديدة، كما يلاحظ أن تغيير السلوك بالممارسات العملية المقترنة بالاستحسان أو الاستمتاع أو إرضاء الغرائز والشهوات، ينجم عنه ولو بعد حين تغيير في العقائد والمفاهيم والمبادئ، ولا يبقى من القديم إلاّ مفاهيم تجريدية عامة مقطوعة الصلة بالسلوك الذي هو الأمر القائم في الممارسة، أو مفاهيم ذات آثار شكلية لا تتعارض مع هذا السلوك.

والسبب في هذه الظاهرة الإنسانية أن الإنسان يحاول ما استطاع أن لا يكون متناقضاً مع نفسه، أي: أن لا يكون سلوكه مناقضاً لمفاهيمه ومبادئه وعقائده، أو أن لا تكون مفاهيمه ومبادئه وعقائده مناقضة لسلوكه. حيث بينت الزهراء (عليها السلام) هذه العلاقة في خطبتها: **(فَلَمَّا اخْتارَ اللّهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ** (الحسيكة: العداوة. قال الجوهري: (الحسك: حسك السعدان، الواحدة: حسكة. وقولهم: في صدره عليّ حسيكة وحساكة أي ضغن وعداوة). وفي بعض الروايات: (حسكة النفاق) فهو على الاستعارة). **وَسَمَلَ جِلْبابُ الدّينِ** (سمل الثوب . كنصر: صار خلقاً. والجلباب بالكسر: الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة، وقيل: هو إزار ورداء، وقيل: هو كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها). **وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ** (الكظوم: السكوت)، **وَنَبَغَ**

خامِلُ الأَقَلِّينَ (نبغ الشيء . كمنع ونصر . أي ظهر، ونبغ الرجل: إذا لم يكن في إرث الشعر ثم قال وأجاد. والخامل: من خفي ذكره وصوته وكان ساقطاً لا نباهة له. والمراد بالأقلين: الأذلون.

وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين (الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته. والفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته على أهله). **فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ** (خطر البعير بذنبه يخطر . بالكسر . خطراً وخطراناً: إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه). **وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ هاتفاً بِكُمْ** (مغرز الرأس، بالكسر: ما يختفى فيه. وقيل: لعل في الكلام تشبيهاً للشيطان بالقنفذ، فإنه إنما يطلع رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل الحريص المقدم على أمر، فإنه يمد عنقه إليه. والهتاف: الصياح. (وألفاكم) أي وجدكم)[١٧].

فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ (الغرة، بالكسر: الاغترار والانخداع. والضمير المجرور راجع إلى الشيطان. وملاحظة الشيء: مراعاته، وأصله من اللحظ وهو النظر بمؤخر العين، وهو إنما يكون عند تعلق القلب بشيء، أي وجدكم الشيطان لشدة قبولكم للانخداع كالذي كان مطمح نظره أن يغتر بأباطيله).

ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً (النهوض: القيام، واستنهضه لأمر أي أمره بالقيام إليه). **وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً** (أحمشت الرجل: أغضبته، وأحمشت النار: ألهبتها. أي حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه، أو من عند أنفسكم. وفي المناقب القديم: (عطافاً) بالعين المهملة والفاء، من العطف بمعنى الميل والشفقة، ولعله أظهر لفظاً ومعنى).

فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ (الوسم: أثر الكي، يقال: وسمته . كوعدته . وسماً). **وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ** (الورود: حضور الماء للشرب، والإيراد: الإحضار. والشرب بالكسر: الحظ من الماء، وهما كنايتان عن أخذ ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وميراث النبوة. وفي الكشف: (وأوردتموها شرباً ليس لكم).

هذا وَالْعَهْدُ قَريبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ (الكلم: الجرح. والرحب بالضم: السعة)، **وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ** (ولما يندمل أي لم يصلح بعد)، **وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ** (قبرته: دفنته)، **ابْتِداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، {أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ}** ((ابتداراً) مفعول له للأفعال السابقة، ويحتمل المصدر بتقدير الفعل. وفي بعض الروايات: (بداراً زعمتم خوف الفتنة) أي ادعيتم وأظهرتم للناس كذباً وخديعة أنّا إنما اجتمعنا في السقيفة دفعاً للفتنة، مع أن الغرض كان غصب الخلافة عن أهلها وهو عين الفتنة. والالتفات في (سقطوا) لموافقة الآية الكريمة).

فعلقت الزهراء (عليها السلام) ظهور النفاق برحيل النبي (صلى الله عليه وآله) فحين اختاره الباري لجواره ظهر النفاق وهذا يعتبر قمة الانحراف في السلوك، من خلال استخدامها خمسة كلمات معبره عن هذا الأمر العظيم وهي: **(وسمل – ونطق – ونبغ – وهدر – فخطر)** ثم أسندت هذه الأفعال الى الشيطان بقولها: **(وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ)**[١٨]. وقد اهتم غزاة الفكر بهذه الناحية، فصاغوا أهدافهم في الغزو الفكري على الاهتمام بأمرين:

الأول: الفكر الذي يمثّل عقائد الأمّة المغزوّة ومفاهيمها ومبادئها.

والثاني: السلوك النفسي والظاهر، الذي هو تعبير حركي عن عقيدة الإنسان ومفاهيمه ومبادئه[١٩].

وقد وجهوا وسائلهم نحو السلوك بإتباع: تزيين السلوك الذي يراد تحويل الأمة المغزوّة إليه عن طريق الفكر، والإقناع بأنه هو السلوك الأفضل والأحسن لحياة الإنسان، وتقبيح السلوك الذي يراد تحويل الأمة المغزوة عنه، عن طريق الفكر والإقناع بأنه سلوك لا يلائم مصلحة الناس، ولا يلائم ما ينفعهم، ولا يحقق لهم سعادتهم[٢٠].

المبحث الثالث- موارد الحصانة الفكرية:

الحصانة الفكرية بناء متين يقوم على أسس راسخة من العبادات القلبية والخطوات العملية والسعي المشترك بين مكونات المجتمع المسلم، وأبرز هذه الأسس:

أولاً: النفحات الإيمانية:

من خلال التعلق باللّه –عز وجل–، والاستعانة والاستعاذة به، وسؤاله الهداية والثبات والممات على دين الإسلام من غير تبديل ولا تغيير، وطلب الفهم والبصيرة عند الملمات والمعضلات، وسؤال الصواب والاستقامة عند ورود المختلفات. إذا اجتمعت هذه كلها، فلاشك أن رحمته سبحانه سابقة لغضبه وعقابه، ومحال أن يتعلق العبد بربه حق التعلق، ويعرض عنه الله –سبحانه وبحمده– كما بينت الزهراء (عليها السلام) في خطبتها هذا الأمر بقولها: **(وقد وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإْخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها** (أي أوضح في الأذهان ما يتعقل من تلك الكلمة بالتفكر في الدلائل والبراهين. ويحتمل إرجاع الضمير إلى القلوب. والفكر بصيغة الجمع، أي أوضح بالتفكر ما يعقلها العقول. وهذا يؤيد الوجه الرابع من وجوه الفقرة السابقة)[٢١].

الْمُمْتَنِعُ مِنَ الأبْصارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ. اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها (احتذى مثاله: اقتدى به. و(امتثلها) أي تبعها ولم يبتعد عنها، أي لم يخلقها على وفق صنع غيره). **كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهاً عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازاً لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ** (الذود والذياد، بالذال المعجمة: السوق والطرد والدفع والإبعاد). **وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ)**[٢٢].

وأيضا أن النفحات الإيمانية تتجسّد من خلال الثقة بمنهج الله ووعده وحكمه وأوامره، واليقين به ومراقبته، والشعور بالمسؤولية عن حفظ الدين من شبهات المغرضين، وعدم خلطه بالباطل، أو لبسه إياه، ومن ثم الصبر على مكائد المنفذين والمسوغين للشبهات، فإنه سبحانه وتعالى يقول: **(وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)**[٢٣].

وأيضاً من خلال التعلُّق بكتاب الله قراءةً وفقهاً وتدبُّراً وعملاً، ولو أقبل الخلق على كتاب الله والانتهاج بنهجه، لأجارهم (سبحانه) من الفتن، فالقرآن شفاء لما في الصدور، ومن يعرض عنه فسيصيبه من العذاب بقدر ابتعاده عنه، فقد بينت الزهراء (عليها السلام) بخطبتها من خلال قولها: **(كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ** (الغبطة أن يتمنى

المرء مثل حال المغبوط من غير أن يريد زوالها منه، تقول: غبطته فاغتبط. والباء للسببية أي أشياعه مغبوطون بسبب اتباعه. وتلك الفقرة غير موجودة في سائر الروايات). **(قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ المَكْتُوبَةُ)**[٢٤].

ثانياً: معرفة الحكم الشرعي:

الحكم الشرعي هو الذي جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) من القرآن والسنة، وبيان الحلال والحرام، والأخلاق والآداب، والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه من العقائد، والمعاملات، ومسائل العلم، قال سبحانه وتعالى: (إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[٢٥].

فقد بينت (عليها السلام) بخطبتها علل معرفة الأحكام الشرعية من خلال قولها: **(فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْقِ، والصِّيامَ تَثْبيتاً للإخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييداً لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقاً لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزاً لِلإسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصاصَ حِصْناً لِلدِّماءِ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْريضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْييراً لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السِّرْقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إخلاصاً لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، {فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} وَأطيعُوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإنَّه {إنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ})**[٢٦].

فالعلم هو النور الذي يسير عليه أهل الإيمان في الدنيا والآخرة، وهو الروح الذي تحيا به القلوب،(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا)[٢٧]، وهو الحياة (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)[٢٨]. والعلم هو البصيرة والطريق المستقيم، وهو الهداية. وتلقي العلم يكون عن العلماء الربانيين، والمتخصصين في هذه العلوم، وإرجاع المسائل المشكلة إليهم؛ ليحلوها ويوضحوا ما أبهم على صاحبها، فلا يستعجل في قبول فكرة أطلقها من لا تعرف هويته ومرجعيته، ولا يأمن فكره، ولا يبقي تلك الشبهة في صدره حتى تعظم، بل ينبغي عليه أن يضبط نفسه بالرجوع للراسخين من أهل العلم؛ فإن الله –تعالى– يقول: **(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**[٢٩].

فقد بينت الزهراء (عليها السلام) بخطبتها هذا الأمر عندما اعترضت على القوم وبينت بوجوب الرجوع الى أهل العلم وهم النبي وآل البيت (عليهم السلام) لأنهم هم أهل الذكر المخصوصين في الآية الكريمة ولا يجوز الرجوع الى غيرهم في الأحكام الإلهية من خلال قولها: **(أَوَ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟)**[٣٠].

ثالثاً: دراسة الفرق والملل:

فالدراسة الواعية والناقدة للأفكار والملل والنحل المغايرة لمنهج أهل البيت (عليهم السلام)، مع الحذر من أهلها، وتمكين العقلية الإسلاميَّة من أدوات الفهم والنظر والمعرفة لرصد الانحرافات الفكرية، ومعالجتها على ضوء الشريعة، ومما يبين أهمية ذلك أن الله –تعالى– فصل لنا وسائل وأساليب وحجج المجرمين، ورد عليها داحضاً لها، فمعرفة وفقه المداخل التي يدخل بها أهل الزيغ والهوى؛ لإقناع من يريدون ضمَّه إليهم، أصل نبه عليه –تعالى– فقال: (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)[٣١].

فقد بينت الزهراء (عليها السلام) بخطبتها هذه المسألة المهمة من خلال قولها: **(وَأَنْتُمْ تزْعُمُونَ ألاّ ارْثَ لَنا، {أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} أفَلا تَعْلَمُونَ؟ بَلى تَجَلّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أنّي ابْنَتُهُ)**[٣٢].

المبحث الرابع- ضرورة الحصانة الفكرية:

لا شكَّ أنَّ الحصانة الفِكرية تُعدُّ حاجةً ضروريةً لا تستقيم الحياة بدون توفرّها، وذلك لعدّة أسباب، منها:

أولًا: أنَّ الحصانة الفِكرية إحدى مكوِّنات الأمن بصفة عامّة، بلْ هيَ أهمّها وأسماها وأساس وجودها واستمرارها، وهي النّعمة التي لا يمكن أن تستقيم الحياة بغيرها، ولذلك امتنَّ الله بهذه النّعمة على كفّار قريش حين قال: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ*الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}[٣٣]، وقال تعالى أيضًا: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ}[٣٤]

وجعل الرسول (صلَّى الله عليه وآله) مَنْ توفر له الأمن كمن حِيزتْ له الدنيا كلَّها، كما بينت الزهراء (عليها السلام) بخطبتها من خلال قولها: **(فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ "صلى الله عليه وآله" ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها** (البهم: جمع بهمة بالضم، وهي مشكلات الأمور)، **وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها** (الغمم: جمع غمة، يقال: أمر غمة، أي مبهم ملتبس، قال الله تعالى: "ثم لا يكن أمركم عليكم غمة")، **وَقامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ** (العماية: الغواية واللجاج، ذكره الفيروز آبادي)، **وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ)**[٣٥].

إنَّ النظر إلى أنَّ الحصانة الفِكرية هي أسمى أنواع الأمن وأساسها، يفيدنا في:

١– أن نوجِّه الأنظار إلى العناية بالفِكر بتوفير كلّ أسباب حمايته واستقامته والمحافظة عليه، وكذلك العمل على رصد ودراسة كلّ ما من شأنه التأثير على سلامة الفِكر واستقامته.

٢– أنْ نعمل على معالجة أسباب اختلال الأمن في المجتمع بشكلٍ متكاملٍ ومترابطٍ من غير فصلٍ بين أنواع الأمن، ولا تفريقٍ بين تلك الأسباب، فالنّظرة الشاملة تجعل المعالجة شاملة ومتكاملة، وهو ما يوفر على الجهات المختصّة بأمن المجتمع الجهود، ويحمي الأُمّة من تَبعات الفصل في المعالجة بين أسباب اختلال الأمن، ويوصل إلى النتائج المثمرة، والغايات المحمودة في أسرع وقت.

٣– أنْ تكون المعالجات الفكرية من واقع الأمة، مستقاة من مصادر فِكرها وعقيدتها، وبناءً على مقتضيات حاجتها بعيدًا عن التقصير والشطط.

ثانيًا: أنَّ الحصانة الفِكرية تتعلّق بالمحافظة على الدّين، فالإسلام هو دين الأمة: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}(٣٣)، وهو كذلك مصدر عزّها وقوتها، وأساس تمكينها في الأرض. فقد بينت الزهراء (عليها السلام) بخطبتها من خلال قولها: **(فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقَامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنْقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّرِيقِ المُستَقيمِ)**(٣٦). فالإسلام الذي يمثله النبي (صلى الله عليه وآله) هو مصدر ثقافة الأمة، ومستند علومها ومعارفها، وهو أساس عُلوها وتميّزها، لذلك كان في الأمن الفِكري الحماية لهذه الأُسس والمرتكزات، والإخلال به إخلال بها، وهو ما يجعل الأُمة عُرضة للزوال، والتأثر بأديان الأمم الأخرى وثقافاتها وأفكارها، وبذلك تفقد سرّ تميّزها، وأساس وجودها وعظمتها.

ثالثًا: أنَّ الحصانة الفِكرية تتعلّق بالعقل، والعقل هو آلة الفِكر، وأداة التأمُّل والتفكُّر، الذي هو أساس استخراج المعارف، وطريق بناء الحضارات، وتحقيق الاستخلاف في الأرض، ولذلك كانت المحافظة على العقل، وحمايته من المفسدات، مقصدًا من مقاصد الشريعة الإسلاميّة، وسلامة العقل لا تتحقق إلّا بالمحافظة عليه من المؤثرات الحسيّة والمعنويّة. فقد بينت الزهراء (عليها السلام) بخطبتها من خلال قولها: **(وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها)** (أي أوضح في الأذهان ما يتعقل من تلك الكلمة بالتفكر في الدلائل والبراهين، والفكر بصيغة الجمع، أي أوضح بالتفكر ما يعقلها العقول)(٣٧).

رابعًا: أنَّ الحصانة الفِكرية غايته استقامة المعتقد، وسلامته من الانحراف، والبُعد عن المنهج الحقّ، ووسطيّة الإسلام، ولذلك فإنَّ الإخلال به يعرّض الإنسان لأن يكون عمله هباءً منثورًا لا ثِقل له في ميزان الإسلام، قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا}(٣٨). فقد بينت الزهراء (عليها السلام) بخطبتها هذه الغاية من خلال قولها: **(فَلَمَّا اخْتارَ اللّهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ)**(٣٩).

المبحث الخامس: أسباب الانحراف عن الحصانة الفكرية.

أسباب الانحرافّ متعددة الأنواع والمتعلّقات، ولكني سأقتصر على ذِكر بعض تلك الأسباب على سبيل الاختصار، فمِن أسباب الانحراف:

أولاً: الجهل:

الجهل هو: "اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه"، وقد يكون بسيطًا "وهو عدم العلم عمَّا مِن شَأنه أنْ يكون عالماً"، وقد يكونُ مركّبًا "وهو عبارة عن اعتقادٍ جازمٍ غير مطابق للواقع." وأيًّا كان نوعُ الجهل فهو شرٌ وبليةٌ، لأنّه يحول بين المرء وبين الاستسلام لله والانقياد له وإقامة دينه على الوجه الذي أراده سبحانه وتعالى. فالإنسان الجاهل

قد يترك مَا أوجبه الله، أَو يأتي مَا حرَّم الله، أو يَفعل المشروع، أو يَترك المنهي عنه على غير الوجه الشرعيّ، ولذلك كان الجهل أَصل الشرّ كلّه. ولا يدفع غَائلة الجَهل وشُروره إلّا العلم من خلال:

١– كتاب الله عز وجل كما بينت الزهراء (عليها السلام) بخطبتها من خلال قولها: **(فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، {بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً} {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ}. ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا الاّ رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَيَسْلَسَ قِيادُها ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ، وَاطْفاءِ أَنْوارِالدِّينِ الْجَلِيِّ)**[٤٠].

٢– سنَّة رسوله (صلَّى الله عليه وآله) كما بينت الزهراء (عليها السلام) بخطبتها من خلال قولها: **(وَاهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ)**[٤١].

ثانيًا: اتّباع الهوى:

"وهو مَيل النّفس وانحرافها نحو المذموم شرعًا". واتّباع الهوى لا يأتي بخير، لأنّه يَصدّ عن الحقّ، "وإنّ الذي يسترسل في اتّباع هواه، لا يُبصر قُبح ما يفعله، ولا يَسمع نهي من ينصحه، وإنّما يقع ذلك لمن يحب أحوال نفسه، ولم يتفقد عليها". لذا كان اتّباع الهوى أَصل كلّ بَلاء، وبِه فَسَد الدّين، لأنّ فساد الدّين يقع بالاعتقاد بالباطل، أو العمل بخلاف الحقّ. وإنّ من آفات الهوى أنّه يجعل الإنسان تبعًا لهواه، فآراؤه العلميّة، وفتاواه الفقهيّة، ومواقفه العمليّة، تَبعٌ لهواه، فيدخل تحت قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}[٤٢].

ثالثاً: الجاهلية والتعصُّب:

التعصُّب هو: "تقديم القول على غيره من الأقوال، واتخاذه حجّة مُلزمة لا تجوز مخالفتها." ولا رَيب أنّ في التّعصُّب لأقوال الرجال وأخذها مأخذ التسليم، دون نظر إلى الدليل الذي بُنيت عليه، خلاف مقصود الشرع، فالله سبحانه يقول: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}[٤٣]، وقال تعالى أيضًا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}[٤٤]. وقد جرَّ التعصُّب في التقليد على الأُمّة الإسلاميّة بلاءً عظيمًا، وجعلها شيعاً وأحزاباً، كل حزبٍ بما لديهم فرحون، وبإمامهم مغتبطون، فافترقت الكلمة، وتشتت الصف، وذهبت القوة، وطمع الأعداء، حتى قالت الزهراء (عليها السلام) عن ذلك: **(وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَلاّ ارْثَ لَنا {أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} أَفَلا تَعْلَمُونَ؟ بَلى تَجَلّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنّي ابْنَتُهُ)**[٤٥].

الخاتمة:

من المسلَّم به أنَّنا نعيش عصراً تعدَّدت وتنوَّعت فيه التّحديات الفِكريّة والمشارب العَقديّة، لهذا جاء هذا البحث للتأكيد على أهميّة دور التّحصين الفكري وتعزيز الحصانة الفِكريّة. وقد سعينا من خلال هذا البحث إلى وضع إطار لاستراتيجية علميّة قابلة للتطبيق، تكفل تطبيقاً للتحصين الفكري، واستقرارًا للحصانة الفِكريّة، من خلال إلقاء الضوء

على (خطبة الزهراء "عليها السلام") وأهمّ المفاهيم المرتبطة بها، مع تبيين طبيعة وخصائص كلٌّ منها، وأهمّ العوامل المؤثِّرة في استقرارها، مستلهمين من الواقع المعاصر للحصانة الفِكريّة.

أهم النتائج:

وقد خلص البحث إلى النتائج التالية:

١– تأصيل الحصانة الفكرية في النّفوس وتربية الجيل عليها من أسباب تحصينهم من الشرور والفساد، وحماية أفكارهم من المذاهب الهدّامة، والآراء الضالّة، والمناهج البعيدة عن الهُدى.

٢– التحصين الفكري يُقصدُ به: البناء الفكري المتين من خلال الفَهم الناضج لمنهاج الله كتابًا وسنَّةً ووقاية الفِكر والعقل عن كلِّ ما يُخلُّ بهما من الآراء الفاسدة المخالفة لمنهج أهل البيت (عليهم السلام) في التّلقي والاستدلال.

٣– الحصانة الفِكريّة هو أن يعيش النّاس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكوِّنات أصالتهم، وثقافتهم النوعيّة، ومنظومتهم الفِكريّة.

٤– اختلال المفاهيم الصحيحة للإسلام، يُسهم بصورة كبيرة في جميع المشاكل والاضطرابات المتعلّقة بالأَمن العام الناتج عن خلل في فهم حقائق الإسلام ومراميه.

٥– لقد بينت الزهراء (عليها السلام) هذه النقاط في خطبتها العالية المضامين التي وضحت أهمية الحصانة الفكرية وضرورتها والموارد التي لابد من تطبيقها وبينت أسباب انحراف المجتمع والبُعد عن المنهج الحقّ.

التوصيات:

١– التوسُّع في دراسة نظريّة الحصانة الفِكريّة في فكر أهل البيت (عليهم السلام) والعمل على إيجاد وصف منهجي دقيق لمفهومٍ شامل للحصانة الفِكرية يحدّ من سُوء الفهم.

٢– تشجيع ودعم البحوث والدِّراسات في مجال الحصانة الفِكريّة، وترسيخ مقوِّماتها.

٣– السعيّ لنشر فكر أهل البيت (عليهم السلام) في حياة الأمم والشعوب عبر عقدُ حلقات نقاش وورش عمل تدريبيّة خاصّة بالطلبة والطالبات في مستويات التعليم المختلفة واعداد وتنفيذ محاضرات وندوات حول موضوع الحصانة الفِكريّة في فكر أهل البيت (عليهم السلام)، وتفعيل دور وسائل الإعلام والوسائط الإلكترونيّة.

٤– التّوظيف الأَمثل لوسائل الإعلام واستثمار وسائل الإعلام الجديدة: وسائل التواصل الاجتماعي: (فيسبوك، واتساب، تويتر، يوتيوب،...) لنشر الفِكر الآمن، والتّحذير من الفِكر المنحرف .

٥– أخيرًا: تأسيس قاعدة معلومات تحوي مختلف مصادر المعلومات حول التعامل مع الفِكر بالفِكر، ووضع آلية للتواصل بين الجامعات ومراكز التدريب والمؤسسات الفِكريّة والعلميّة، ومواقع الشبكة العالميّة.

الهوامش:

١– انظر لسان العرب ١٣/ ١١٩، معجم مقاييس اللغة ٢/ ٦٩، المعجم الوسيط ١/ ١٨٦ مادة (حصن) .

٢– النور: ٢٣.

٣– النساء: ٢٤.

٤– النساء: ٢٥.

٥– النساء: ٢٥.

٦– انظر النظم المستعذب ٢/ ١٣٦،٣١٥، الدر النقي ٣/ ٧٤٦، النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٩٧.

٧– الفيروزآبادي، تحقيق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط٨ – ٢٠٠٥ م، ص(٤٥٨).

٨– لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق– بيروت، ط(٢٨)، ١٩٧٣م، ص(٥٩١).

٩– عبدالرحمن الزبيدي، حقيقة الفكر الإسلامي، دار المسلم، الرياض،ط٢ ١٤٢٢، ص(١٦).

١٠– أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق، عدنان درويش – محمد المصري، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص(٦٩٧).

١١– حيدر ابن عبدالرحمن الحيدر، المديرية العامة للسجون وجهودها لتحقيق الامن الفكري للنزلاء، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الاول للأمن الفكري، ١٤٣٠هـ، جامعة الملك سعود، ص (١٢).

١٢– عبد الرحمن اللويحق، الامن الفكري في ضوء السنة النبوية (دراسة علمية لبناء النظرية الاسلامية للأمن الفكري)، ص(١٠٥)

١٣– عبدالرحمن بت عبدالعزيز السديس، الأمن الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض،ط١ ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

١٤– أمل محمد أحمد عبدالله، مفهوم الأمن الفكري في الإسلام، ص(٤٨).

١٥– عبدالرحمن بن حسن جبنكة، اجنحة المكر الثلاثة، ص(٤٣).

١٦– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٣.

١٧– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٥.

١٨– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٦.

١٩– عبدالرحمن بن حسن جبنكة، اجنحة المكر الثلاثة ص(٤٥).

٢٠– عبدالرحمن بن حسن جبنكة، اجنحة المكر الثلاثة ص(٤٥).

٢١– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٥.

٢٢– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٦.

٢٣– ال عمران: ١٢٠.

٢٤– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٨.

٢٥– النساء: ٥٩.

٢٦– الشورى: ٥٢.

٢٧– الأنعام: ٥٥.

٢٨– الأنبياء: ٧.

٢٩– الأنعام: ٥٥.

٣٠– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٨.

٣١– قريش: ٣–٤.

٣٢– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٩.

٣٣– العنكبوت: ٦٧.

٣٤– آل عمران: ١٩.

٣٥– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١١.

٣٦– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٦.

٣٧– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٧.

٣٨– الفرقان: ٢٣.

٣٩– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٨.

٤٠– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٥.

٤١– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٧.

٤٢– الجاثية: ٢٣.

٤٣– آل عمران: ٣٢.

٤٤– النساء: ٥٩.

٤٥– شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ج ١٦، ص ٢١٨.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١– أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر،ج١. ١٩٧٩م.

٢– أمل محمد أحمد عبدالله، مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، دار النشر، بت.

٣– أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ، محمد المصري، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤– حيدر ابن عبدالرحمن الحيدر، المديرية العامة للسجون وجهودها لتحقيق الامن الفكري للنزلاء، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، جامعة الملك سعود،١٤٣٠هـ.

٥– صلاح حسن احمد، دور الأمن الفكري في تحقيق السلم الاجتماعي، جامعة كركوك، كلية القانون والعلوم السياسية. مجلة العلوم القانونية والسياسية

٦– عبدالرحمن الزبيدي، حقيقة الفكر الإسلامي، دار المسلم، الرياض،ط٢ ،١٤٢٢هـ.

٧– عبدالرحمن عبدالعزيز السديس، الأمن الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض،ط١ ،٢٠٠٥م، الرياض.

٨– عبد الرحمن اللويحق، الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية.

٩– علي بن فائز الجحنيي، رؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف، المجلة العربية للدراسات الامنية، مجلد١٤، العدد٢٧.

١٠– لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣م.

١١– محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م.

١٢– الفيروزآبادي، مجدالدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، القاموس المحيط، الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط٨ ،٢٠٠٥م.

١٣– عبدالرحمن بن حسن جبنكة، اجنحة المكر الثلاثة.

١٤– شرح نهج البلاغة، المؤلف: ابن أبي الحديد، الوفاة: ٦٥٦، المجموعة: مصادر الحديث السنية . القسم العام، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨ – ١٩٥٩م.

شبكة الإنترنت: امل محمد احمد بشير، مقال بعنوان: الامن الفكري في الاسلام واهميته في النظام السياسي، فبراير٢٠١٥م، قسم بحوث ودراسات. موقع شبكة almanalmagazine.com عبد الله العشي، ثقافة العولمة بوصفها خطاباً متطرفاً.

ذكر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في القرآن الكريم

م.م. محمود عبد العباس حمد/ مديرية تربية واسط

م. م. وجدان كريم عياي/ مديرية تربية واسط

(ملخص البحث)

أن للزهراء المكانة العالية والمنزلة الرفعية وممّا لا شك بأنها السر المستودع والعفيفة الطاهرة التي جسدت أعظم القيم الايمانية للمرآة المسلمة كما أنها تمثلت بالقدوة الحسنة والتي يجب على نساء الامة الاقتداء بها والسير على نهجها في المثل الاعلى والقدوة السامية، وقد عاشت السيدة الزهراء حياة صعبة مليئة بالمتاعب والشدائد فهي سيدة نساء العالمين، كما يعد القرآن الكريم هو الدستور الامة وحضارتها وكتابهم المقدس الذي يعتبر الحجة القاطع فقد ذكر ال البيت عليهم السلام في ايات عدة ومنها السيدة الزهراء عليها السلام لذى تضمن البحث ثلاثة عشر فرع في كل فرع ذكر فيه الاية القرآنية واقوال المفسرين والروايات الدالة والمؤكدة على ذكر الزهراء في القران الكريم ومن ثَمَ ان البشرية لم تشهد ولن تشهد الى يوم القيامة أمرأة ذات مقام رفيع عالٍ ، مثل فاطمة الزهراء (عليها السلام) على صغر سنها ، فإذا نظرت اليها (عليها السلام) من جهة النسب ، فأبوها سيد الأنبياء وخاتمهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وامها سيدة نساء زمانها خديجة سلام الله عليها التي بذلت كل ما تملك من أجل الرسالة الغراء التي جاء بها زوجها النبي محمد (ص) ومنحته مكانتها الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية : فاطمة، الزهراء، القرآن.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان، الحمد لله خالق السماوات والارض وجاعل الظلمات والنور، ومُنزل بحمده على عبده الكتاب ولم يجعل به عوجا ليكون للعالمين نذيرا والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وممّا لا شك أن السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي محور الآيات التي ستذكر وأساسها .. لأنّها نزلت في أهل بيت النبوّة ، مع أن حاولوا إدخال البعض من غير أهل البيت في نطاق الأديان، وما يهمّنا الآن هو أنّ الزهراء معنية بهذا الخطاب الإلهي، فالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي أحدى المطهرون المعصومون من كل رجس، **كما** أن النظرة العميقة للآيات تجعلنا لا نشكّ لحظة واحدة في عصمة أهل البيت الذين ذكروا فيها ومنهم فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فهي معصومة مطهّرة من كلّ رجس ظاهراً وباطنا.

ذكر السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام" في القرآن الكريم

إن هناك بعض الآيات الشريفة، في القرآن الكريم، التي تختصّ بفاطمة الزهراء (سلام الله عليها) التي ترتبط بها، تنزيلاً، أو تفسيراً، أو تأويلاً، ومن المصادر التي ذكرت ذلك، ومن كتب أبناء العامة، وكتب الشيعة الإمامية، كالآتي:

أولاً : آية (التَّطهِير)، وهي قوله عزَّ وجلَّ : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهِيراً)[1]:

(1) سورة الأحزاب ، آية (٣٣) .

مما لا شك فيه ان المراد من أهل البيت في هذه الآية الكريمة تشمل رسول الله (ص) وأبنته وأبناءها، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول اللّه (صلّى الله عليه وآله)، إنه قال في هذه الآية: (إنّما نزلت فيّ، وفي أخي، وفي ابنتي، وفي ابنيّ، وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصّة، ليس معنا أحد غيرنا)[1].

وفي رواية ذكرت: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، ثنا إِسْمَاعِيلُ، ثنا شَرِيكٌ، عَنْ عَطَاءٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ، نَزَلَتْ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: ٣٣] فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ: أَلَسْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؟ قَالَ: «بَلَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ» ثُمَّ أَخَذَ ثَوْبًا فَطَرَحَهُ عَلَى فَاطِمَةَ، وَحَسَنٍ، وَحُسَيْنٍ ثُمَّ قَالَ: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: ٣٣][2]

ثانيًا : قوله تعالى: (وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ) [3] :

يقول المفسرون ان رسول الله "صلوات الله عليه" اعطى فدك لأبنته السيدة فاطمة الزهراء " عليها السلام" بعد نزول هذه الآية [4]. فعن أَبِي سعيدٍ قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ} دَعَا رسولُ اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم– فَاطِمَةَ فَأَعْطَاهَا فدك"[5]

ثالثاً : آية (المَوَدَّة)، وهي قوله عزَّ وجلَّ : (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) [6]: المقصود هي القرابة وبالتأكيد فأن مدلول قربى النبي هم ابناءهُ وهي فاطمة الزهراء (ع) . وقد أخرج أبو نعيم والديلمي من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى أن تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم لي،وفيه أخرج ابن المنذر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم قال: علي وفاطمة وولداها[7].

رابعاً : سورة (الكوثر)، قال تعالى:(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوثَرَ *فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ)[8]: المقصود من الكوثر هو الأبناء ، فنهاية السورة المباركة قرينة للمراد في مطلعها ولايمكن تغييره بشيء آخر غير الأبناء ، كما

---

(1) العلامة الشيخ الصدوق ، كمال الدين وتمام النعمة، ج١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٢٦٤.

(2) حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جعفر المدني، إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقي مولاهم، أبو إسحاق المدني – ويكني أيضا: أبا إبراهيم (ت ١٨٠ هـ)، دراسة وتحقيق: عمر بن رفود بن رفيد السّفياني، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى: ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م، ص٤٦٢.

(3) سورة الإسراء ، آية (٢٦).

(4) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٦، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦ ، بيروت–لبنان، ص١٨٤.

(5) مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، شهاب الدين أبو الفضل بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، المحقق: صبري بن عبد الخالق أبو ذر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ٢/٩٠برقم ١٤٧٦.

(6) سورة الشورى ، آية (٢٣).

(7) آية الله السيد محسن الحكيم الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق ، ج١٨،ص٥٢.

(8) سورة الكوثر

ان أسباب نزول الآية تؤكد ذلك ، فيقال انها نزلت في (العاص بن وائل) . اذا كان اذا يذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: دعوه ، فأنه رجل أبتر، لاعقب له، فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله تعالى هذه السورة [١]، ولايخفى أنّ هناك الكثير من الأقوال في المراد من الكوثر في الآية المباركة، من الخير الكثير وكثرة الأولاد والشّفاعة ونهر في الجنة، إلا أنّ صاحب الميزان رجّح كونها دالة على فاطمة (عليها السلام) وذرّيتها (عليهم السلام) حيث قال (رحمه الله): "والجملة لا تخلو من دلالة على أنّ ولد فاطمة (عليها السلام) ذرّيته (صلّى الله عليه وآله)، وهذا في نفسه من ملاحم القرآن الكريم فقد كثّر الله تعالى نسله بعده كثرة لا يعادلهم فيها أيُّ نسل آخر مع ما نزل عليهم من النوائب وأفنى جموعهم من المقاتل الذريعة"[٢]، ويقول الفخر الرّازي، في تفسيره الكبير: "الكوثر أولاده (صلّى الله عليه وآله)؛ لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردّاً على من عابه (صلّى الله عليه وآله) بعدم الأولاد، فالمعنى: أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قُتل من أهل البيت ثم العالَم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به)[٣].

خامساً : آية (الإطعام)، وهي قوله عزَّ وجلَّ :(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً) [٤] :

وقصتها كما في تفسير الكشاف للزمخشري عن ابن عباس: أن الحسن والحسين مَرِضَا، فعادهما رسول الله في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نَذرتَ على ولديك، فَنَذَر عَليٌّ وفاطمةُ وجَارِيَتُهُما فِضَّة إن برءا مما بِهِما أن يَصومُوا ثلاثة أيام، فَشُفِيَا وما معهم شيء، فاستقرض عليٌّ من شَمْعُون الخيبري اليهودي ثلاث أَصْوُعٍ من شعير، فَطحنت فاطمة صاعاً، واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم لِيُفطِرُوا، فَوقَفَ عليهم (مِسكين) وقال: السَّلام عليكم يا أهلَ بيتِ محمدٍ، مِسكينٌ مِن مَساكِين المُسلمين، أطعِمُونِي أطعمكمُ اللهُ من موائد الجنة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً، فلما أمْسَوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم (يَتِيم)، فآثروه، وقف عليهم (أسيرٌ) في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك،فلما أصبحوا أخذَ علي بيد الحسن والحسين، وأقبلوا إلى رسول الله(ص)، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفِرَاخ مِن شِدَّة الجوع قال: مَا أشد مَا يَسُوؤُنِي ما أرى بكم، فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها، فساءه ذلك، فنزل جبرائيل وقال: خذها يا محمد، هَنَّأَكَ اللهُ في أهل بيتك، فَأَقرَأَهُ السورة .وفي هذه السورة ، أي سورة الإنسان، أو سورة هَلْ أَتَى، نكتة رائعة جداً، وقد ذكرها الزمخشري في تفسيره الكشاف، عند تفسيره لهذه السورة قال: "إنَّ الله تعالى قد أنزلَ (هَلْ أَتَى) في أهلِ البيت، وَلَيس شَيءٌ مِن نعيم الجَنَّةِ إلاَّ وَذُكِرَ فيها، إلاَّ (الحُور العِين)، وذلك إجلالاً لفاطمة[٥].

---

(١) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور في تفسير المأثور، ج٨، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت – لبنان، ٢٠١١، ص٦٤٦-٦٤٧.

(٢) آية الله السيد محسن الحكيم الطباطبائي ، المصدر نفسه ، ج٢٠ ، ص٤٢٩.

(٣) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج٣٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا–دمشق ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص١٢٤.

(٤) سورة الإنسان ، الآيتين (٨،٩) .

(٥) أبي القاسم جار الله محمود بن عمرالزمخشري ، تفسير الكشّاف ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط٣، ٢٠٠٩ ، ص١١٦٥.

سادساً : قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (١) :

روى الحافظ الكبير، الحاكم الحسكاني الحذّاء (الحنفي) النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، في كتابه (شواهد التنزيل، لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت): قال: أخبرنا الحاكم الوالد أبو محمد عبد الله بن أحمد (باسناده المذكور) عن أبي بريدة في قول الله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، قال: صراط محمد وآله.وروى هو أيضاً قال: أخبرنا عقيل بن الحسين القسوي (باسناده المذكور) عن سفيان الثوري، عن أسباط ومجاهد، عن ابن عبّاس في قول الله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، قال: يقول: قولوا معاشر العباد اهدنا إلى حبّ النبيّ وآل محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته [٢].

أن مما لا يخفى أن محورأهل البيت هي الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء، ولولاها لم يكن لعليّ زوج تليق بإنجاب الأئمّة الأطهار عليهم الصلاة والسلام، وقد ورد في حديث الكساء الشريف: (هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها) فهي المحور حتّى في الحديث القدسي.

ثامناً : (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (٣) :

روى الحافظ الحنفي سليمان القندوزي بسنده عن أبي جعفر الباقر رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ، قال: فالله جلّ شأنه، وعظم سلطانه، ودام كبريائه، أعزّ وارفع وأقدس من أن يعرض له ظلم، ولكن أدخل ذاته الأقدس فينا أهل البيت، فجعل ظلمنا ظلمه فقال: (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [٤]. وعلى هذا الأساس فإن المفهوم من هذا الحديث الشريف: إنّ من ظلموا فاطمة الزهراء عليها السلام فكأنّهم ظلموا الله (سبحانه وتعالى علواً كبيراً).

تاسعاً : قال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ) (٥) :

روى الحافظ القندوزي (الحنفي) بإسناده عن المفضّل، قال: (سألت جعفر الصادق رضي الله عنه عن قوله عزّ وجل: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) قال: هي الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه. وهو أنه قال: (يا ربّ أسألك بحقّ محمد، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين،ألاّ تبت عليّ) (فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة: ٣٧فقلت له: يا بن رسول الله فما يعني بقوله: (فَأَتَمَّهُنَّ)؟قال: يعني: أتمّهن إلى القائم المهدي اثني عشر إماماً تسعة من الحسين)[٦]. ومعنى هذا الحديث الشريف . والعشرات من أمثاله المرويّة في كثير من المصادر ـ: أنّ فاطمة الزهراء "صلوت الله عليها" كانت إحدى الكلمات الّتي عناها القرآن الحكيم في هذه الأية المباركة، وأوجبت اختيار الله تعالى بهنّ نبيّه العظيم إبراهيم الخليل عليه وعلى نبيّنا وآله الصلاة والسلام.

---

(١) سورة الفاتحة ، آية (٦).

(٢) الحافظ الكبير، الحاكم الحسكاني الحذّاء (الحنفي) النيسابوري ، شواهد التنزيل لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت(ع) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ٢٠١٠ ، ص ٥٧–٥٨.

(٣) سورة البقرة ، آية (٥٧).

(٤) الحافظ الحنفي سليمان القندوزي ، ينابيع المودّة ، ج١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧، ص٣٥٨.

(٥) سورة البقرة ، آية (١٢٤).

(٦) الحافظ الحنفي سليمان القندوزي ، المصدر نفسه ، ص٢٥.

عاشراً : قال تعالى: (مَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [1] :

روى العلاّمة البحراني، عن أبي الحسن الفقيه محمد بن عليّ بن شاذان، في المناقب المائة من طريق العامّة بحذف الاسناد عن ابن عباس قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول "معاشر الناس اعلموا أنّ لله تعالى باباً من دخله أمن من النار، ومن الفزع الأكبر" فقام إليه أبو سعيد الخدري فقال: يا رسول الله اهدنا لهذا الباب حتىّ نعرفه، قال صلى الله عليه وآله: "هو عليّ بن أبي طالب سيّد الوصيّين، وأمير المؤمنين، وأخو رسول ربّ العالمين، وخليفة الله على الناس أجمعين، معاشر الناس من أحبّ أن يتمسّك بالعورة الوثقى الّتي لا انفصال لها فليتمسّك بولاية عليّ بن أبي طالب، فولايته ولايتي، وطاعته طاعتي، معاشر الناس من أحب أن يعرف الحجّة بعدي فليعرف عليّ بن أبي طالب ،معاشر الناس من سرّه ليقتدي بي، فعليه ان يتوالى ولاية عليّ بن أبي طالب والأئمة من ذريتي، فإنّهم خزّان علمي") [2] .

أن فاطمة الزهراء عليها السلام أحبّ أهل بيت النبيّ وذريته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، وهي أمّ الأئمة من ذريته، فيكون ولاؤها كولايتهم، ولاءاً للرسول الأعظم، وتمسّكاً بالعورة الوثقى، وتكون الأية فيها أشارة إلى فضلها ونزل في حقّها سلام الله عليها.

أحد عشر: قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) (٣) :

أخرج علاّمة الحنفية الحافظ سليمان البلخي القندوزي في (ينابيع المودّة) قال: أخرج الثعلبي عن الباقر رضي الله عنه قال: (سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) فقال صلى الله عليه وآله: "هي شجرة في الجنة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنّة"، فقيل له: يا رسول الله سألناك عنها فقلت: هي شجرة في الجنّة أصلها في دار عليّ وفاطمة وفرعها على أهل الجنةّ؟

فقال: صلى الله عليه وآله: "إنّ داري ودار عليّ وفاطمة واحد غداً في مكان واحد، وهي شجرة غرسها الله تعالى وتبارك بيده، ونفخ فيها من روحه، تنبت الحليّ والحلل وإنّ أغصانها لترى من وراء سور الجنّة")[4]. وحيث أن الرسول الكريم "صلى الله عليه وآله" ينص على ان دار فاطمة الزهراء عليها السلام وداره في الجنة، فتكون الآية الكريمة في حقها، وممّا نزل في القرآن الحكيم في فضلها.

إثنا عشر: قال تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ *بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ *فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) [5] :

([1]) سورة البقرة ، آية (٢٥٦).

([2]) السيد هاشم البحراني الموسوي ، غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام ، ج١ ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص٢٤٤.

([3]) سورة الرعد ، آية (٢٩).

([4]) الحافظ الحنفي سليمان القندوزي ، ينابيع المودّة ، مصدر سابق ، ص١٣١.

([5]) سورة الرحمن، الآيات (١٩،٢٠،٢١،٢٢).

روى (الفقيه الشافعي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في تفسيره قال: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى:(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)،قال: علي وفاطمة،(بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ)،قال: النبي صلى الله عليه وسلم: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) ،قال: الحسن والحسين) [١].

ثلاثة عشر : آية (المُبَاهَلَة)، وهي قوله عزَّ وجلَّ: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُلْ تَعَالُوا نَدْعُ أَبنَاءَنَا وَأَبنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُم ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ)[٢]. قال في الكشّاف: (فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبيّن الكاذب منه ومن خصمه، وذلك أمر يختصّ به وبمن يكاذبه، فما معنى ضمّ الأبناء والنّساء؟ قلت: ذلك آكد في الدّلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حين استجرأ على تعريض أعزّته وأفلاذ كبده وأحبّ النّاس إليه ذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتّى هلك خصمه...)[٣] .

الخاتمة

١– تعددت الآيات النازل في حق السيدة فاطمة الزهراء منها آيات المباهلة والتطهير فأن دل على شيء فأن يدل على صدق وطاهرة هذه الصديقة الزكية .

٢– لقد مدح القرآن الكريم أُناساً خلّدهم بآيات تتلى أناء الليل وأطراف النهار، إكباراً لمواقفهم ولِتفانيهم في سبيل الحقّ. وممّن خصّهم الله تعالى بالذكر الجليّ وأشاد بمواقفهم وفضائلهم أهل بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وقد روى المؤرّخون والمفسّرون نزول آيات كثيرة في مدحهم، كما خصّهم بالثناء في سور شتّى تقريراً لسلامة خطّهم واعترافاً بحُسن سَمتِهم ودعوةً للاقتداء بهم، ومن بينهم الزهراء (عليها السلام) كوثر الرسالة.

٣– تتوالى الأيام وتنقضي الدهور وتبقى السيدة الزهراء (عليها السلام) ذلك الكوكب الدري الذي لا يتغير بهاؤه ولا يخفت سناؤه تبقى الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ ، بيروت–لبنان.

٢. أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تفسير الكشّاف ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – ط٣، ٢٠٠٩ ، ص١١٦٥.

٣. إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقي مولاهم، أبو إسحاق المدني – ويكني أيضا: أبا إبراهيم ، حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جعفر المدني، (ت ١٨٠ هـ)، دراسة وتحقيق: عمر بن رفود بن رفيد السّفياني، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى: ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م

٤. الحافظ الحنفي سليمان القندوزي ، ينابيع المودّة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧

---

(١)عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور في تفسير المأثور، ج٦ ، مصدر سابق ، ص١٤٢.

(٢) سورة آل عمران، آية (٦١).

(٣) فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني ، زُبدة التفاسير، ج١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قمّ المقدسة، ١٤٢٣، ص٤٩٧.

٥. الحافظ الكبير، الحاكم الحسكاني الحذّاء (الحنفي) النيسابوري ، شواهد التنزيل لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت(ع) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ٢٠١٠

٦. السيد هاشم البحراني الموسوي ، غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١

٧. شهاب الدين أبو الفضل بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، المحقق: صبري بن عبد الخالق أبو ذر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م

٨. الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن.

٩. عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور في تفسير المأثور، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت – لبنان، ٢٠١١

١٠. العلامة الشيخ الصدوق ، كمال الدين وتمام النعمة ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩١

١١. فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني ، زُبدة التفاسير ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، إيران – قمّ المقدسة ، ١٤٢٣.

١٢. الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا–دمشق ، ط١ ، ١٩٨١

شخصية فاطمة الزهراء "عليها السلام" السماوية

م.م. نجاة نجيب حميد/ مديرية تربية واسط

م. م. وجدان كريم عياي/ مديرية تربية واسط/ الكلية التربوية المفتوحة

(ملخص البحث)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وال الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين حينما تشرق الروح ويزهر الايمان وتتوهج العقيدة يسمو الانسان ويتعالى فأذا اضفت الى ذلك السمات السماوية في كيانه والعنايات الالهية المتجلية فيه صار هذا الانسان عنوان اخر أو اقل مخلوقا اخر لايستطيع الانسان العادي يتوفر على ابعاده وكذلك كانت "فاطمة الزهراء" روحي فداها حوراء انسية فلنتعرف على معالم شخصيتها من لسان ابيها ((صل الله عليه واله وسلم)) وأهل بيتها وابنائها "صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين"

absbracb:

Praise be to God, Lord of the worlds, and may God's prayers be upon him, the pure doctor and physicians, and the perpetual curse upon all of them. When the soul shines, faith blossoms, and belief glows, man transcends and transcends, so he came to that heavenly being in his being and divine, manifested bounties in him. Fatimah al-Zahra, my soul, may I be sacrificed for her, was a human Hawraa.

الكلمات المفتاحية : فاطمة، الزهراء، معالم ، شخصية

المقدمة:-

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان، أن الشخصية السماوية السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام "فوق تصورنا ويعجز عنها وصفنا، امرأة هي في عداد المعصومين امراة تعد محبيها والولاء لها، ولاهل بيتها من فرائض الدين، امرأة يعد غضبها وعدم رضاها غضب الله وعدم رضاه فكيف يمكن ان نستعرض جوانب شخصيتها المعنوية المذهلة في اقوالنا هذه المكانة التي تجلت بها (عليها السلام) للفكر الاسلامي الذي اخذته عن طريق ابيها النبي (ص) زاد من رفعة ومكانة المسلمين الذين تمسكوا بهم وطبقوا تعاليم الاسلام الحنيف.

المعالم السماوية لسيدة النساء العالمين "عليها السلام"

سنتعرف على فاطمة الزهراء "عليها السلام" من لسان الائمة وهذه لقطات عن سيدة النساء وذكرت الكثير من الاحاديث من ائمة المعصومين "عليهم السلام" تبين فيها المعالم الشخصية السماوية لمولاتي سيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام" فقال رسول الله "صلى الله عليه واله وسلم" :عن ملك هبط للأرض "بشرني أن الحسن والحسين سيد شباب اهل الجنة "[١] ،ويقول النبي "صلى الله عليه وسلم": "خير نساء العالمين أربع، مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، فاطمة بنت محمد، وأسية بنت مزاحم"[٢]. وعن الامام موسى بن جعفر "عليه السلام" قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن الله تعالى اختار من النساء اربع ،مريم،أسية ، خديجة، فاطمة"[٣] وعن الامام الرضا "عليه السلام" قال: قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم)" الحسن والحسين خير اهل الارض بعدي وبعد ابيها وامها افضل النساء واهل الارض"[٤]، وعن الامام الرضا "عليه السلام" قال: قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم)" الحسن والحسين خير اهل الارض بعدي وبعد ابيهما وامهما افضل نساء اهل الجنة"[٥]

عن صحيح البخاري وصحيح مسلم من اكثر كتب السنة اعتبارا ومؤلفها من اشهر واكبر علماء السنة نقل عن النبي (صل الله عليه واله وسلم) أنه قال "فاطمة سيدة نساء اهل الجنة"[٦].

وعن المفضل قال: قلت للامام الصادق "عليه السلام" "اخبرني عن قول رسول (صل الله عليه واله وسلم) في فاطمة انها سيدة نساء العالمين اهي سيدة نساء عالمها فقال: ذاك لمريم كانت سيدة نساء عالمها وفاطمة سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين"[٧] وقد سئل الامام الصادق "عليه السلام" عن فاطمة سلام الله عليها لم سميت زهراء؟ فقال "عليه السلام"لانها كانت أذا قامت في محرابها زهر نورها لاهل السماء كما يزهر نور الكواكب لاهل الارض"[٨] وعن الامام الباقر "عليه السلام" قال:بعث رسول الله(صل الله عليه واله وسلم) :سلمان الى فاطمة : قال فوقفت بالباب وقفة حتى سلمت فسمعت فاطمة تقراء القران فناجوا والرحى تدور من برا وماعندها انيس[٩] قال: واخرج الطبراني عن عائشة قالت: قال رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم": "لما أسري بي الى السماء أُدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أرَ في الجنة أحسن منها ولا أبيض ورقاً ولا أطيب ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فإذا أنا اشتقت الى ريح الجنة شممت ريح فاطمة".[١٠]

وروى الملا في سيرته أن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" قال: (أتاني جبريل بتفاحة من الجنة فأكلتها وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فقالت: اني حملت حملاً خفيفاً فإذا خرجت حدثني الذي في بطني)[١١]، وورد في أحاديثنا أنها سلام الله عليها سميت بالمحدَّثة لان الملائكة كانت تحدثها وجبرئيل فيهم من دون المعاينة، ودخل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" على خديجة مرة وهي تحدث فاطمة في بطنها فقال لها: يا خديجة من تحدثين قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني فقال: يا خديجة هذا جبرئيل يبشرني انها أنثى وانها النسلة الطاهرة الميمونة، وان الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه[١٢]، كما روى الحاكم في مستدركه عن علي "عليه السلام": قال سمعت النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يقول: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجاب يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى تمر"[١٣] وروي أنها "عليها السلام" ربما اشتغلت بصلاتها وعبادتها فربما بكي ولدها فرأى المهد يتحرك وكأن ملك يحرّكه.[١٤]

وقد مدحت الكثير من الاحاديث والايات أُناساً خلّدهم بآيات واحاديث تتلى أناء الليل وأطراف النهار، إكباراً لمواقفهم ولِتفانيهم في سبيل الحقّ. وممّن خصّهم الله تعالى بالذكر الجليّ وأشاد بمواقفهم وفضائلهم أهل بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله)، كما خصّهم بالثناء في سور واحاديث وروايات شتّى تقريراً لسلامة خطّهم واعترافاً بحُسن سَمتِهم ودعوةً للاقتداء بهم، ومن بينهم الزهراء (عليها السلام) كوثر الرسالة.

الخاتمة

تبين أن فاطمة الزهراء "عليها السلام" تمثلت من جميع مفاصل الرحمة الالهية لجميع الناس:

١– انها سلام الله عليها سجلت من خلال كلامها مع امير المؤمنين "عليه السلام" حقيقة تاريخية هامة جدا.

٢– أن التاريخ الاسلامي دون لنا الاحداث التي مرت بها الزهراء وعدها من المواقف التي يخلدها ،لنا لتميز بها الطيب من الخبيث من الروايات التاريخية

المصادر والمراجع

١٣. الأمالي المؤلف: الشيخ الطوسي ، الوفاة: ٤٦٠ ، المجموعة: مصادر الحديث الشيعية . القسم العام، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤ ج١، ص٨

١٤. بحار الأنوار، المؤلف : العلم العلامة الحجة فخر، الامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره "، الناشر : مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان ، عدد الأجزاء : ١١٠البحار ، ج٤٣، ٣٦

١٥. كشف الغمة، المؤلف: ابن أبي الفتح الإربلي، الجزء: ١، الوفاة: ٦٩٣، المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة، الطبعة: الثانية ، سنة الطبع: ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م، ج٢، ص٢٤.

١٦. مناقب آل أبي طالب ، المؤلف: ابن شهر آشوب، الجزء: ١، الوفاة: ٥٨٨، المجموعة: مصادر الحديث الشيعية . القسم العام، تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة : لجنة من أساتذة النجف الأشرف

سنة الطبع: ١٣٧٦ – ١٩٥٦،ج٣، .١٠٥

١٧. البحار ، باب ان الرحى يدور الوحدة، مصدر سابق ، ٤٦

١٨. ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى ، المؤلف: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤ هـ) عنيت بنشره: مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي بباب الخلق بحارة الجداوي بدرب سعادة بالقاهرة، دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية، عام النشر: ١٣٥٦ هـ،ج٤٤،

١٩. ينابيع المودة ، سليمان بن ابراهيم للقندوري ، مكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٤هـ–١٩٦٥م.

٢٠. امالي الصدوق ، محمد بن علي بابوية القمي ، الفلسفة الاسلامية، مطبعة حيدرية –النجف ١٩٧٠م ،٤٧٥

٢١. صحيح البخاري، المؤلف: ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة، الطبعة السلطانية، طبعة الاولى عام ١٤٢٢هـ.دار طوق النجاة –بيروت.

Sources and references:–

1. Al–Amali, Author: Sheikh Al–Tusi, Death: 460, Collection: Shiite Hadith Sources – General Section, Investigation: Department of Islamic Studies – Al–Bidaya Foundation, First Edition, Publication Year: 1414 Part 1, p. 8

2. Bihar Al–Anwar, author: Al–Ilm, Allama, Al–Hujjah, Fakhr, the nation, Mawla, Sheikh Muhammad Baqir Al–Majlisi, “May God sanctify his secret”, Publisher: Al–Wafaa Foundation – Beirut – Lebanon, Volumes: 110 Al–Bihar, vol. 43, 36

3. Kashf al–Ghamma, author: Ibn Abi al–Fath al–Irbili, Part: 1, Death: 693, Collection: Sources of the Prophet’s Biography and the Imams, Edition: Second, Publication Year: 1405–1985 AD, Part 2, p. 24.

4. Virtues of the Abi Talib family, author: Ibn Shahr Ashub, Part: 1, Death: 588, Collection: Shiite Hadith Sources – General Section, investigation: correction, explanation and interview: a committee of professors of Najaf Al–Ashraf Publication year: 1376–1956.

5. Springs of Mawaddah, Suleiman Bin Ibrahim Al–Kandouri, Al–Haidariyya Library, Najaf, 1384 AH–1965 AD.

6. Amali Al–Saduq, Muhammad bin Ali Bayoiyah Al–Qummi, Islamic Philosophy, Haidaria Press – Najaf 1970 AD, 475

7. Sahih Al–Bukhari, the author: Abu Abdullah Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al–Mughira, The Royal Edition, first edition in 1422 AH. Dar Touq Al–Najat – Beirut.

8. Springs of Mawaddah, Suleiman Bin Ibrahim Al–Kandouri, Al–Haidariyya Library, Najaf, 1384 AH–1965 AD.

9. Amali Al–Saduq, Muhammad bin Ali Bayoiyah Al–Qummi, Islamic Philosophy, Haidaria Press – Najaf 1970 AD, 475 9. Sahih Al–Bukhari, the author: Abu Abdullah Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al–Mughira, The Royal Edition, first edition in 1422 AH. Dar Touq Al–Najat – Beirut.

فلسفة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطابها الديني

م. م/ حسين سعد حنوف السويراوي – مديرية تربية محافظة واسط
م. م/ محمد هاتف محمد العتبي – مديرية تربية محافظة واسط
الباحث / محمد رحيم ساجت العايدي – مديرية تربية محافظة واسط

الملخص باللغة الانكليزية

It is clear to every researcher in Islamic history that Lady Fatima al-Zahra (peace be upon her) had a presence in history, inseparable from the presence of the Messenger (may God bless him and his family and grant him peace) and Imam Ali (peace be upon him), and after him the imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them). Al-Zahraa, with his favorite daughter, the Messenger and his daughter, in whom God's extreme power was manifested to be a role model for all the women of the worlds. She gave that status her right through her culture in dealing with others, her distinguished dialogue style, and her .clear inferences through her speeches, which were distinguished by her philosophical thought

الملخص باللغة العربية

من الواضح لكل باحث في التاريخ الاسلامي أن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كان لها وجود في التاريخ، ملازم لوجود الرسول ﷺ والامام علي (عليه السلام)، ومن بعده أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فهي بضعة الرسول وابنته التي تجلت فيها قدرة الله البالغة لتكون قدوة لجميع نساء العالمين فقد وهبها الله سبحانه وتعالى من الكمال والعلم والمعرفة منزلة لم تبلغها اي من نساء العالمين من بعدها فهي من اولياء الله سبحانه وتعالى الذين نزلت بحقهم بعض من آيات القران الكريم، وقد اعطت لتلك المنزلة حقها من خلال ثقافتها في التعامل مع الاخرين واسلوب حوارها المميز وفي استدلالاتها الواضحة من خلال خطبها التي انمازت بفكرها الفلسفي.

أولاً: حياتها ونشأتها

لقد فتحت السيدة فاطمة الزهراء عينها في وجه الحياة، وفي وجه أبيها الرسول ترتضع من أمها السيدة خديجة اللبن المزيج بالفضائل والكمال. وكانت تنمو في بيت الوحي نموا متزايداً، وتنبت في مهبط الرسالة نايا حسنا، يزقها أبوها الرسول ﷺ العلوم الإلهية، ويفيض عليها المعارف الربانية، ويعلمها أحسن دروس التوحيد، وأرقى علوم الإيمان وأجمل حقائق الإسلام. ويربيها أفضل تربية وأحسنها، إذ وجد الرسول في ابنته المثالية كامل الاستعداد لقبول العلوم ووعيها، ووجد في نفسها الشريفة الطيبة كل الروحانية والنورانية، والتهيؤ لصعود مدارج الكمال، وإلى جانب هذا شاءت الحكمة الإلهية للسيدة فاطمة الزهراء أن تكون حياتها ممزوجة بالمكاره، مشفوعة بالألم والمآسي منذ صغر سنها، فإنها فتحت عينها في وجه الحياة وإذا بها ترى أباها خائفاً، يحاربه الأقربون والأبعدون ويناوئه الكفار والمشركون.

اشتدت الأزمة وزادت المحنة حتى اضطر الرسول أن يحتمي في شعب أبي طالب، ورافقته عائلته، وآل أبي طالب إلى ذلك المكان، وكانوا يعيشون في جو من الإرهاب والإرعاب، ففي كل ليلة يتوقعون هجوم المشركين عليهم وخاصة بعد أن كتب المشركون الصحيفة القاطعة، وحاصروا بني هاشم حصاراً اقتصادياً فلا يدعونهم يسعون ولا يشترون شيئاً، بل ومنعوا إيصال الطعام إليهم، فاستولى الجوع عليهم، وأثر في الأطفال أكثر وأكثر، فلا عجب إذا كانت أصوات بكاء الأطفال تصل إلى مسامع أهل مكة ، فبين شامت بهم، وبين متألم حزين، وطالت المدة ثلاث

سنين وشهورا[١]، وكانت السيدة فاطمة من الذين شملتهم هذه المأساة، الا ان هذه المآسي أيقظت في السيدة فاطمة الجهاد والاستقامة والمثابرة، وكأنها كانت فترة التمرين والتدريب للمستقبل القريب.

ومما كان يهون الخِطب، ويجبر خاطر السيدة فاطمة الزهراء ويقر عينها أنها كانت ترى البطل الشهم أبا طالب يقف ذلك الموقف المشرف في نصرة أبيها الرسول فكان تارة يحمل سيفه ويرافقه أخوه حمزة ويمشيان خلف الرسول نحو المسجد الحرام ليعلن مؤازرته ومناصرته للرسول، وكأنهما جنديان مسلحان في حالة الإنذار، وربما انضم إلى أبي طالب بعض عبيده ومواليه يمشون خلف الرسول وكأنهم مفرزة عسكرية أو سرية جيش.

وتارة أخرى كان يصرح بتجاوبه وانحيازه إلى الرسول، فكان يعلن إسلامه إظهاراً للحقيقة، فينظم القصائد التي كان لها أحسن أثر في ذلك اليوم في دعم الرسول، ومنها[٢] قوله:

منعنا الرسول رسول المليك ... ببيض تلألأ مثل البروق

أذب وأحمي رسول الإله ... حماية عم عَلَيْهِ شفيق

فاطمة، وما أدراك من فاطمة؟ شخصية إنسان تحمل طابع الأنوثة لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب، فإن الله تعالى خلق محمداً (ﷺ) ليكون آية قدرته في الأنبياء، ثم خلق منه بضعته وابنته فاطمة الزهراء لتكون علامة وآية على قدرة الله في إبداع مخلوق أنثى تكون كتلة من الفضائل، ومجموعة من المواهب فلقد أعطى الله تعالى فاطمة الزهراء أوفر حظ من العظمة، وأوفى نصيب من الجلالة بحيث لا يمكن لأية أنثى أن تبلغ تلك المنزلة، فهي من فصيلة أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض، ونزلت في حقهم آيات محكمات في الذكر الحكيم، تتلى آناء الليل وأطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا، وإلى أن تقوم القيامة . شخصية كلما ازداد البشر نضجاً وفهماً للحقائق، واطلاعاً على الأسرار ظهرت عظمة تلك الشخصية بصورة أوسع، وتجلت معانيها ومزاياها بصور أوضح، إنها فاطمة الزهراء، الله يثني عليها، ويرضى لرضاها ويغضب لغضبها [٣] ورسول الله ينوه بعظمتها وجلالة قدرها، وأمير المؤمنين لا ينظر إليها الا بنظر الإكبار والإعظام، وأئمة أهل البيت ينظرون إليها بنظر التقديس والاحترام.

إذ أن التحدث عن حياة السيدة فاطمة الزهراء يشتمل على حوادث كلها عبر وحكم ودروس، يتعرف الإنسان بها على حياة أولياء الله وخاصته، وكيفية نظرتهم إلى الحياة، ويطلع على جانب من التاريخ الإسلامي المتعلق بحياة السيدة فاطمة الزهراء بالرغم من قصر عمرها، وأنها كانت تعيش في خدرها، لا يطلع أحد على معاشرتها وسلوكها في البيت إلا أسرتها.

التحدث عن عبقرية السيدة فاطمة الزهراء يعتبر تحدثاً عن المرأة في الإسلام من حيث حفظ كرامتها، والاعتراف باحترامها وشخصيتها. ويشمل التحدث نموذجاً عن المرأة بصفتها بنتا في دار أبيها، وزوجة في دار بعلها، ولا يحلو

---

(١) ابن اسحاق، سيرة ابن اسحاق،ص١٥٩–١٦١.

(٢) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢/ص٣١.

(٣) المجلسي، بحار الانوار،ج٤٣،ص٢٠٢.

الكلام –هنا– عن التحدث عن المرأة في الإسلام بصفتها إنسانة يسمح لها بالعمل في الحقل الاجتماعي، لكن في إطار محدود بحدود الدين والعفة، والمدافعة على الشرف والكيان. ويتضح – ضمنا – أن الإسلام لا يحرم المرأة من العلم والثقافة والأدب والمعرفة ولكن مع رعاية الابتعاد عن التبرج والاستهتار والاختلاط، وما شابه ذلك.

ثانياً: جزء من خطبتها ومعانيها الفلسفية

كل ما ذكر جعل من السيدة فاطمة الزهراء لتكون قادرة على فلسفة الاشياء وهذا ما وجدناه في خطبتها التي حملت معاني الفلسفة الإسلامية، أو علل في الشريعة الإسلامية وما هناك من فوائد وأسرار، وحكم في التشريع الإسلامي التي هي للوقاية أكثر مما هي العلاج، وقد قيل: (الوقاية خير من العلاج) وسيتضح ذلك، فقالت عليها السلام: «**فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ**»[1]، ففرض الله الإيمان والآيات الواردة في القرآن الكريم، الأمرة بالإيمان بالله وحده إنما هي الغرض التطهير من أرجاس الشرك بالله، فالشرك بمنزلة المكروبات الضارة، والإيمان تعقيم لها، فالشرك قذارة متعلقة بالأذهان، ملتصقة بالعقول، قد تلوثت بها القلوب، والإيمان تطهير عام لإزالة تلك القذارة.

«**وَالصَّلاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ**»[2]: المقصود من تشريع الصلاة هو القضاء على رذيلة الكبرياء، لأن الصلاة خضوع وخشوع لله وركوع وسجود وتذلل، وأكثر المصابين بداء الكبرياء هم التاركون للصلاة. «**والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق**» : والزكاة تزيداً لكم في الرزق، إنما سميت الزكاة لأنها تزكي الإنسان، فقد اكد قوله تعالى : ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾[3]، وقد جعل الله تعالى البركة والنمو في إعطاء الزكاة، فيأذن الله للأرض أن تجود بيركاتها فيكثر الزرع ويمتلئ الفرع، وتتراكم الخيرات، وتتضاعف الثمار.

«**والصيام تثبيتاً للإخلاص**»: قد يمكن أن يصلي الإنسان قصد الرياء، ولا يمكن أن يصوم ويطوي نهاره جائعاً عطشاناً، ويتحمل المشقة لسبب الإمساك والامتناع عما يشتهي بقصد الرياء، فالصوم من أظهر العبادات الخالصة لوجه الله الكريم.

«**والحَـجَّ تَشْـييداً لِلـدّينِ** » للحج فوائد ومنافع معنوية لا تتحقق بغيره، فالحج عبارة عن عدد كبير من المسلمين من بلاد بعيدة وأقطار عديدة، من شرق الأرض وغربها وعن كل قطر يسكن فيه مسلم يستطيع الحج، في أيام محدودة وأماكن معينه، على هيئات خاصة وكيفيات مخصوصة، فيلتقي بعضهم بعض ويتعرف المسلم الافريقي بالمسلم الاسيوي، ويطلع المسلم الشرقي على أحوال المسلم الغربي وما هناك من فوائد تحصل من تلك اللقاءات أضف إلى ذلك الفؤاد تعود إلى نفس الإنسان الحاج من الخضوع والتذلل لله، والتوبة والاستغفار وغير ذلك مما يطول الكلام بذكره .

«**والعدل تنسيقاً للقلوب**»: اي انه ينسق الطريق الصحيح، لأن تنسيق القلوب وتنظيمها كالنسيج المنتظم

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج،ج١،ص١٤٤.

(٢) ابن عطية، ابهى الامداد،ج١،ص٢٨١.

(٣) التوبة : ١٠٣.

وتنظيمها بالخيط، فلو انقطع الخيط تشتت ذلك النسيج، واختل التنظيم وزال التنسيق. فالعدل الفردي والزوجي والعائلي والاجتماعي والعدل مع الأسرة ومع الناس يكون سبباً لتنظيم القلوب وانسجامها بل واندماجها، وإذا فقد العدل فقد الانسجام، وجاء مكانه التنافر والتباعد والتقاطع، وأخيراً التقاتل. وليست العدالة من خصائص الحكام والولاة والقضاة، بل يجب على كل إنسان أن يسير ويعيش تحت ظلال العدالة اذ ان العداله تعد ابقاء محبة القلوب.

«وطاعتنا نظاماً للملة»[1] : «وطاعتنا» كل أمة إذا أرادت أن تعيش لا بد لها من اختيار نظام حاكم سائد، والنظام كلمة واسعة النطاق، كثيرة المصداق غزيرة المعاني .

فإذا كان النظام صالحاً انتشر الصلاح في العباد والبلاد، وإذا كان النظام قاصداً ظهر الفساد في البر والبحر، والأمة الإسلامية التي تعتبر نفسها في طليعة الأمم الراقية المتحضرة لا بد وأن يكون لها نظام، وإن الله تعالى جعل إطاعة أهل البيت عليهم السلام نظاماً للملة الإسلامية، ومعنى ذلك أن الله جعل القيادة العامة المطلقة العليا، والسلطة لأئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام وهم عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقط، لا كل من يستلم زمام الحكم، أو يجلس على منصة القيادة تجب إطاعته وتنفيذ أوامره، وإنما جعل الله إطاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام نظاماً للمسلمين لأن الله تعالى زودهم بالمواهب ومنحهم الأهلية، وأحاطوا علماً بكل ما ينفع المجتمع ويضره، ومنحهم كل ما يصلح الناس ويفسدهم، وجعلهم الرسول عدل القرآن بقوله: إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي اهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وإنكم لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما.

ولقد سبق أن تحدثت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام عن القرآن وأنه بقية استخلفها عليكم، ثم ذكرت بعض ما يتعلق بعظمة القرآن ، ثم انتقلت إلى ذكر فلسفة الإسلام ثم انتقلت إلى ذكر الثقل الثاني، وهم العترة، وهم أهل البيت، وهم أولو الأمر الذين أوجب الله إطاعتهم على العباد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [2]

يتبين أن المسلمين لو فسحوا المجال من أول وأطاعوهم لكانت الدنيا روحاً وريحاناً وجنة نعيم، وكانت السعادة شاملة لجميع طبقات البشر على مر القرون، وما كانت تحدث المفاسد والمجازر والمذابح على وجه الأرض، وما كانت الأموال تسلب، والأعراض تهتك، والنفوس زهقت ظلماً، وما كان الجهل والأمية والتأخير والتفسخ منتشراً بين الأمة الإسلامية، وما كان في الأرض فقر ولا حرمان، ولا اضطهاد ولا جوع. فالبحث عن القيادة الإسلامية أو الإمامة الصحيحة بحث واسع إلى موسوعة كبرى، وتحليل وتحقيق شاملين كاملين.

«وإمامتنا أماناً من الفرقة»[3] : «لماً للفرقة» إمام على وزن كتاب هو المقتدي، انظر إلى إمام الجماعة كيف يقتدي به المصلون في أفعال الصلاة من قيام إلى ركوع وسجود وهكذا، فهو مقتدى في أفعال محدودة، ولهذا يقال له: إمام صلاة الجماعة، أو إمام الجماعة في الصلاة. والإمامة الكبرى التي هي الخلافة العظمى، منصب سماوي،

(١) المجلسي، بحار الانوار،ج٢٩،ص٢٧١.

(٢) سورة النساء: اية ٥٩ .

(٣) المرعشي، شرح احقاق الحق،ج١٩،ص١٧٨.

ومنزلة تتعين من عند الله تعالى، لأنها تالية للنبوة من حيث العظمة والأهمية، انظر إلى أولياء الله كيف يسألون الله تعالى أن يبلغهم تلك المنزلة الرفيعة والدرجة السامية .

فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام ان يأتيه النداء من عند الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[1] أي المقتدى به في أفعاله وأقواله، وأنه الذي يقوم بتدبير الأمة وسياستها والقيام بأمورها، وتأديب جناتها، وتولية ولاتها، وإقامة الحدود على مستحقيها ومحاربة من يكيدها ويعاديها، وليس المقصود من الإمامة – هنا – النبوة، لأن إبراهيم كان نبياً حينذاك وإنما أضاف الله له الإمامية إلى النبوة.

وإذا أمعنت النظر في قوله تعالى: **(إِنِّي جَاعِلُكَ)** يتضح لك أن تعيين الإمام يجب أن يكون من عند الله، ولا يحق للناس أن يعينوا لأنفسهم إماماً حسب آرائهم الشخصية وهواياتهم الفردية. وإذا تدبرت بقية الآية تتكشف لك حقائق أخرى وهي قوله:﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ أي لما أخبر الله إبراهيم بالإمامة قال إبراهيم: **(وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)** بمعنى اخر ان يكرم اهل بيت النبي ويوشحهم بالإمامة وبهذه الكرامة، قال تعالى: **(قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)** ،أي لا يكون الظالم إماماً للناس، وهذا يدل على عصمة الأئمة، لأن الله سبحانه وتعالى نفي أن ينال عهده (الذي هو الإمامة) ظالم ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره. وإذا تأملت في هذه الآيات البينات يتصح لك أن المناصب السماوية والوظائف الإلهية ينبغي أن تكون من عند الله تعالى وتعيينه وجعله، تدبر في قوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [2]

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[3] . ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾[4].
﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[5]
﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [6] . ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [7] .
﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي ﴾ [8] .

وغيرها من الآيات التي تتجلى فيها كلمة: (جعلنا) (واجعلنا) (وجعلناهم) وما أشبه ذلك، وهنا تقول الزهراء علهم: (وإمامتنا) إنها تقصد إمامة الأئمة الاثني عشر، وشخص زوجها العظيم أبا الأئمة علياً عليه السلام.

« **وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ** »[9] الصبر على المكاره من فقر الى مرض إلى دين إلى سجن إلى مصيبة، يدل على التسليم لإرادة الله تعالى، والتسليم فضيلة سامية ومنزلة عالية يستعين بها الإنسان الصابر على

(١) سورة البقرة : اية ١٢٤ .
(٢) سورة ص : اية ٢٦ .
(٣) سورة الحديد : اية ٢٦ .
(٤) سورة الفرقان : اية ٣٥ .
(٥) سورة الانبياء : اية ٧٣ .
(٦) سورة البقرة : اية ١٢٤.
(٧) سورة الفرقان : اية ٧٤.
(٨) سورة طه: اية ٢٩–٣٠
(٩) ابن عطية، ابهى المداد،ج١،ص٢٨١.

تحصيل الأجر الجزيل، والثواب الأوفى، وبالصبر يتم فعل الطاعات وترك السيئات. «**وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ** »[١] فرض الله الأمر بالمعروف على كل مكلف في حدود القدرة والإمكانية بشروط معينة مذكورة في محلها، ويعتبر نوعاً من الجهاد، ومعنى ذلك أن كل فرد من أفراد المسلمين يعتبر نفسه مسؤولاً عن الدين مرتبطاً به، غير منفصل عنه، وهو تفسير عملي لقوله ﷺ : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) لأن الإسلام لا يؤمن بالاموبالاة والانعزال عن المجتمع لأن الإسلام يعتبر المسلمين أسرة واحدة مترابطة.

« **وَالْقِصاصَ حِقْناً لِلدِّماءِ** »[٢] لا يوجد في سجلات القوانين في العالم كله قانون المحافظة على حياة الناس كقانون القصاص، ولهذا قال تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣]، والعجب أن القضاء على حياة القاتل يعتبر إبقاء وحفظاً لحياة الآخرين، إذ أن الانسان اذا عزم على قتل أحد ظلماً إذا علم أنه سوف يقتص منه ، ويقتل، فإنه بالقطع واليقين سيمتنع من الإقدام على الجريمة، ولكنه إذا علم أن جزاءه السجن، وفي السجن الراحة والأكل والشرب، ورجاء شمول العفو، والتخفيف، أو دفع العوض وما شابه ذلك من الرشوة وشفاعة الشافعين لدى السلطة الحاكمة، فعند ذلك تهون عنده الجريمة، ويستسهل الجناية، ويقدم على إراقة الدماء البريئة ظلماً وعدواناً وتجد السجون في العالم مليئة بالمجرمين المرتكبين لجريمة القتل، وتجد جرائم القتل في التزايد والتكاثر في كل زمان وكل مكان.

«**وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ**»[٤] أوجب الله تعالى على البائع والمشتري أن يراعيا حقوق الناس، وأن لا يبخسا الناس أشياءهم، وأن يعادي الناس بالأمانة والعدالة، لا بالظلم والخيانة وذلك بعدم التلاعب في المكيال الذي يكال به الشيء من طعام وغيره أو الميزان الذي يوزن به الشيء.

« **وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ**»[٥] كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦] وقد كتب الكثير من المسلمين وغيرهم كتباً ومقالات حول أضرار الخمر، والجرائم المتولدة منها، والويلات التي تتكون منها، وتكتفي – هنا – أن تقول: بعد مراجعة معاني الرجس يتضح لك جانب كبير من مضار الخمرة من الناحية الصحية والعقلية والاجتماعية وغير ذلك.

«**وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّغْنَةِ**»[٧] بمعنى اجتناب قذف المحصنات، إن الإسلام هو الدين الذي يحافظ على كرامات الناس، وقد جاء بتعاليمه التي تنافي التعرض لكرامة الانسان، وقد جعل لهذا الفعل عقوبة دنيوية، وعذاباً في الآخرة، إن إسناد الفجور إلى أهل العفة والشرف من رجال أو نساء ليس بالشيء الهين ولا يسمح الإسلام

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج،ج١،ص١٤٤.

(٢) ابن عطية، ابهى المداد،ج١،ص٢٨١.

(٣) سورة البقرة : اية ١٧٩.

(٤) ال سيف، اني فاطمة،ص٨٢.

(٥) المجلسي، بحار الانوار،ج٢٩،ص٢٧١.

(٦) سورة المائدة: اية ٩٠.

(٧) ابن عطية، ابهى المداد،ج١،ص٢٨١.

أن يطلق الإنسان لسانه لهدر كرامة الناس، وهتك أعراضهم ونواميسهم قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]. « **وَتَرْكَ السِّرْقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ**»[2] إن اليد تعتبر ثمينة وغالية ما دامت أمينة عفيفة، فإذا سرقت فقد خانت فأصبحت رخيصة لا كرامة لها، لأنها تجاوزت الحدود.

الخلاصة

كانت السيدة فاطمة الزهراء من النساء اللاتي حضين بالعناية الالهية فوهبها الله من الكمال والعلم والمعرفة ما لم يهبه لاحد من نساء العلمين، وان المراحل الصعبة التي مرت بها السيدة فاطمة الزهراء كانت كفيلة في التأثير على سعة ادركها ومعرفتها لدقائق الامور والحكم عليها وفق فلسفتها الحوارية التي تجلت من خلال خطبها في العديد من المناسبات، وكانت فلسفتها الحوارية هي جزء من موروثها عن ابيها رسول الانسانية وعن بعلها الوصي من بعد الرسالة فكانت من المدافعين عن حقوق المسلمين وعن حقوقها التي سلبت منها من خلال خطبتها الشهير (الفدكية) التي تجلت فيها عظمتها وقدرتها البلاغية وخاصة عندما اتخذت من آيات الكتاب الحكيم حجة لإظهار حقها الذي سلب منها، فلا عجب عندما يظهر ذلك الابداع عند تلك السيدة العظيمة فهي بنت رسول الانسانية (ص) وزوجة علي (عليه السلام) منبع البلاغة.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن عطية، مقاتل ابن عطية،(ت٥٠٥)

١- أبهى المداد في شرح مؤتمر بغداد،ط١، موسسة الاعلمي،(بيروت،١٤٢٣هـ)

- الطبرسي، احمد بن علي،(ت٦٢٠هـ)

٢- الاحتجاج، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان، (النجف،١٩٦٦،١٣٨٦م).

- المجلسي، (ت ١١١١هـ)

٣- بحار الانوار الجامعة ،تحقيق: الشيخ عبد الزهراء العلوي، دار الرضا، (بيروت،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- المرعشي، السيد المرعشي، (ت١٤١١هـ).

٤- شرح احقاق الحق، تحقيق: السيد شهاب الدين، (قم، ١٤٠٦هـ)

- ال سيف، فوزي

٥- اني فاطمة وابي محمد، ط٣،دار المحجبة البيضاء،(د.م، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢).

(١) سورة النور : اية ٤–٥ .

(٢) ابن عطية، ابهى المداد،ج١،ص٢٨١.

الأصول القرآنية للقضايا العبادية ونتائجها الاستشرافية في الخطبة الفدكية لفاطمة الزهراء (عليها السلام)

م.م. منصور نعيم علي/ الكلية التربوية المفتوحة/ واسط

mansournaheem@yahoo.com

م.م. دنيا سلمان زاير/ مدير تربية واسط

btcywzw@gmail.com

المستخلص:

اشتملت خطبة الزهراء (عليها السلام) على مجموعة من المفاهيم والمباحث العلمية التي دفعت عدد من الباحثين إلى دراسة هذه الخطبة المباركة دراسة مستفيضة للجوانب البلاغية والفقهية وغيرها. كما أن المتأمل الفطن لهذه الكلمات النورانية التي انبثقت في ظروف قاسية، وقلبا ممتلئاً شعورا بالظلم، لتصل إلى أسماع سلطة جائرة، غابت عنها بعض الأحكام الفقهية على الرغم من دلالة الدليل العقلي والشرعي عليها، يجد أنها تضمنت دستورا حياتياً اوجز الرسالة المحمدية إيجازا، استطاعت الزهراء (عليها السلام) أن تكشف لكل الأجيال قانونا يضمن لهم سعادة الدنيا وأجر الآخرة، فقد وجدت فيها من اللآلئ ما يحث على العبادة وينظم سلوك الفرد والمجتمع، ويكشف عن استشراف المستقبل على لسان بضعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق معادلات أوحى الله بها إلى نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وترجمتها الزهراء (عليها السلام) بخطبتها الفدكية المشهورة، بناء على سلوكيات مباحة أو مرفوضة وكل منها يُفضي إلى نتيجة معينة.

الكلمات المفتاحية : **فاطمة، الفدكية، استشرافات**.

Abstract

Al-Zahra's sermon (peace be upon her) consisted of a set of concepts and scientific investigations that prompted a number of researchers to study this blessed sermon in an extensive study of the rhetorical, jurisprudential and other aspects.

Likewise, the astute contemplator of these luminous words that emanated in harsh conditions, and a heart filled with a sense of injustice, to reach the ears of an unjust authority, in which some jurisprudential rulings were absent despite the indication of the rational and legal evidence on them, finds that they included a life constitution that summarized the Muhammadan message in brief. (Peace be upon her) to reveal to all generations a law that guarantees them the happiness of this world and the reward of the Hereafter, as she found in it pearls that regulate the behavior of the individual and society, and reveal the foresight of the future on the tongue of B. The Prophet (may God bless him and his family and grant him peace) elaborated on equations that God revealed to his noble Prophet (may God bless him and his family and grant him peace), and al-Zahraa (peace be upon her) translated them in her famous Fadak sermon, based on permissible or unacceptable behaviors, each of which leads to a specific result.

Keywords: Fatima, Fadakia, prospects.

المقدمة

الحمد لله المنان، فاطر السماوات والأرض، مكرم الانسان، باعث الأنبياء والرسل قادة وهداة ورحمة لعباده والصلاة والسلام على خير الأنام حبيب إله العالمين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الطاهرين.

ولدت فاطمة (عليها السلام) في حجر النبوة ومهبط الوحي الأمين، ونشأة في بيوتات العلم، فكانت كتلة من المعارف الإلهية، وقد ظهر ذلك جلياً في خطبها وأقوالها إذ تضمنت لمحات سلوكية وعبادية وابعادها المستقبلية، بناءً على ما سمعته من النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ صح عنها (عليها السلام) قولها: " فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام (وذلاً لأهل الكفر والنفاق)، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله في ما أمركم به وما نهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماءُ"[1].

فإن المتأمل لهذه الكلمات يتلمس منها معانٍ تُنبيء بالمستقبل، إن التزم بها كانت عاقبته خيرا، وإن خالفها كانت عاقبته سوء، وقد ارتبطت هذه النتائج بمقدمات وافعال تفضي إلى ما كشفت عنه الزهراء (عليها السلام). وقد حاولت جاهدا أن أكشف عن هذه الاستشرافات الفدكية في متن هذا البحث المشتمل على مبحثين أحدهما عام، والآخر خاص، وكل مبحث تألف من موضوعات متنوعة.

المبحث الأول: قضايا عبادية لها مصلحة عامة لكل المجتمع :-

لقد حثت السيدة الزهراء (عليها السلام) ، الأمة الانسانية، في الخطبة الفدكية على الالتزام ببعض العبادات التي تؤدي إلى نتائج تفضي بخير الدنيا والآخرة، فكان منها ما هو موجهه للمجتمع الإسلامي بصورة عامة، أي ما كان نفعه يشمل الجميع، وهي:

أولاً:- " طاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً من الفرقة " :

قال تعالى: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ " [2].

أجمع المسلمون على أن هذه الآية المباركة نزلت في علي بن ابي طالب (عليه السلام) فقد نُقل عن مقاتل بن سلمان : أنه لما نزلت هذه الآية المباركة قرأها " النبي– صلى الله عليه وسلم– فقالوا: قد رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء، وجعل الناس يصلون تطوعا بعد المكتوبة. وذلك في صلاة الأولى وخرج النبي– صلى الله عليه وسلم– إلى باب المسجد فإذا هو بمسكين قد خرج من المسجد وهو يحمد الله– عز وجل– فدعاه النبي– صلى الله عليه وسلم–

---

١) بحار الأنوار: ٢٢٣/٢٩.

٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

فقال: هل أعطاك أحد شيئا؟ قال: نعم يا نبي الله. قال: من أعطاك؟ قال: الرجل القائم أعطاني خاتمه: يعني على ابن أبي طالب– رضوان الله عليه– فقال النبي– صلى الله عليه وسلم– على أي حال أعطائه؟ قال: أعطاني وهو راكع. فكبر النبي– صلى الله عليه وسلم– وقال: الحمد لله الذي خص عليا بهذه الكرامة. فأنزل الله– عز وجل–والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا يعني علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– فإن حزب الله هم الغالبون، يعني شيعة الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون فبدأ بعلي بن أبي طالب– رضي الله عنه– قبل المسلمين ثم جعل المسلمين"[١]، وذهب فخر الدين الرازي وغيره إلى مثل قوله[٢].

فكان هذا النص في الخطبة الفدكية للزهراء (عليها السلام): "طاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً من الفرقة " كاشفاً عن موضوع عقدي غاية في الأهمية كان ولا زال سبباً لخلاف المسلمين الأزلي، ألا وهو ولاية أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ إن خلافة علي بن أبي طالب (عليها السلام) للنبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) هي الدستور والضامن لديمومة وحدة المسلمين؛ لأنها رئاسة عامة، وليست خاصة بالشيعة الإمامية دون غيرهم، فهي تعامل الجميع بمبدأ المساواة والعدالة، فإن كل خليفة هو خلف للمُستخلف عنه، وبدل من كل شئ خَلَفَه، وحقيقة الخلافة تعني أن يقوم الخليفةُ مقام المستخلفِ عنه، والقيام بمهامه وواجباته؛ لأنه بدل عنه، لذلك لابد من ان يكون هناك تناسبا خاصا بينهما (الخليفة والمستخلف)، فلا تكون الظلمة خليفة للنور، ولا يكون الجاهل بدلاً عن العالم[٣].

وقال السيد محمد علي الخرسان نقلا عن السيد الخوئي أعلى الله مقامه: "قد تواترت الأحاديث الدالَّة على نصّ الرسول على خلافة عليّ من بعده، وأنّه هو العلم الهادي للأمّة من بعد الرسول، وهو حسب الصفات الَّتي فيه امتداد طبيعي للرسالة المقدّسة، إذ أنّ هذا المنصب العظيم لا يليق إلَّا لمثل عليّ عليه السّلام"[٤]. كما اكدت روايات كثيرة بأن اهل البيت (عليهم السلام) أمان لكل الناس، ومصدر الحكمة، والحبل الممتد بين الله الخالق العظيم وعباده، إذ ورد في المراجعات: "هم أمان أهل الأرض ووسيلتهم إليه"[٥]، وجاء في سفينة البحار: "أن الأئمة (عليهم السلام) أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء"[٦]، فهم (عليهم السلام) امان من الفرقة والتشضي والتناحر التباغض لم اعتقد بولايتهم وعمل بأوامرهم ، ومجلبة للمحبة والتسامح والتراحم والتعاطف.

ثانياً:- الأمر بالمعروف مصلحة للعامة

لقد كان لهذا المعنى توجيهات قرآنية مباركة وأحاديث نبوية شريفة، إذ وصف الله سبحانه الآمرون بالمعروف بأنهم الفائزون، قال تعالى: "ﭐ لى لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى "[٧].

---

١) تفسير مقاتل بن سلمان: ٤٨٥/١، يُنظر: جامع البيان للطبري: ٤٢٥/١٠، بحر العلوم للسمرقندي: ٤٠٠/١.

٢) يُنظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٣٧٨/١٢، وأنوار التنزيل للبيضاوي: ١٣٢/٢، وارشاد العقل السليم لأبي السعود: ٥٢/٣.

٣) يُنظر: منهاج الصالحين، الشيخ وحيد الخراساني: ٢٦٣/١.

٤) محاضرات السيد الخوئي للسيد محمد علي الخرسان: ٤٢.

٥) المراجعات، شرف الدين العاملي: ٩٣،

٦) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي الشاهرودي : ٢٢٤/١.

٧) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

وقد كشفت الزهراء (عليها السلام) عن نظام اجتماعي متكامل قائم على التكافل والتعاون والملاحظة غير المقصودة والتوجيه العام، وتصحيح الأخطاء والانحرافات فور ظهورها في المجتمع الإسلامي، وإشاعة روح تقبل النقد والنصح من الآخر؛ لأنّه نابع من محبة وتعاون، ظهر ذلك جليا في خطبتها بقولها (عليها السلام): "الأمر بالمعروف مصلحة للعامة"

وورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "المؤمن مرآة المؤمن"[١]، أي يجب على المؤمن أن يشخّص العيوب الظاهرة على أخيه المؤمن ليقوم الآخر بتصحيحها وتجنبها، فحينما يتم تشخيص الاخطاء والانحرافات ومعالجتها فور ظهورها يكون ذلك ايسر من التأخر في المعالجات، وينتج عن تلك المعالجات المستمرة مجتمعا مستقيما يقوّم بعضه بعضه، وينمو بداخل كل فرد واعظ ذاتي ومراقب داخلي، عن طريق هذه الكلمات المرصوفة أرادت الزهراء (عليها السلام) أن تساهم في احياء الضمير الشخصي والجماعي، وانتاج مجتمعا دائم المراقبة والتقويم والمعالجة لأي خلل طرأ على سلوكه أو معتقده، ليحمي نفسه بنفسه من كل دخيل وغريب يطرأ على تعاليمه وثقافاته الإسلامية، وبالنتيجة يكون ترك الأمر بالمعروف سبباً لفساد الشعوب وتمزقها وتناحرها وإشاعة الانحلال والمعاصي بين ابناء المجتمع الواحد، وهذا ما يؤثر على نشأة وتوجهات الأجيال المتعاقبة، وهذا ما اشارة إليه الزهراء (عليها السلام) وما حذرت من حصوله في المستقبل.

ثالثاً:- القصاص حقناً للدماء

ذكر الله سبحانه في كتابه الكريم قوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ "[٢]، فلا يتحقق الأمن والأمان إلا بالقصاص العادل من القاتل، وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكد هذا المعنى أيضا بقوله تعالى: "لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[٣]، إذ جعل الله سبحانه القصاص كالحاجز الذي يحجز بعض الخلق عن بعض، فمن كان فكر بالقتل حينما يتذكر القصاص لمنعه من فعله خوفا القتل[٤] وقال الطبري: "لكن الله حَجز بالقصاص بعضهم عن بعض"[٥].

وقد ذكّرت فاطمة الزهراء (عليها السلام) الشعوب بكيفية عيش حياة آمنة لأهل القاتل وعياله وعشيرته بُعيد قتله لشخص آخر، والحفاظ على ارواح متعلقيه بقولها (عليها السلام): "فجعل الله...القصاص حقناً للدماء"، لأن الإنسان حينما يشعر بالظلم وعدم الإنصاف يحاول أن يأخذ حقوقه بنفسه، فيكون طلبه لحقه مدعاة لظلم غيره، طلب الحقوق من دون وجه حق سيكون سببا لإشاعة الفوضى والقتل والرعب والتشريد في المجتمع، ولو تقيّد المسلمون بالحكم الاسلامي وهو القصاص من القاتل أو الدية لعم الأمن والأمان بين ابناء المجتمع ولم يُعاقب شخص بجريرة غيره،

---

١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٧٠/٧١

٢) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

٣) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

٤) يُنظر: تفسير مقاتل: ١٥٩/١.

٥) جامع البيان، للطبري: ٣٨٢/٣.

كما يحدث الآن في بعض المجتمعات العشائرية إذ تقتل أكثر من إنسان ثأرا لمقتول واحد، أو تبيد قبيلة وتهجرها بسبب قتلهم لشخص من قبيلتهم، وهو ما حذرت (عليها السلام) من حدوثه إذا ما تركوا المسلمين الاحتكام إلى شريعة ابيها (صلى الله عليه وآله وسلم).

المبحث الثاني: قضايا عبادية ذات مصلحة فردية :-

استهدفت الزهراء (عليها السلام) الفرد المسلم لا بوصفه مسلماً، بل بوصفه انسان، لتجعل من هذا الإنسان الغافل، إنساناً نافعاً، فطناً، حريصاً، منتجاً، مؤثراً بمن حوله، لذلك كان جملة من خطبتها الفدكية موجه لذلك الإنسان ليقوّم سلوكه وينظم حياته، وتخبره بنتائج مقدماته.

أولاً:- الصلاة تنزيها عن الكبر:

قال تعالى: " يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ " [١] .

من جملة ما اشتملت عليه الخطبة الفدكية من توجيهات وسلوكيات واستشرافات هو الحث على الصلاة بقولها (عليه السلام): "الصلاة تنزيها عن الكبر" لكن قولها ذلك، لا لكونها أمراً عبادياً أمرنا الله به فحسب، أو كونها فرض على كل مسلم ومسلمة بدلالة قوله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: " أآ نز نم نن ىن ني ىٰ ير ّ "[٢]، بل لكونها متعلقة بمخرجات ونتائج تنعكس على الفرد والمجتمع، وإن الصلاة تنهى عن التكبر، لأن " إظهار التكبر والتحلي من المعاصي"[٣] إذ إن هذه العبادة الحركية متغذي المسلم بقوة روحية تحفز بداخله طاقة خفية تجعل منه يتصاغر ويتذلل للخالق العظيم، ليجعل من نفسه اداة لمرضاته سبحانه، فينقاد لأوامره وينتهي بنواهيه، وهذا ما يغرس بداخله روح الرحمة والشفقة والمحبة لغيره، وهو ما أكدته الآيات المباركات والاحاديث الشريفة، قال تعالى: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا"[٤]. أي: بينهم المودة[٥]، أذلة على المؤمنين[٦]، وقال الزمخشري واصفا المحبة العامرة في قلوب المسلمين آنذاك قوله: "بلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه"[٧]. وورد في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام)

---

١) سورة لقمان: الآيات (١٧–١٩).

٢) سورة البقرة: الآية ٤٣.

٣) الاقطاب الفقهية ، للأحسائي: ٩٩.

٤) من سورة الفتح: الآية ٢٩.

٥) يُنظر: تفسير مقاتل: ٢٠٥/٢.

٦) يُنظر: جامع البيان للطبري: ٤٢٢/١٠.

٧) الكشاف للزمخشري: ٣٤٦/٤.

قال: "يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمؤاساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل: (رحماء بينهم)..."[١].

يظهر من خلال ما تقدم بأن التكبر من المعاصي التي منع عنها الله سبحانه ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ووسيلة التخلص منه هي الصلاة، وهذا ما كشفت عنه الزهراء (عليها السلام) إذ نبهت عن ان المواظبة على الصلاة مدعاة للمحبة والمودة والألفة، وتركها سببا للتكبر والتعاظم على الخلق، وهو ما يؤدي إلى نشوء الطبقية المجتمعية وتقسيم الخلق وفق مستويات لاتمت إلى الشريعة بصلة، فتكون المناصب المرموقة حكرا لشريحة دون غيرها، ويُمارس التهميش والتغافل على طبقة معينة من البشر، حتى بات بعضهم يبيع جسده للقوى المتغطرسة ليشارك معهم كمرتزق في حروب الظلم والجور، يقتل اخيه المسلم من دون ذنب؛ في حروب دارت رحاها طمعا واستعمارا واذلالا...

ثانياً:- الزكاة نماء في الرزق :

قال تعالى: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[٢]، الزكاة لغة هي "الطهارة والنماء والبركة والمدح"[٣]، والطريقة المُثلى لنمو الاموال تتم عن طريق دفع الزكاة، " وأصل الزَّكاة، نماءُ المال وتثميرُه وزيادتُه"[٤]، لذلك قالت الزهراء (عليها السلام): "الزكاة نماء في الرزق" محاولة تحبيب مساعدة المستحقين، والقضاء على الفقر الذي يدفع بالإنسان إلى الذلة – بعدما كرّمه الله سبحانه وتعالى أيما تكريم– والحث على التكافل الاجتماعي والتعاون فيما بينهم، فقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله: "علة الزكاة من أجل قوت الفقراء، وتحصين أموال الأغنياء لأن الله تعالى كلف أهل الصحة، القيام بشأن أهل الزمانة من البلوى"[٥]، فالإمام الرضا (عليه السلام) يؤكد بأن دفع الزكاة مجلبة للفائدة ونماء للأموال، وهو ما قالته بضعة الرسول فاطمة الزهراء (عليها السلام) تهذيبا للخلق وحثا لهم على مساعدة بعضهم بعضا، واستشرافا للمستقبل بأن هذه الأموال المدفوعة ستكون سبباً في زيادتها لا في نقصانها، لأنه ستحرك القوة الشرائية في سوق المسلمين وبالتالي يعود النفع إلى التجار والمشتغلين بالاعمال الحرة والمهن المتنوعة، ويتبين من خلال ما تقدم أن الزهراء (عليها السلام) استهدفت مساعدة الفقراء وانتعاش سوق المسلمين وازدهاره في المستقبل.

ثالثاً:- بر الوالدين وقاية من السخط :

أكدت الآيات المباركات على التذلل للوالدين وحسن معاملتهما قال تعالى: "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا[٦].

---

١) الكافي للكليني: ١٧٥/٢.

٢) سورة التوبة: من الآية ١٠٣.

٣) لسان العرب لابن منظور: مادة (زكا) ٣٥٨/١٤.

٤) جامع البيان، الطبري: ٥٧٣/١.

٥) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ١١٤٦/٢.

٦) سورة الاسراء: الآية ٢٤.

السخط نقيض الرضا، سخط عنه أي لم يرضَ به[١]، وقد كشفت مولاتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) عن كيفية الوقاية من السخط بقولها (عليها السلام): " بر الوالدين وقاية من السخط"، وفي هذا النص إيحاء بالاستمرارية، أي: كلما كان العبد بارا بوالديه كان آمناً من غضب الله سبحانه، ومتى ما كان عاقاً لوالديه فقد تعجل بغضب الله سبحانه.

قال النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم): "من أرضى والديه فقد أرضى الله، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله"[٢]، فإن رضا الله سبحانه وتعالى مرتبط برضا الوالدين، والإحسان لهما حتى وإن كانا غير مسلمين، ونهى الله عن الإساءة لهما ولو بأقل ما يمكن ان يُقال وهو كلمة (أف)، لا لدلالتها على عقوق الوالدين فحسب، بل لأنها سبب لسخط الله سبحانه ومن سخط الله عليه فلن يُفلح ابدا، لذلك اشارت الزهراء (عليها السلام) إلى هذه النتيجة وحذرت من عقوق الوالدين بطرقة محببة للسامع، إذ لم تقل (عليها السلام) (عقوق الوالدين سبب سخط الله)؛ لأنها (عليها السلام) لم ترد أن تذكر لفظة العقوق لشدة وقعها وكثرة خطرها على الفرد والمجتمع، بل قالت : (بر الوالدين وقاية من السخط)، بدأت بالبر حتى حتى تكون محطة انطلاق نحو رضا الله توفيقه وسداده، كما أن عقوق الوالدين سببا لتفكك المجتمع وتناحر افراده وضعفهم امام الأهواء والمغريات التي تعصف بالفرد من شتى الاتجاهات والتيارات، وهذا ما حذرت منه فاطمة الزهراء (عليها السلام) منه.

رابعاً:- صلة الرحم منسأة في العمر ومنماة للعدد

المتأمل للنصوص القرآنية يجد فيها تأكيدا على صلة الرحم، بل نجد في الروايات الشريفة تأكيد على صلة من قطعها، فقد ورد في كتاب الله الكريم ما يحث ويؤكد على مودة القربى بقوله تعالى: ") ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ"[٣]، وورد عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): " أن رجلاً جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أخبرني ما أفضل الأعمال؟ فقال: "الإيمان بالله " قال: ثم ماذا ؟ قال: "صلة الرحم" قال : ثم ماذا؟ قال: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "قال الرجل: وأي الأعمال أبغض منها؟ قال: "الشرك بالله " قال: ثم ماذا؟ قال: "قطيعة الرحم "قال: ثم ماذا ؟ قال: "الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف"[٤] وقد ورد عن النبي " (صلى الله عليه وآله سلم) : صلة الرحم تزيد في العمر"[٥] وهذا ما قالته الزهراء (عليها السلام) منطلقة من الآيات المباركات والأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد على مواصلة الرحم، بقولها (عليها السلام): "صلة الرحم منسأة في العمر ومنماة للعدد"، مستشرفة الفوئد المستقبلية، فضلا عن الفوائد الروحية والمجتمعية فإنها تطيل العمر لزيادة عمل الخيرات وزيادة الاجر لنيل مكانة سامية يوم القيامة.

---

١) يُنظر: معجم العين للخليل: مادة (سخط) ٤/ ١٩٢.

٢) كنز العمال، للهندي: ٤٧٠/١٦، وفيض القدير للشوكاني: ٦٧/٦.

٣) سورة الشورى: من الآية:٢٣.

٤) فقه الرضا، للقمي : ٣٧٦.

٥) الدعوات، للراوندي: ١٢٥

الخاتمة:-

من خلال ما تقدم من الكتابة عن الصرح العظيم والمعين الصافي الذي تركه لنا آل محمد المصطفى " صلى الله عليه وآله وسلم" يمكنني ان أذكر أهم ما توصلت إليه في هذا البحث:

١– فاطمة الزهراء (عليها السلام) مصدر مهم من مصادر العلوم الدينية والروحية والفكرية والبلاغية، إذ ارتبطت ارتباطا مباشرا بمهبط الوحي وعلمت من ابيها وبعلها ما لم تتطلع عليه غيرها من نساء المسلمين.

٢– لفاطمة الزهراء (عليها السلام) خطب واقوال ومواعظ تستحق الدراسة والتحليل؛ للاغتراف من اللآلىء الموجودة فيه، ومنها الخطبة الفدكية المشهورة.

٣– اوصي الباحثين واهل العلم بأن يتوجهوا نحو اقوال الزهراء عليها دراسة وتحليلا فإنها ثروة علمية وفكرية، وفيها من الحقائق التاريخية والعلوم المتنوعة ما يستحق البحث والدراسة.

٤– لم استوفِ في دراستي هذه كل الخطبة الفدكية، بل درست منها جزءاً يسيراً جداً لوفرة ما فيها من مادة علمية خصبة وغناها بالعلوم والمعارف.

٥– المتتبع لما أُثر عن الزهراء عليها السلام يجد حلولا لكل المشاكل المجتمعية والأسرية والفردية التي يعاني منها المجتمع الإسلامي في الوقت الحالي.

المصادر والمراجع:-

- القرآن الكريم.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، د.ط ، بيروت لبنان.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط:١، ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت– لبنان.
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، فقه الرضا، علي ابن بابويه القمي، (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث – قم المشرفة، ط:١، ت.ط١٤٠٦هـ، نشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام) – مشهد المقدسة.
- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط.:١، ت.ط: ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث – بيروت، لبنان.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط:١، ت.ط:١٤٢٠هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراوندي، (ت: ٥٧٣)، تحقيق : مدرسة الإمام المهدي (ع)، ط:١، ١٤٠٧هـ ، طبع : أمير – قم ، نشر : مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) ، قم المقدسة.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، (ت: ١٠٣١)، تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام، ط:١، ت.ط : ١٤١٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
- الكافي، الشيخ الكليني، (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري ط.٤، ت.ط:١٣٦٥ هـ، المطبعة: حيدري، دار الكتب الإسلامية، طهران– ايران.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (ت: ٥٣٨هـ)، ط:٣، ت.ط:١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري والمشهور بالمتقي الهندي ، (ت: ٩٧٥هـ)، تحقيق : ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا ، ت.ط : ١٤٠٩هـ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.
- محاضرات السيد الخوئي في المواريث، السيد محمد علي الخرسان، ط:١، ت. ط:١٤٢٤هـ، مطبعة محمد الناشر، مؤسسة السبطين (عليه السلام) العالمية – قم – ايران .
- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (ت: ٦٠٦هـ)، ط:٣، ت ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق : دار الحديث، ط:١، دار الحديث، الناشر: دار الحديث، التنقيح الثاني : ١٤١٦هـ.

الحوراء الانسية وكمالاتها الروحية

م.م. تغريد دينار صيهود الموسوي

جامعة واسط / رئاسة الجامعة

Tagr80264@gmail.com

ملخص البحث:

تحتل الزهراء دورًا مهمًا في التاريخ الحضاري في الاسلام ويظهر كيانها المتميز في حياة اهل بيت النبوة (عليهم السلام) ويتحدث عن بصماتها الانسانية في الدعوة الاسلامية والحفاظ عليها ويكشف عن الامكانيات المتميزة التي تتمتع بها دون النساء وبحثي هذا بعنوان (الحوراء الانسية وكمالاتها). ويهدف البحث الحال لتعرف طبيعة خلقتها النورانية والى بعض كمالاتها الروحية التي اصطفاها بها الله سبحانه وتعالى، ولتحقيق مرمى البحث اتبعت الباحثة المنهج الوصفي الاستقرائي باستقراء بعض الآيات القرآنية واحاديث رسول الله (صلى الله عليه واله) وروايات ال البيت(عليهم السلام) بحق الزهراء البتول (عليها السلام). وقد شمل البحث ثلاث مباحث كرس الاول منها لتعرف على حياتها (عليها السلام) اسمها ونشاتها، في حين جاء المبحث الثاني لبيان خلقتها وبعض كمالاتها الروحية وخاتم البحث بخاتمة بأهم النتائج.

Abstract

Al-Zahraa occupies an important role in the civilizational history of Islam, and her distinguished entity appears in the life of the people of the House of Prophethood (peace be upon them).

The current research aims to know the nature of her luminous creation and to some of her spiritual perfections that God Almighty chose her with. Peace be upon her). The research included three sections, the first of which was devoted to identifying her life (peace be upon her), her name and her upbringing, while the second section came to explain her creation and some of her spiritual perfections, and the research concluded with a conclusion with the most important results.

المقدمة :

استجابة الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حيث وردت الاحاديث الشريفة كثيرة مفاد مضمونها الحث على تدوين احاديث وفضائل اهل البيت (عليهم السلام) وعلمهم، ومن منطلق قوله (صلى الله عليه واله وسلم): "المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة يوم القيامة سترًا فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكُل حرفٍ مكُتوبٍ عليها مدينة أوسع من الدنيا سع مراتٍ"[1]. ومن هذا المنطلق فقد تم تسليط الضوء على شخصية السيدة الزهراء (عليها السلام) التي كانت وما تزال علمًا من اعلام أهل البيت (عليهم السلام)، وللتعرف على اصل خلقتها النورانية وكمالاتها الروحية وقد تتطرق الى بعض تلك الكمالات من حيث خلقتها، وحجيتها على الائمة والانبياء، ومن حيث انها قدوة على الرجال والنساء، وكذلك حجابها وعفتها وغيره من الموضوعات، وبيان دورها في الصبر على قضاء الله في سلبها حقها (عليها السلام).

المبحث الاول- سيرة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

السيدة الزهراء (عليها السلام) بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أبن هاشم بن عبد مناف بن قصي

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٢ / ١٤٤.

بن كلاب بن مرة، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد أبن عبد العزيز بن قصي القرشية الأسدية. فالسيدة الزهراء (عليها السلام) قرشية أبا وأما[١] .

تميزت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بمزايا انفردت بها عن الخلق جميعهم، انحدرت من أسرة عريقة امتلكت الشرف والكرامة والأخلاق الكريمة، فوالدها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جميع الأنس والجن كافرهم ومؤمنهم[٢] فهو سيد المرسلين وخاتم النبين إذ قال الله (عز وجل) في كتابه العزيز:" مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"[٣]. فإن الله سبحانه وتعالى منحها ابًا وامًا لم يخلق مثلهم في العالم أبدًا فوالدها كانت حياته كلها فضائل وكرامات وصدقًا وأمانة فسمي الصادق الأمين قبل ان يبعث نبيًا وهاديًا للبشر اجمع وحجة الله.

وأمها اول من أمن برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٤] وأول زوجة له (صلى الله عليه وآله وسلم) خديجة بنت خويلد[٥] وكانت ذات شرف وأموال كثيرة وعبيد ولديها من يتاجر بمالها ويسافرون به غلى الشام[٦]. وهي أفضل نساء العالمين [٧] ومن أفضل نساء اهل الجنة إذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم أمرآة فرعون[٨]. لما بُشر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بولادة الزهراء (عليها السلام) قال: " ريحانة أشمها ورزقها على الله" [٩] واختلف الرواة في تحديد ولادتها (عليها السلام) فهناك من ذكر أنها ولدت قبل البعثة النبوية وهناك من ذكر أنها ولدت بعد البعثة النبوية.

وذُكر ان الله سبحانه وتعالى خلق نورها قبل ان يخلق الأرض والسماء إذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله (عز وجل) آدم بالفي عام فلما خلق الله (عز وجل) آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجد الملائكة كلهم إلا ابليس فقال الله تبارك وتعالى: (أستكبرت أم كنت من العالين)[١٠] من هؤلاء الخمس المكتوبة اسماؤهم في سرادق العرش[١١] وروي ان الله جعل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والأمام علي والسيدة فاطمة الزهراء والأماميين الحسن والحسين(عليهم والسلام) أشباحًا خمسة في ظهر آدم وكانت أنوارهم تضئ في الآفاق من

---

(١) أبن عبد البر، الاستيعاب، ج١/ ص٢٦،ج٤/ ص١٨١٧.

(٢) أبن حزم، المحلى، ج١ / ص٨ .

(٣) الاحزاب، آية ٤٠ .

(٤) القاضي النعمان، شرح الاخبار، ج١/ ص١٢٠؛ الروحي القيرواني، بلغة الظرفاء، ص٨؛ أبن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج٢/ ص٤١٠

(٥) ابن أبو زيد القيرواني، الجامع في السنن، ص١٣١؛ الغرناطي الكلبي، الأنوار، ج١ / ص٢١ ..

(٦) القاضي النعمان، شرح الاخبار، ج٢ / ص١٥ ؛ الروحي القيرواني، بلغة الطرفاء، ص٨ .

(٧) أبو حنيفة، النعمان بن ثابت، وصية ابو حنيفة، ورقة ٩ ؛ القاضي النعمان، شرح الاخبار، ١/ ١٢٠ .

(٨) أبن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، الاستيعاب،٤ / ١٨٢١.

(٩) أبن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢ / ص٢٧٤، ج٤ / ص٣٨٠–٣٨١ ؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٠١ / ٩٠.

(١٠) سورة ص، آية ٧٥.

(١١)نعمة الله الجزائري، النورالمبين، ٣٥.

السماوات والحجب والجنان والكرسي والعرش، ثم أمر الله الملائكة بالسجود لآدم تعظيمًا له، وإنه قد فضله بان جعله وعاء لتلك الأشباح التي قد عم أنوارها الأفاق[١] .

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "لما عرج[٢] بي الى السماء أخذ بيدي جبرائيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي، فلما أهبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة (عليها السلام) ففاطمة حوراء أنسية وكلما اشتقت الى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة (عليها السلام)"[٣] .

وعن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله: لفاطمة تسعة أسماء عند الله عز وجل "فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكيّة، والراضيّة، والمرضيّة، والمحدثة، والزهراء"[٤]. وإن اكثر اسماء فاطمة الزهراء هي من وضع الله تعالى وهو الذي سماها بهذه الاسماء المباركة، وهذا يدل على المقام السامي لفاطمة الزهراء (عليها السلام) عند الله تعالى، ولوجود المناسبة والحكمة في ذات الزهراء (عليها السلام) كما اقتضت حكمة الباري عز وجل ان تكون العلامة فيها مناسبة لها وهي ذات الزهراء في مادتها وصورتها حيث كانت دلالة فاطمة الزهراءذاتية ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع اسمها فكان التعبير من الله تعالى أدق في التعريف لذات الزهراء وأظهر في تميز ذاتها عن بقية الذوات[٥]. فالله سبحانه وتعالى لم يهمل الحكمة ولم يظلمها ولم يضعها في غير ما جعلها مقتضية لها فمن شاء أن يطلعه على علل الأشياء وأسبابها علمه ذلك بتفهيمه أو بوضع القرائن له والامارات على ذلك وكما فعل ذلك مع أهل البيت : حيث هو الذي وضع أسماءهم وهذا ما نجده من خلال المأثور الروائي لأهل البيت : ، فالله تبارك وتعالى يحب أن تكون أسماء أهل البيت منه تعالى وكما قال الله تعالى : (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) ولتكون علامات ومميزات لصفات معينات لفاطمة الزهراء (عليها السلام). وكما روي عن علي بن الحسين (عليها السلام) حيث قال: حدثني أبي عن ابيه عن رسول الله إلى أن قال: « قال الله يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقي وبرياتي هذا محمد وأنا الحميد المحمود في فعالي شققت له اسماً من اسمي وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له اسماً من اسمي وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عمّا يعّرهم ويشينهم شققتُ لها اسماً من اسمي ..». ويعني هذا أنها من فيض وجودها ونورها من فيض الله سبحانه وتعالى ونسبتها الى الله تعالى من حيث وجودها ومبدأ نورها وصفاتها (عليها السلام)[٦]. قال ابو عبد الله (عليها السلام) لفاطمة الزهراء (عليها السلام) تسعة أسماء عند الله عز وجل وهي: (فاطمة، الزهراء، البتول، المحدثة، الطاهرة، المباركة، الراضية، المرضية، الزكية)[٧] . وجاءت التسمية لكل اسم منها لعدة اسباب للقبها (عليها السلام) بهذا اللقب

(١) الحسيني، تأويل الآيات، ١/ ٤٤.

(٢) أي صعد، والمعراج : يعني المصعد وهو الطريق الذي تصعد فيه الملائكة، والمعراج: الصعود أي تصعد الملائكة الى السماء. الفراهيدي، العين، ١/ ٢٢٣. والمعراج من معجزات الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ صعد من الرض الى السماء.

(٣) نعمة الله الجزائري، نور البراهين، ١/ ٣٠٢.

(٤) امالي الصدوق: ج١٨/ ص٤٧٤، علل الشرائع: ١٧٨/١، الخصال: ٤١٤/٣، روضة الواعظين: ١٧٩ .

(٥) المسعودي، محمد فاضل، الاسرار الفاطمية، ٣٨٣ .

(٦) المسعودي، محمد فاضل ، الاسرار الفاطمية، ٣٨٦ .

(٧) الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي، علل الشرائع، ١٧٨/١.

دون غيره:

فاطمة : جاءت التسمية بأمر من الله (عز وجل) إذ اوحى إلى النبيي (صلى الله عليه وآله وسلم) ط يا محمد إني أنا الله لا اله ألا انا فاطر السموات والأرض وهبت لأبنتك اسما من أسمائي فسميتها فاطمة، وأنا فاطر كل شيء"[١]. وسبب تسميها بهذا الاسم ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : انما سميت أبنتي فاطمة لان الله فطمها وفطم من أحبها من النار"[٢]. "وان فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار" [٣]. وان الله (عز وجل) فطمها وذريتها ومحبيها عن الشر[٤].

الزهراء: وسبب تسميتها بهذا الاسم "كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يشم رأسها وصدرها ويقول (عليها السلام)أجد رائحة زهر الجنة منها وهي زهراء تشبه أباها في الخَلَق والخُلق والحسن والجمال"[٥] .

البتول: عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: سُميت البتول لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الامة عفافًا، وفضلًا، ودينًا، وحسبًا، وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عز وجل[٦] .

المحدثة: روى الامام الصادق (عليها السلام) انه قال: "أنما سميت فاطمة (عليها السلام) محدثة، لان الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: "يا فاطمة ان الله اصطفاك وطهرك، على نساء العالمين يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي، واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها" [٧] .

المباركة : قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾ **(الكوثر/١)** والكوثر، الخير الكثير وأن فاطمة (عليها السلام) هي **الكوثر:** عن عبد الله بن سليمان قال: قرأتُ في الانجيل في وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نكاح النساء ذو النسل القليل، إنما نسله من مباركة لها بيت في الجنة، لا صخب فيها ولا نصب، يكفلها في آخر الزمان كما كفل زكريا امك، لها فرخان مستشهدان[٨] .

أما القابها: ان للسيدة فاطمة (عليها السلام) العديد من الألقاب هي: "العليمة، والعالمة، والحكيمة، والحليمة، والتقية، والنقية، وحبيبة أبيها، والسيدة الزهراء، وحوراء انسية، وبضعة رسول الله، وشجنة نبي الله، والمظلومة، والمضطهدة، والشهيدة، ومؤنسة خديجة الكبرى في بطنها ام الائمة ووالدة حجج الله (عليهم السلام) أمة الله، وبنت النبي، وزوجة الوصي، وسيدة نساء العالمين، والأمة البارة، والمدفونة بالليل، والكاظمة، والرؤوفة"[٩] ، والصديقة، والرضية،

---

(١) الحسيني، شرف الدين، تأويل الآيات، ٦٢٤/٢ .

(٢) المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي، امتاع الاسماع، ٤/ ١٩٧.

(٣) ابن خلكان، أبو العباس احمد بن محمد، وفيات الاعيان، ٤/ ١٧٥.

(٤) رغد كريم عبد الله خلف، السيدة الزهراء (عليها السلام) في المصنفات المغربية الأندلسية، ١٣.

(٥) مجهول، القاب الرسول وعترته، ٤٠.

(٦) الهمداني، احمد الرحماني، فاطمة الزهراء (عليها السلام) بهجة قلب المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ١٥٨.

(٧)الحسيني، شرف الدين، تأويل الآيات، ١١١/١.

(٨) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ٢٢/٢ .

(٩) القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، تفسير القرطبي، ٢٨/٢٠-٤٥.

والمرضية، والفاضلة، والزكية، والحورية الإنسية، والعليمة، والمغصوبة، والمقهورة[١] .

كنيتها (عليها السلام): عرفت السيدة الزهراء**(عليها السلام)** بأم ابيها[٢]، وأم الحسن والحسين، وأم المحسن، وأم الأئمة، وأم الخيرة، وأم المؤمنين، وام الاخيار، وأم الفضائل، وأم الأزهار، وأم العلوم، وأم الكتاب[٣]، وأم السبطين، وأم الريحانتين، وأم البررة، وام النجباء[٤] .

وقد نشأت (عليها السلام) في بيت خاتم الانبياء ومهبط الملائكة ومنزل الوحي تربت على يدي اصدق الصادقين وأكرم الاكرمين أفضل خلق الله (عز وجل) في بيت منبع التعاليم الاسلامية تغطيه الأجواء الإيمانية. وبما أنها (عليها السلام) ولدت ي مرحلة نشر الدين الاسلامي، وقيام المشركين بمحاولة القضاء على الاسلام قبل ان يدخل فيه الكثير من اهل مكة والقيام بتعذيب الضعفاء من المسلمين ليرتدوا عن دينهم [٥] فهي رافقت والديها في هذه المرحلة الصعبة. وعانت مع اهلها في شعب أبي طالب بعد ما اعلنوا المشركين مقاطعة بني هاشم وعبد المطلب فلا يبايعونهم ولا يبتاعون منهم شيئًا وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها على جدران الكعبة. واستمروا على ذلك ثلاث سنين[٦] وفي السنة التي خروا فيها من الشعب توفيت والدتها السيدة خديجة (عليها السلام) وكانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بسنة وقيل وفاتها سنة عشر من المبعث[٧] وزادت وفاتها مآسي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لان النبي لم يفقد زوجته فقط وإنما فقد قبل زوجته عمه ابو طالب[٨] فكان هذا العام عام حزن ومآسي لرسول الله حتى سمي رسول الله هذا العام بـ(عام الحزن)[٩] .

وتوفيت والدتها وهي مازالت صغيرة مما زاد من تعلقها بوالدها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالرغم من صغر سنها فإنها كانت تعين أباها وتدعمه وتحاول الدفاع عنه في وقت كان فيه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بحاجة الى من يسنده ولا سيما بعد فقد عمه أبو طالب فكانت (عليها السلام) تحاول قدر ما تستطيع حمايته ومساندته وتبعد الأذى عنه وفي أحدى المرات وبينما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند البيت يصلي وابو جهل وأصحاب له جلوس، ونحر جزور، فأخذه اشقى القوم فلما سجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وضعه بين كتفيه وهم يضحكون والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ساجد ولم يرفع رأسه، فأخبروا فاطمة (عليها السلام) بذلك فجاءت فطرحته ط فلما قضى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاته رفع صوته، ثم عاد عليهم.... ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخالفوا دعوته، ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن

---

(١) الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي من لا يحضره الفقيه، ٢/٥٧٣.

(٢) أبن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، الاستيعاب،٤ / ١٨٩٩.

(٣) التبريزي الانصاري، محمد علي بن احمد الفراجة داغي، اللمعة البيضاء، ١٢٢.

(٤) الكجوري، الخصائص الفاطمية، ١/ ١٠٦–١١٥.

(٥) المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي، امتاع الاسماع، ١/ ٣٥.

(٦) أبن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، ٢/ ٨٧.

(٧)أبن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، الاستيعاب،١ / ٣٨.

(٨) المصدر السابق، ٤ / ١٨٢٥.

(٩) أبن شهر أشوب، مناقب أبي طالب، ١/١٥٠.

هشام"[١] . ثم هاجرت (عليها السلام) الى يثرب في السنة الثالثة عشر للبعثة بعد هجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآوصى بها الامام علي (عليها السلام). وعندما استقر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة خطب (صلى الله عليه وآله وسلم) النساء، وتزوج سودة[٢] أول دخوله المدينة فنقلت (عليها السلام) اليها [٣] .

ومثلت اخلاقها (عليها السلام) بحر عميق لمن اراد الغوص فيه واستخراج الدرر المتناثرة فيه"(٤) فكان ادب الزهراء انعكاس لادب ابيها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم). فالزهراء (عليها السلام) عاشت تسع سنين في حضن والدها رسول الله بعدها انتقلت الى بيت اول الناس اسلامًا انتقلت من منزل هبوط الملائكة الى منزل لم يعرف عبادة غير الله الواحد الاحد لا شريك له والسيدة الزهراء (عليها السلام) نقلت هذه الآداب والاخلاق الى اولادها حتى عرفت هذه العائلة أفضل مثالًا للإسلام في جميع أنحاء العالم فهذه العائلة تعكس الاسلام الحقيقي الذي يجب ان يقتدى به المسلمين جميعًا.

المبحث الثاني: الكمالات الروحية:

روى الحافظ ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن زينب بنت علي، قالت: حدثتني أسماء بنت عميس قالت: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد كنت شهدتُ فاطمة وقد ولدت بعض ولدها فلم يُر لها دم، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يا اسماء! إن فاطمة خلقت حورية في صورة إنسية[٥]. وأخرج الحافظ الطبراني بإسناده عن عائشة قالت: كنت ارى رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقبل فاطمة، فقلت: يا رسول الله إني أراك تفعل شيئًا ما كنت أراك تفعله من قبل! فقال لي: يا حميراء إنه لما كان ليلة أسري بي الى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من شجر الجنة لم أر في الجنة شجرة هي أحسن منها حسنًا ولا ابيض منها ورقة ولا أطيب منها ثمرة، فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي، فلما هبطت الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فإذا أنا اشتقت الى رائحة الجنة شممت ريح فاطمة. يا حميراء إن فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتل كما يعتلون[٦]. وأخرج ابن حجر المكي عن النسائي قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وإنما سماها الله فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار[٧] .

وان عالم الانوار عالم الغيب، وهو العالم الذي سبق كل العوالم، خلق الله واشتق من نوره نور محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانوا انوارًا مُحدقةً بعرشه يطوفون حول العظمة، وذلك لإظهار مقامهم السامي ومنزلتهم العظيمة في قلوب المؤمنين، فهم أهل البيت (عليهم السلام)، حملة الأسرار الإلهية الربانية، وهذا ما اقتضته

(١) المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي، امتاع الاسماع، ١٢/ ١٠٢.

(٢)تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة وكانت قبله عند سكران بن عمرو فمات عنها بالحبشة مسلمًا. الطبرسي، أعلام الورى، ٢٧٦/١.

(٣) الطبري الصغير، دلائل الإمامة، ٨١–٨٢.

(٤) المسعودي، محمد فاضل، الاسرار الفاطمية، ٣٥٤.

(٥) ابن المغازلي، مناقب علي بن ابي طالب ٣٦.

(٦) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن ايوب، المعجم الكبير، ٢٢/ ٤٠١.

(٧) الهيثمي، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ١٦٠.

المشيئة الربانية لهم خاصة دون غيرهم(عليهم السلام) وهذا بَين في النصوص الشرعية كما في الزيارة الجامعة (خلقكم اللهُ أنوارًا فجعلكم بعرشه محدقين)[1] فهي (عليها السلام) هي محور لآل البيت (عليهم السلام) في تلك العوالم وهذا ما اكدته الروايات المتواترة في المعنى فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "إن الله خلقني وخلق عليًا وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم، حين لا سماء مبنية، ولا ارض مدحية، ولا ظلمة ولا نور، ولا شمس ولا قمر، ولا جنة ولا نار، فقال العباس: فكيف بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: يا عم: لما اراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نورًا، ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحًا، ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليًا وفاطمة والحسن والحسين، فكنا نسبحه حين لا تسبيح، ونقدسه حين لا تقديس، فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي عليّ فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور عليّ، ونور عليّ من نور الله، وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض ثم فتق نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر. ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين، فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله، وولدي الحسين أفضل من الجنة والحور العين"[2].

وقد رأى "ابراهيم الخليل (عليها السلام) نورها (عليها السلام) وهذا ماروي من طريق الفريقين في إرائة ملكوت السماوات لإبراهيم الخليل (عليه السلام)، ومشاهدة الانوار الأنوار الخمسة الطيبية، وتجلّي نور فطمة الزهراء (عليها السلام) في نظر ابراهيم الخليل (عليها السلام) لما خلق الله إبراهيم الخليل (عليها السلام) كشف عن بصره، فنظر إلى جانب العرش فرأى نورًا ساطعًا فقال: إلهي وسيدي! ما هذا النور؟ قال: يا إبراهيم ! هذا محمد صفيي. فقال: إلهي وسيدي! أرى في جانبه نورًا آخر؟ فقال: يا إبراهيم! هذا علي ناصري، فقال: يا إلهي وسيدي! ارى في جانبيهما نورًا ثالثًا؟ فقال: يا إبراهيم! هذه فاطمة تلي أباها وبعلها، فطمت محبيها عن النار. قال: إلهي وسيدي! ارى نورين بميامن الأنوار الثلاثة: قال الله تعالى: هذان الحسن والحسين يليان أباهما وجدهما وأمهما. قال: إلهي وسيدي! أرى تسعة أنوار أحدقوا بالخمسة الأنوار. قال: يا إبراهيم ! هؤلاء الأئمة من ولدهم"[3] .

و"عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله الصادق (عليها السلام): كيف كان ولادة فاطمة الزهراء؟ فقال: نعم إن خديجة لما تزوج بها رسول الله هجرتها نسوة مكة فكنَّ لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها فاستوحشت خديجة (عليها السلام) لذلك وكان جزعها وغمها حذرًا عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة تحدثها من بطنها وتصبرها وكانت تكتم ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدخل رسول الله يومًا فسمع خديجة تُحدث فاطمة (عليها السلام) فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟ قالت الجنين الذي في بطني يُحدي ويؤنسني، قال: يا خديجة هذا جبرئيل يبشرني ويخبرني أنها أنثى وأنَّها النسلة الطاهرة الميمونة وأن

(١) القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان: الزيارة الجامعة .

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ١٥/ ١٠.

(٣) المصدر السابق، ٣٦/ ٢١٣.

الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه"[١]. فلما ولدت الزهراء (عليها السلام) " اشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهن معها طست من الجنة وإبريق من الجنة وفي الابريق ماء من الكوثر فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدَّ بياضًا من اللبن وأطيب ريحًا من المسك والعنبر فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية ثم استنطقتها فنطقت فاطمة بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا اله الا الله وأن أبي رسول الله سيد الانبياء وأن بعلي سيد الاوصياء وولدي سادة الاسباط ثم سلمت عليهن وسمت كل واحدة منهنَّ باسمها وأقبلن يضحكن إليها وتباشرت الحور العين وبشر أهل السماوات بعضهم بعضًا بولادة فاطمة (عليها السلام) وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك وقالت النسوة: خُذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها"[٢].

لقد خلق الله (عز وجل) الخلق لعلة وهي عبادته سبحانه وتعالى لقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣] ولا تتم العبادة الا بمعرفته تعالى، ومعرفته لا تتم الا برسله وأوليائه، إذ هم حججه على العباد في كل زمان، فهم الطريق اليه والمسلك الى سبيله. والحجة :هي الدليل الى الله تعالى يحذر به عباده وينذرهم ويهديهم. فمقام الحجيّة الهيّ تصل بوساطته العلوم الإلهية اللدنيّة الى عباده، فإذا كان اهل البيت حجج الله على خلقه فإن أمهم فاطمة حجة الله عليهم، وهي ما صرحت به رواية العسكري عليه السلام: "نحن حجة الله على الخلق، وفاطمة عليها السلام حجة علينا"[٤] .

فلا يفهم من سيادتها لنساء العالم أنّها (عليها السلام) قدوة لهنّ فقط، بل الاستنارة بهديها يحتاجه الجميع، ويستفيد منه النّساء والرّجال على حدّ سواء، كما أنّ درب السعادة والكمال في الإسلام ليس مقصوراً على جنسٍ دون آخر، ولا يتفرّع إلى شعب وأجزاء، وإنّما هو عامٌ للنوع الإنساني، يقول سبحانه: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}[٥]، {يَا أَيُّهَا النّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[٦]. ويمكن اكتشاف جامعيّة هداية الزّهراء (عليها السلام) لكافة النّاس أيضاً من خلال الروايات الخاصّة، من بينها ما عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن الحسن بن محبوب عن محمّد بن النّعمان عن سلاّم عن أبي جعفر (عليها السلام) في قوله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا...} قال: «إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ عَلِيّاً (عليها السلام) وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَجَرَتْ بَعْدَهُمْ فِي الأَئِمَّةِ (عليهم السلام) ثُمَّ يَرْجِعُ الْقَوْلُ مِنَ اللَّهِ فِي النّاس فَقَالَ: {فَإِنْ آمَنُوا} يَعْنِي النّاس {بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ} يَعْنِي عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالأَئِمَّةَ (عليهم

(١) الموسوي، يوسف حلو خضر الناجي، قبس من نور الزهراء عليها السلام الملكوتية والملكية، ٤٢.

(٢)المصدر السابق ٤٣.

(٣)الذاريات، ٥٦.

(٤) الابراهيمي، علي ، تفسيرأطيب البيان ١٣/ ٢٣٥.

(٥) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٦) سورة الحجرات: ١٣.

السلام) {فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ}»[1] .

أنّ الله تعالى خلْق لعباده رافقه تكليفٌ ودورٌ مناطٌ بكلّ فرد منهم، ويصبح الجميع على إثره مسؤولين عنده سبحانه، وهو تكليفٌ عامٌ وشاملٌ على طول التاريخ، إلا أنّ هناك مجموعة من البشر – نظراً لعلم الله تعالى بحالتهم المعنويّة وصبرهم وطاعتهم المنقطعة النّظير وأهليّتهم لأداء المسؤوليّات الثّقيلة والنوعيّة– أناطَ بهم دوراً خاصّاً زائداً على مسؤوليّاتهم العامّة، فاصطفاهم واختارهم من بين خلقه لتحمّل هذا الدور، ليغدوا من خلاله حُجَجاً منه على عباده، وبما أنّ الزّهراء (عليها السلام) واحدة ممّن نال هذا الشّرف الرّفيع، يصبح من اللازم الوقوف على ماهيّة اصطفائها وهدفه، لارتباطه الوثيق بتكامل النّاس وهداية قلوبهم، فالاصطفاء الإلهي له أنحاء وأغراض متعدّدة، ويمكن تصنيفها إلى أربعة أصناف:

الصنف الأوّل:– اصطفاء النبوّة: وهو للذين بعثهم لتبليغ رسالاته وبيان أحكامه وتهذيب النّاس، يقول تعالى: {إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ}[2].

الصنف الثاني:– اصطفاء الوصاية أو الإمامة: وهو للذين يتابعون وظيفة الأنبياء (عليهم السلام) ويخلفونهم ويكملون مسيرتهم، يقول تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...}[3].

الصنف الثالث:– اصطفاء المهام الخاصّة: وهو للذين يبعثهم الله تعالى لوظيفة معيّنة وظرف محدّد، كقيادة المجتمع أو العسكر وأمثال ذلك، يقول تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[4].

الصنف الرابع: اصطفاء الولاية والحجّة الكبرى: وهو لمن لهم حقّ الولاية على النّاس –غير الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)– ويُذَّخَرون لأمرٍ إلهيٍّ كبيرٍ وخطبٍ جسيمٍ ليكونوا آية أخرى يتم بها مشروع النّبوّة والإمامة، يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ}[5]. وتمتاز جميعها بأن أفرادها مؤيّدة ببراهين ساطعة وآيات باهرة، وذلك ليحصل بهم الوثوق والتصديق، وتتم حجّتهم على النّاس. واصطفاء السيّدة الزّهراء (عليها السلام) هو من الصنف الرابع، لأنّها بالتأكيد ليست نبيّاً ولا إماماً، لكنّها حائزة على مقام الولاية، وهي واحدة من الحُجَج المفترضة الطاعة، وتتحلّى بصفاتهم، كالعصمة والعلم اللدني الخاص، والجاه الرفيع والمنزلة المقرّبة، وبعبارة أخرى: لها ما للأنبياء والأئمة (عليهم السلام) من مقامات سوى الاختلاف في الوظيفة والدور، والدليل على ذلك وصولها إلى ذروة الكمال الإلهي وأنّها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، ونزيد عليه بما ورد بعِدّة مضامين عن الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله): "يا فاطمة إنّ الله تعالى لَيغضب لِغضبك ويرضى

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١/ ٤١٥–٤١٦.

(٢) سورة ال عمران: ٣٣

(٣) سورة فاطر: ٣٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٥) سورة آل عمران: ٤٢.

لِرضاك"[١]، وطبيعيٌّ أنّ من كان هذا حالها أن تُحسب من المقرّبين والصدّيقين، وهو كافٍ أيضاً للدلالة على عصمتها؛ لأن رضا الله تعالى وغضبه يستحيل أن يقترن ويجتمع بنحوٍ مطلق مع رضا وغضب من يُخطئ أو يتّبع هواه وما شاكل ذلك، وبالتالي فهي تعبيرٌ آخرٌ عن العصمة. على أنّ مُفاد ذلك يمكن استفادته من العديد من الروايات الأخرى أو الآيات، من قبيل آية التطهير: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}[٢]، بتقريب أنّ المراد من الرّجس هو مطلق التلوّث وأمراض القلب وارتكاب الذنوب الذي يقابل مطلق الطّهارة، وهي (عليها السلام) –بلا ريبٍ– واحدة من أهل الكساء الذين نزلت في حقهم الآية[٣].

وأمّا من ناحية علمها فعن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام): «... وَقَالَ (صلّى الله عليه وآله): أُوصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ أَهْلِ بَيْتِي، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَأَعْطَانِي ذَلِكَ، وَقَالَ: لا تُعَلِّمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدًى وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلالَةٍ، فَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ (صلّى الله عليه وآله) فَلَمْ يُبَيِّنْ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ لادَّعَاهَا آلُ فُلانٍ وَ آلُ فُلانٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقاً لِنَبِيِّهِ (صلّى الله عليه وآله) {إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} فَكَانَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ (عليهم السلام) فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (صلّى الله عليه وآله) تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ...»[٤]. ونجد أنّ لسانها لا يفرّق بين الزّهراء (عليها السلام) وبين سائر الحجج (عليهم السلام) –كالرّسول (صلّى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام)– في المقامات والمرجعيّة إلى الناس، فيبقى التنوّع في الأدوار هو المائز لا غير. والخلاصة: إنّ اصطفاء الله تعالى للزهراء (عليها السلام) يُنبئ عن تكليفها بدورٍ كبيرٍ زائدٍ عن تكليف العباد المتعارف ليعود في الأخير إلى منفعتهم وتكاملهم. وهذا الدور واضح بالقرآن في قصّة مريم (عليها السلام) قد أشاح وكشف عن جانبٍ مهم في سرّ اصطفائها، والحال أنّها تشترك مع الزّهراء (عليها السلام) في طبيعة الاصطفاء، والروايات كثيراً ما تربط بين مسألة اصطفاء السيّدة مريم (عليها السلام) وبين اصطفاء السيّدة الزّهراء (عليها السلام) –والمظنون أنّ ورود قصّتها في القرآن وتسليط الآيات عليها هو من أجل لفت العناية وتوجيه الأنظار إلى الزّهراء (عليها السلام) وفي الحقيقة مشيرة ظاهراً إلى شخص مريم (عليها السلام) ولكنّها بالواقع هي بمثابة التوجيه إلى شخص الزّهراء (عليها السلام) أيضاً. فعند قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ}[٥] ورد عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام): «... اصْطَفَاهَا مَرَّتَيْنِ، أَمَّا الأُولَى فَاصْطَفَاهَا أَيِ اخْتَارَهَا، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّهَا حَمَلَتْ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ فَاصْطَفَاهَا بِذَلِكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»[٦]، وعقّب الطبرسي (رحمه الله) حول هذا الأمر: "وقال أبو جعفر (عليه السلام): معنى الآية اصطفاك من ذريّة الأنبياء، وطهّرك من السِّفاح. اصطفاك لولادة

(١) النيسابوري، فتال، روضة الواعظين، ١/ ١٤٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ٣٥/ ٢٠٦.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١/ ٢٨٦.

(٥) سورة آل عمران: ٤٢.

(٦) القمي: علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ١/ ١٠٢؛ المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ١٤/ ٢٠٠.

عيسى (عليها السلام) من غير فحل. وخرج بهذا من أن يكون تكريراً، إذ يكون الاصطفاء على معنيين مختلفين"[١]. وبنفس السّياق ذُكر عن مولانا الإمام الكاظم (عليها السلام) في كلام له مع الرشيد: «... إن الله نسب المسيح عيسى ابن مريم (عليها السلام) إلى خليله إبراهيم (عليها السلام) بأمه مريم البِكر البتول التي لم يمسها بشر في قوله {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعِيسى وَإِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ} فنسبه بأمه وحدها إلى خليله إبراهيم (عليها السلام) كما نسب داود وسليمان وأيوب وموسى وهارون (عليهم السلام) بآبائهم وأمهاتهم فضيلة لعيسى (عليها السلام) ومنزلة رفيعة بأمه وحدها وذلك قوله في قصة مريم (عليها السلام) {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ} بالمسيح من غير بشر وكذلك اصطفى ربنا فاطمة (عليها السلام) وطهرها وفضلها على نساء العالمين بالحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة»[٢].

ومن خلال ما تقدم فأن من اوائل دور الزهراء (عليها السلام) في تكامل البشرية أنها آية من الآيات المبررة لعظمة الخالق (سبحانه وتعالى) والمشيرة اليه، وهي حجة على الناس وهادية لهم في دينهم ودنياهم كلأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، وهي الوسط الطاهر الذي تولد منه السبطان الحسنان (عليهما السلام)، ومن ثم تفرعت منه غصون الائمة (عليهم السلام).

وكانت (عليها السلام) واحدة من علامات الهدى التي تُنشد عند التباس الأمور، بل إنّ أحد معاني وأسرار اصطفاء الله تعالى لها هو هذا، فكلّما شك النّاس أو تحيّروا في فعلٍ أو موقفٍ أو اعتقادٍ وما شابه تكون هي (عليها السلام) الجهة التي ترفع عنهم ريبهم، وتُعرّفهم صوابهم من زيغهم، وهذا الأمر ليس غريباً بعد ثبوت عصمتها وأنّ رضا الله سبحانه ورضا رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلم) من رضاها، وهو مُفاد حديث الثقلين الذي ورد بعدّة صيغ متقاربة، كالذي رواه أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): «إنّي تارك فيكم أمرين، أحدهما أطول من الآخر، كتاب الله عزّ وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف بيد الله، وعترتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[٣].

وكما جاء عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النّضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن بريد بن معاوية، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليها السلام)في خطبة يوم الجمعة – الخطبة الأولى–: «... وَالْزَمُوا كِتَابَهُ؛ فَإِنَّهُ أَبْلَغُ الْمَوْعِظَةِ وَخَيْرُ الأُمُورِ فِي الْمَعَادِ عَاقِبَةً، وَلَقَدِ اتَّخَذَ اللَّهُ الْحُجَّةَ فَلا يَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ إلا عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلا يَحْيَى مَنْ حَيَّ إلا عَنْ بَيِّنَةٍ، وَقَدْ بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ (صلّى الله عليه وآله وسلم) الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ، فَالْزَمُوا وَصِيَّتَهُ وَمَا تَرَكَ فِيكُمْ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الثَّقَلَيْنِ كِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ اللَّذَيْنِ لا يَضِلُّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِمَا وَلا يَهْتَدِي مَنْ تَرَكَهُمَا»[٤]. ولا توقف في كونها سلام الله عليها من العترة، وقد ورد عن أنس بن مالك: صلّى بنا رسول

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢/ ٢٩٠–٢٩١.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ٤٠٥.

(٣) الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي، معاني الاخبار،٩٠.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٣/ ٤٢٢– ٤٢٣.

الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) صلاة الفجر، فلمّا انفتل من صلاته أقبل علينا بوجهه الكريم فقال: «مَعَاشِرَ النّاس مَنِ افْتَقَدَ الشَّمْسَ فَلْيَتَمَسَّكْ بِالْقَمَرِ وَمَنِ افْتَقَدَ الْقَمَرَ فَلْيَتَمَسَّكْ بِالزُّهَرَةِ وَمَنِ افْتَقَدَ الزُّهَرَةَ فَلْيَتَمَسَّكْ بِالْفَرْقَدَيْنِ»، قيل يا رسول الله ما الشمس والقمر والزهرة والفرقدان؟ فقال: «أَنَا الشَّمْسُ وَعَلِيٌّ (عليها السلام) الْقَمَرُ وَفَاطِمَةُ الزُّهَرَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ الْفَرْقَدَانِ وَكِتَابُ اللَّهِ لا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[١]، وبنقلٍ آخر عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه (عليهم السلام) عن جابر الأنصاري: صلّى بنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوماً صلاة الفجر... فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَنَا فَجَعَلَنَا بِمَنْزِلَةِ نُجُومِ السَّمَاءِ كُلَّمَا غَابَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَأَنَا الشَّمْسُ فَإِذَا ذَهَبَ بِي فَتَمَسَّكُوا بِالْقَمَرِ... ثُمَّ مَكَثَ مَلِيّاً فَقَالَ هَؤُلاءِ وَفَاطِمَةُ وَهِيَ الزُّهَرَةُ عِتْرَتِي وَأَهْلُ بَيْتِي هُمْ مَعَ الْقُرْآنِ لا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[٢].

وهي تعد مصدر التشريع الاسلامي بحكم كونها أحد المعصومين (عليهم السلام) المفترضة طاعتهم، فيصبح قولها وفعلها وتقريرها حجّة علينا، ولكن المأسوف له أن المقدار الواصل إلينا من رواياتها التشريعيّة أو الناقلة لتشريعٍ من جهتها ليس بالحجم الملحوظ والملائم لموقعها، ويعدّ هذا من مؤشرات وعلائم بخسها حقّها ومظلوميّتها في هذه الدنيا. ونستطيع ان نورد نماذج تدل على أنها (عليها السلام) مصدر التشريع الاسلامي منها :

أ– ما ورد حول الستر في الصلاة عن الفضيل، عن أبي جعفر (عليها السلام)قال: «صَلَّتْ فَاطِمَةُ (عليها السلام) فِي دِرْعٍ وَخِمَارُهَا عَلَى رَأْسِهَا لَيْسَ عَلَيْهَا أَكْثَرُ مِمَّا وَارَتْ بِهِ شَعْرَهَا وَأُذُنَيْهَا»[٣].

ب– ما جاء حول صلوات المسألة والحاجة عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله الصادق (عليها السلام)قال: «كَانَ لأُمِّي فَاطِمَةَ (عليها السلام) صَلاةٌ تُصَلِّيهَا عَلَّمَهَا جَبْرَئِيلُ (عليه السلام)، رَكْعَتَانِ تَقْرَأُ فِي الأُولَى الْحَمْدَ مَرَّةً وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ الْحَمْدَ مَرَّةً وَمِائَةَ مَرَّةٍ قُلْ هُوَ اللَّهُ، فَإِذَا سَلَّمْتَ سَبَّحْتَ تَسْبِيحَ الطَّاهِرَةِ (عليها السلام)... »[٤] .

ج– ما ذكر حول المضغ والتذوّق للطعام حال الصيام عن مَسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله (عليها السلام)قال: «إِنَّ فَاطِمَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهَا كَانَتْ تَمْضَغُ لِلْحَسَنِ ثُمَّ لِلْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَهِيَ صَائِمَةٌ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ»[٥].

وورد عن الأمير (عليه السلام): "زكاة العلم بذله لمستحقه وإجهاد النفس في العمل به"[٦]، وفي رواية طلحة بن زيد عن أبي عبد الله (عليها السلام)قال: «قَرَأْتُ فِي كِتَابِ عَلِيٍّ (عليها السلام)"إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ عَلَى الْجُهَّالِ عَهْداً بِطَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ عَهْداً بِبَذْلِ الْعِلْمِ لِلْجُهَّالِ لأَنَّ الْعِلْمَ كَانَ قَبْلَ الْجَهْلِ"[٧]. والزّهراء (عليها السلام) وهي العالِمة التي تنحدر منها المعارف كانت سبّاقة في هذا الميدان، وكانت مهمّة التعليم وإرشاد النّاس من

(١)الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي، معاني الاخبار، ١١٥.

(٢) الطوسي، ابي جعفرمحمد بن الحسن، الأمالي،٥١٦–٥١٧.

(٣) الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي من لا يحضره الفقيه، ١/ ٢٥٧.

(٤) ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى، جمال الاسبوع، ٢٦٧.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٤/ ١١٤.

(٦) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم، ١/ ٣٩١.

(٧) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١/ ٤١.

أولويّات أعمالها، وقد كابدت فيها العناء الشديد، وبالرغم من قصر عمرها الشريف إلا أنّها تركت موروثاً نفعت به جميع المسلمين إلى يومنا هذا، ولم يكن أسلوب تبليغها يقتصر على منوالٍ واحد، بل اتخذ عدّة أنماطٍ، نشير إلى ثلاثةٍ منها:

أ– النمط الأوّل: كانت لديها حلقة وصل مباشر مع النّساء، وتقوم بتعليمهن وظائفهن الدينية وسائر المعارف الأخرى، حتى أنّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) إذا أراد أحياناً أن يُبلّغ حكماً خاصّاً يتعلّق بهنّ يأمر ابنته الطاهرة (عليها السلام) ببثّه وتوضيحه لهنّ، فعن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (عليها السلام)عن قضاء الحائض الصلاة ثم تقضي الصوم قال: «لَيْسَ عَلَيْهَا أَنْ تَقْضِيَ الصَّلاةَ وَعَلَيْهَا أَنْ تَقْضِيَ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ»، ثمّ أقبل عليّ وقال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلّى الله عليه وآله وسلم) كَانَ يَأْمُرُ بِذَلِكَ فَاطِمَةَ (عليها السلام) وَكَانَتْ تَأْمُرُ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنَاتِ»[1]. وكانت مرجعاً ترجع إليها النّساء في الإجابة عن أسئلتهن وفضّ خصوماتهنّ، فعن أبي محمّد العسكري (عليه السلام): «قَالَتْ فَاطِمَةُ (عليها السلام) وَقَدِ اخْتَصَمَ إِلَيْهَا امْرَأَتَانِ فَتَنَازَعَتَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ إِحْدَاهُمَا مُعَانِدَةٌ وَالأُخْرَى مُؤْمِنَةٌ فَفَتَحَتْ عَلَى الْمُؤْمِنَةِ حُجَّتَهَا فَاسْتَظْهَرَتْ عَلَى الْمُعَانِدَةِ فَفَرِحَتْ فَرَحاً شَدِيداً فَقَالَتْ فَاطِمَةُ (عليها السلام): «إِنَّ فَرَحَ الْمَلائِكَةِ بِاسْتِظْهَارِكِ عَلَيْهَا أَشَدُّ مِنْ فَرَحِكِ وَإِنَّ حُزْنَ الشَّيْطَانِ وَمَرَدَتِهِ بِحُزْنِهَا أَشَدُّ مِنْ حُزْنِهَا...»[2]. ولا تَضْجَر وتَملّ من كثرة المراجعات أو كثرة الأسئلة، بل تجيب بكل مودّةٍ وعطفٍ، وتعتني بحال السائل وحاجته، وقد أُثِر حول هذا المعنى: ما عن الإمام العسكري (عليه السلام): «حَضَرَتِ امْرَأَةٌ عِنْدَ الصِّدِّيقَةِ فاطمة الزهراء(عليها السلام)، فَقَالَتْ: إِنَّ لِي وَالِدَةً ضَعِيفَةً، وَقَدْ لَبِسَ عَلَيْهَا فِي أَمْرِ صَلاتِهَا شَيْءٌ وَقَدْ بَعَثَتْنِي إِلَيْكِ أَسْأَلُكِ، فَأَجَابَتْهَا فَاطِمَةُ (عليها السلام) عَنْ ذَلِكَ فَتَثَبَّتْ فَأَجَابَتْ ثُمَّ ثَلَّثَتْ إِلَى أَنْ عَشَّرَتْ فَأَجَابَتْ ثُمَّ خَجِلَتْ مِنَ الْكَثْرَةِ فَقَالَتْ: لا أَشُقُّ عَلَيْكِ يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَتْ فَاطِمَةُ: هَاتِي وَسَلِي عَمَّا بَدَا لَكِ، أَرَأَيْتِ مَنِ اكْثُرِيَ يَوْماً يَصْعَدُ إِلَى سَطْحٍ بِحِمْلٍ ثَقِيلٍ وَكِرَاهُ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ يَثْقُلُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ: لا، فَقَالَتْ: اكْثُرِيتُ أَنَا لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ بِأَكْثَرَ مِنْ مِلْءِ مَا بَيْنَ الثَّرَى إِلَى الْعَرْشِ لُؤْلُؤاً، فَأَحْرَى أَنْ لا يَثْقُلَ عَلَيَّ، سَمِعْتُ أَبِي (صلّى الله عليه وآله) يَقُولُ: إِنَّ عُلَمَاءَ شِيعَتِنَا يُحْشَرُونَ فَيُخْلَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ خِلَعِ الْكَرَامَاتِ عَلَى قَدْرِ كَثْرَةِ عُلُومِهِمْ وَجِدِّهِمْ فِي إِرْشَادِ عِبَادِ اللَّهِ...»[3].

ب– النمط الثاني: كان لديها مؤلّفٌ ضخمٌ يسمّى بـ (مصحف فاطمة) يحتوي على علم ما يكون، ويعدّ من مخازن علم الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، وهو وإن كان محفوظاً عندهم (عليهم السلام) ولا يخرج لعامّة النّاس لأسباب خاصّة، ولكنهم (عليهم السلام) يحتجّون به ويستشهدون بما فيه فينتفع به العباد بطريقٍ غير مباشر.

ت– ما ذكره أبو بصير عن مولانا الإمام الصادق (عليه السلام): "... وَإِنَّ عِنْدَنَا لَمُصْحَفَ فَاطِمَةَ (عليها السلام)،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٣/ ١٠٤– ١٠٥.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، الاحتجاج، ١/ ١٨.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ٢/ ٣.

وَمَا يُدْرِيهِمْ مَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ (عليها السلام)"، قَالَ قُلْتُ: وَمَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ (عليها السلام)؟ قَالَ: "مُصْحَفٌ فِيهِ مِثْلُ قُرْآنِكُمْ هَذَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَاللَّهِ مَا فِيهِ مِنْ قُرْآنِكُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ»، قَالَ قُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ الْعِلْمُ، قَالَ: «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَ مَا هُوَ بِذَاكَ..."[1] .

ث– النمط الثالث: كانت لديها البلاغة وقوّة البيان والملكة في الخطابة والتأثير، فتصف المعاني العميقة بأجزل العبائر وأحكمها، وكم من خطبةٍ لها حوت على سلسلةٍ متكاملةٍ منتظمةٍ من رؤوس الأفكار والمطالب حول قضيّةٍ من القضايا أو علمٍ من العلوم، بحيث تشكّل بمجموعها دوحة من المعارف تغترف منها الأجيال.

ومثال على ذلك خطبتها المعروفة التي وجّهتها إلى المهاجرين والأنصار لَمَّا مُنعت من فدك، فبالإضافة إلى تضمّنها للاحتجاج والمطالبة بحقّها وبالإمامة اشتملت على جولة بديعة –وبمنتهى اللطافة والدقّة العلميّة– لعقائد الإسلام، ورُتِّبت بشكلٍ منطقيٍ ومتتابعٍ، فبُدِئَت –بعد التسبيح والتحميد– بفصول ومعاني التوحيد، ثم منه استُدْرِجت الكلمات إلى المعاد وأجلى سماته وأهدافه، وثُلِّثَت بذكر النّبوّة ورسالة الخاتم (صلّى الله عليه وآله)، وبعدها أُثيرت مسألة الإمامة والحجّة اللائقة بالخلافة. وكذلك خطبتها التي وجهتها الى نساء المهاجرين والأنصار عند مرضها[2]، وكانت رسالتها واضحة (عليها السلام) لإلقاء الحجة عليهن وعلى الملأ أجمع، وبها تكون قد علمت الناس تكليفهم وصححت لهم عقيدتهم.

وتعدّ (عليها السلام) واحدة من العبّاد وأهل الزهد والتقوى والإخلاص، وكانت مضرب مثلٍ في الصّدق والطّهارة المعنويّة، ويعرف ذلك الداني والقاصي، حتى ذكروا أنّ عائشة كانت تقول: "ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة غير أبيها"[3]، وتردّد عن الحسن البصري: "ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تَورَّم قدماها"[4]. فكانت (عليها السلام) أسوةً حسنةً يُقتدى بها، وترتاح النفوس التائقة للتشبّه بسيرتها، ويتأثر بسلوكها النّاس بدون عناءٍ وتكلّفٍ ولو لم تكن في البين موعظةٌ ودعوةٌ ترشدهم إلى ذلك، والسرّ الكامن وراء هذا التأثير الساحر والآخذ بمجامع القلوب أنّه خرج من القلب فلا يقرّ إلا في القلب، وأنّه انطلق بصدقٍ فلا يُستقبَل إلا بمثله، وأنّه نابعٌ من نفسٍ لم تأمر النّاس بالتعبّد والتخلّق بالطاعات قبل أن تبدأ من داخلها، ومعلومٌ أنّ النصيحةَ بالمعروف لا تجد طريقها إلى الصدور إذا انبعثت من قلبٍ لاهٍ غير مؤمنٍ به أو مطبّقٍ لمصاديقه. فنجد ان جميع أفعالها ونياتها وتصرفاتها هي تقرب وعرفان وسمو معنوي نحو الله سبحانه وابتغاء مرضاته، فالعاشق للرب الجميل يفعل كلّ شيءٍ من أجله، ويستلذّ بالعمل الذي يزيده زُلفاً ووصالاً بمعشوقه، ومن هذا الباب تميّزت الزّهراء (عليها السلام) عمّن سواها ونالت سيادة الأوّلين والآخرين –مع أبيها وبعلها وصفوة بنيها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– وكانت المنتجبة والمصطفاة من النّساء على الإطلاق.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ١/ ٢٣٨– ٢٣٩.

(٢) الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي، معاني الاخبار،٣٥٤.

(٣) أبن شهر أشوب، مناقب أبي طالب، ٣/٣٤١.

(٤) م.ن .

وكانت (عليها السلام) تفقه أن أعظم التذلل هو حال الركوع والسجود، فإذا انتصبت في محرابها تلألأت بهاءً ونورًا من خشية الله، وكان يرى أثرُ ذلك عيانًا فيتأثر بها من كان حولها. وسميت (عليها السلام) بهذا الأمر، حيث ورد عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه: سألت أبا عبد الله (عليها السلام)عن فاطمةَ لمَ سُمِّيَتْ زَهْرَاءَ (الزّهراء) فَقَالَ: "لأَنَّهَا كَانَتْ إِذَا قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا زَهَرَ نُورُهَا لأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا يَزْهَرُ نُورُ الْكَوَاكِبِ لأَهْلِ الأَرْضِ"(١).

وكان عشقها (عليها السلام) للصلاة والابتهال أثناء أداء الفرائض، بل كان لها موعدٌ آخرٌ أيضاً مع النوافل الليليّة الممزوجة بالإلحاح والمسألة والذكر والدعاء، حيث ورد عن عُبادة الكلبيّ عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن علي بن الحسين عن فاطمة الصغرى عن الحسين بن عليٍّ عن أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: "رَأَيْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ (عليها السلام) قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا لَيْلَةَ جُمُعَتِهَا فَلَمْ تَزَلْ رَاكِعَةً سَاجِدَةً حَتَّى اتَّضَحَ عَمُودُ الصُّبْحِ وَسَمِعْتُهَا تَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَتُسَمِّيهِمْ وَتُكْثِرُ الدُّعَاءَ لَهُمْ وَلا تَدْعُو لِنَفْسِهَا بِشَيْءٍ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّاهْ، لِمَ لا تَدْعِينَ لِنَفْسِكِ كَمَا تَدْعِينَ لِغَيْرِكِ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، الْجَارُ ثُمَّ الدَّارُ"(٢). وتدل هذه الرواية العظيمة أنّ فاطمة (عليها السلام) كانت وهي تتنفّل بعباداتها بمرأىً ومسمعٍ من ابنها الإمام الحسن (عليها السلام)– أو بمعيّة باقي الأبناء– وهو أسلوبٌ تربويٌّ راقٍ في تعليم الأبناء وزرع روح العبادة في قلوبهم، خاصّةً أنّها دعت كثيراً وسمّت المؤمنين بأسمائهم وحاجاتهم وقدّمتهم على نفسها ممّا استرعى ملاحظة واهتمام ابنها واستفهامه، وهذا يعدّ انجازاً لها (عليها السلام) على مستوى ذاتها وأبنائها وذويها وجيرتها، بل وسائر المؤمنين والمؤمنات، ويدل على سعة بُعدها الاجتماعي وارتباطها بالنّاس والتعرّف على أحوالهم وحاجاتهم عن قرب، وبالدرجة التي تمكّنها من الدعاء لهم كلٌّ بحسبه وطبيعة مسألته.

وتعدّ (عليها السلام) مدرسةٌ لوحدها بهذا الشأن، فاستطاعت بعمرها القصير أن تنجز عملاً لا تسعه السنون والعصور، ولو لم يكن لها (عليها السلام) من نيّةٍ خالصةٍ وإيثارٍ تضحويٍّ شامخٍ غير تصدّقها على المسكين واليتيم والأسير – وهي صائمة ثلاثة أيام مع بعلها وأبنائها (عليهم السلام)– لكفى ذلك في وصولها إلى معالي الكمالات والفضائل، كيف وقد انصهر الخلوص والنّقاء بسائر أعمالها واندكّ وفنى بكلّ كيانها حتى بدى شيئاً واحداً. يقول تعالى: "{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُوراً}"(٣)، ويشير الطبرسي (رحمه الله) حول هذا الإطعام: " (ويطعمون الطعام على حبّه)" أي على حبّ الطعام، والمعنى: يطعمون الطعام أشدّ ما تكون حاجتهم إليه. وصفهم الله سبحانه بالأثرة على أنفسهم.

فأن حياتها (عليها السلام) مكللة بالصبر والرضا بقضاء الله سبحانه وتعالى، فمن صغرها رأت ما جرى على أبيها من أذيّة القوم، وما تبعه ولازمه من المعارك والغزوات، ثم تجرّعت الغصّة والداهية العظمى بعد رحيله (صلّى الله عليه وآله)، وكانت حادثة كشف الدار وانتزاع الوصاية وغير ذلك من المواقف الأليمة والصعبة التي تهدّ الركن وتُزلزل الجَنان، ولكن بإزاء هذا كلّه لم يسجّل لنا التاريخ أنّها (عليها السلام) فقدت صوابها وإيمانها تحت شيء ممّا

(١) الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي، معاني الاخبار،٦٤.

(٢) م.ن. ١٨١/١.

(٣) سورة الانسان: ٨–٩.

تقدّم، بل على العكس، كانت تقابل محنها بالرضا بالقضاء والتسليم لإرادة الله سبحانه –طبعاً هذا لا يعني تنازلها عن حقّها أو استسلامها لمنطق الجائرين والمتربّصين بالدين ورجالاته– وتحتسبه ضرباً من ضروب العبادة وألوان الطاعة.

وجاء في رواية موسى بن إسماعيل عن أبيه عن الإمام موسى الكاظم عن أبيه عن جدّه عن علي بن الحسين (عليهم السلام) قال: «إنّ فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبي (صلّى الله عليه وآله): لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله إن لم يراني فأنا أراه وهو يشمّ الريح، فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): "أشهد أنك بضعة مني"[١]. والقرآن عندما تحدّث عن مريم (عليها السلام) بقوله: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ}[٢]، ورد في حقّ فاطمة (عليها السلام) مثله: عن الحسن بن عبد الله الرازي التميمي قال: حدثني سيّدي علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن علي بن أبي طالب (عليها السلام)قال:" قال النّبي (صلّى الله عليه وآله): إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار"[٣] .

وانها (عليها السلام) لها وجاهة عظيمة وكبيرة جداً عند الله (سبحانه وتعالى) بحيث يصبح التوسّل بها مورد اهتمام الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) منذ عهد آدم (عليه السلام)، وتكون سلام الله عليها واسطتهم عند الله (عزّ وجلّ) في قضاء حوائجهم مع أنّهم وسائط بحدّ ذاتهم للتوسّل وقضاء حوائج النّاس. ففي الرواية عن داوود الرَّقِّي قال: "إِنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليها السلام)أَكْثَرَ مَا يُلِحُّ بِهِ فِي الدُّعَاءِ عَلَى اللَّهِ بِحَقِّ الْخَمْسَةِ، يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ (صلّى الله عليه وآله) وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ (صلوات الله عليهم)"[٤]. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سألت النّبي (صلّى الله عليه وآله) عن الكلمات التي تلقى آدم من ربه فتاب عليه قال: "سأله بحق محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ فتاب عليه"[٥] .

وهناك نوعاً من الهداية الخاصّة تشبه هداية القرآن–غير هداية الفطرة وغير الهداية التشريعية أو التي تنال بالاقتداء بالآخرين– لا تعطى إلا لنماذج خاصّة من البشر، بينما تفوت وتحجب عن البقيّة، وذلك لوجود الاستعداد لدى الأولى، وغيابه عن الأخرى، وهذا الاستعداد كلّما زاد وكبر كلّما كبر معه مقدار الاستفادة من هذه الهداية. ويستفاد من بعض الروايات أنّ أهل البيت (عليهم السلام) –ومنهم فاطمة (عليها السلام)– لهم تأثيرٌ خاصٌّ موهوبٌ من قبل الله تعالى في هداية بعض النفوس المضيئة والمستنيرة لتزيدها نوراً واستبصاراً، أما إذا لم تكن هي واقعاً لها جنبة استنارة منذ الأساس فلا يمكنها الاستفادة من هذه الهداية الخاصة. روي عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ خَلَقَهَا مِنْ نُورِ العَرْشِ ثُمَّ أَخَذَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ فَقَذَفَه

(١)المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ٤٣/ ٩١.

(٢) سورة الانبياء : ٩١.

(٣) الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي، عيون أخبار الرضا،٢/ ٦٣.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢/ ٥٨٠.

(٥) الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي، الأمالي،٧٥–٧٦.

فَأَصَابَنِي ثُلُثُ النُّورِ وَأَصَابَ فَاطِمَةَ ثُلُثُ النُّورِ وَأَصَابَ عَلِيّاً وَأَهْلَ بَيْتِهِ ثُلُثُ النُّورِ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى إِلَى وَلايَةِ آلِ محمّد وَمَنْ لَمْ يُصِبْهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ ضَلَّ عَنْ وَلايَةِ آلِ محمّد" [1] .

الخاتمة والاستنتاجات:

ختامًا أحمد الله رب العالمين، الذي وفقني لخدمة مولاتي الزهراء (عليهم السلام)، بأن اتناول الشيء اليسير عن سر خلقها واصطفائها بالكثير من المقامات والكمالات الالهية من قبل الله (سبحانه وتعالى)، التي عن طريقها فضلها على الائمة والكثير من الانبياء (عليهم السلام). وقد توصلت من خلال بحثي هذا الى مجموعة من أهم النتائج والاستنتاجات الموضوعية والمركزة وهي كالاتي:

١. إن فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتل كما يعتلون.

٢. ان الزهراء (عليها السلام)، خلقت من نور الله ، وقد خلق الله (سبحانه وتعالى) رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام) انوارًا في العرش قبل ان يخلق ادم (عليه السلام)، وهذا يدل على حجية فطمة الزهراء(عليها السلام) على الائمة والانبياء وان لم تكن قد بلغت النبوة الحقيقية والامامة ولكن وصلت الى مقامهما لانها بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وروحه وكما في قوله (صلى الله عليه واله وسلم):"فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله".

٣. تميّزت الزّهراء (عليها السلام) عمّن سواها ونالت سيادة الأوّلين والآخرين –مع أبيها وبعلها وصفوة بنيها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– وكانت المنتجبة والمصطفاة من النّساء على الإطلاق.

٤. امرأة تماثل فضائلها فضائل أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والعترة الطاهرة لانها امرآة ملكوتية روحانية، حقيقية كاملة ونسخة انسانية متكاملة .

٥. أنشأها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بإراددة إلهية لتكون تجربة عملية لرسالته السماوية إذ جسد فيها جميع اسس وتعاليم ومناهج السماء لتكون شاهد حق على مدى حقيقة تلك التعاليم وتطبيقها بصورة علمية لاستمرار الرسالة الإسلامية.

٦. حفظت الرسالة وصدقتها ودافعت عنها وكان ذلك واضحًا في زمن ابيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، اذ تجاوزت علاقته بابيها حدود العلاقة الابوية حتى سميت بـ(أم ابيها) وإن امومتها تضاف الى تلك الامومة المتعلقة بالرحمة وهي جزء من ارسال تلك الرسالة، فكانت مثالًا حيًا وانموذجًا صالحًا كما ارادتها السماء وأسوة حسنة يقتدى بها الرجال والنساء.

(١)الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي، الخصال، ١/ ١٨٧– ١٨٨.

المصادر والمراجع //

* ابن ابي زيد القيرواني، أبو محمد عبد الله (٣٨٦هـ / ٩٩٥م).

١. الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، ط٢، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

* ابن الاثير ، عز الدين (٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م).

١. الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م).

* ابن المغازلي، أبي الحسن علي بن محمد الواسطي الجلابي الشافعي (٤٨٣هـ)

١. مناقب علي بن أبي طالب، تحقيق: محمد باقر البهبودي، المكتبة الإسلامية، طهران– ايران (١٣٩٤ هـ).

* أبن حزم، أبي محمد علي بن احمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ / ١٠٦٤م)

١. المحلى، دار الفكر.

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م).

١. تاريخ ابن خلدون، دار الفكر (بيروت ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م).

* ابن خلكان، أبو العباس احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٣ م).

١. وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: أحسان عباس، دار الثقافة (لبنان د ت).

* ابن شهر أشوب، محمد بن علي (ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٣ م) .

١. مناقب ال ابي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الاشرف، الحيدرية (النجف الاشرف ١٢٧٦ هـ/ ١٩٥٦ م).

* ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسني، (٦٦٤هـ ق).

١. جمال الاسبوع بكمال العمل المشروع، تحقيق: جواد قيومي الاصفاني، ط١، مؤسسة الآفاق (١٣٧١ش).

* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ / ١٠٧٢م).

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط١، دار الجيل (بيروت، ١٤١٢هـ).

* ابن عبد ربه، احمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ / ٩٤١م).

١. العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م).

* ابن مردويه، أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه الاصفاني (٤١٠هـ).

١. مناقب علي بن ابي طالب وما نزل من القرآن في علي، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، دار الحديث، قم (١٤٢٢ق/ ١٣٨٠).

* أبو حنيفة، النعمان بن ثابت (ت١٥٠هـ / ٧٦٨ م).

١. وصية أبو حنيفة، مخطوطة تم نسخها في سنة ١٩٦٧م لمعهد الثقافة والدراسات الشرقية في جامعة طوكيو–اليابان–، تم الحصول عليها من احد الاصدقاء من سكنة ميسان.

* الابراهيمي، علي

١. تفسير أطيب البيان، دار الانصار، قم المقدسة.

* الآمدي، عبد الواحد بن محمد، (٥٥٠ ق).

١. غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق، سيد مهدي رجائي، دار الكتاب الاسلامي، قم (١٤١٠ق).

* التبريزي الانصاري، محمد علي بن احمد الفراجة داغي (١٣١٠هـ / ١٨٩٣ م).

١. اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (عليها السلام)، تحقيق: هاشم الميلاني، ط١، دفتر نشر الهادي (قم ١٤١٨ هـ).

* الحراني، ابن شعبة (٤ق).

١. تحف العقول، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، ط٢، قم– ايران (١٤٠٤ق– ١٣٦٣ش).

* الحسيني، شرف الدين (ت٩٦٥هـ).

١. تأويل الآيات، تحقيق: مدرسة الأمام المهدي (عجل الله فرجه)، ط١، (قم ١٤٠٧هـ– ١٣٦٦ش).

* خلف، رغد كريم عبد الله (٣–٨هـ/٩–١٤م).

١. السيدة فطمة الزهراء (عليها السلام) في المصنفات المغربية الاندلسية– دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير، جامعة واسط .

* الروحي القيرواني، أبي حسين علي (٥٦٧هـ / ١١٧٤م).

١. بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية (د م د ت).
* الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ / ٩٩٢ م).
١. علل الشرائع، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها (النجف ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦ م).
٢. من لا يحضره الفقيه، تصحيح: علي أكبر الغفاري، ط٢ (قم ١٤٠٤هـ).
٣. معاني الأخبار، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (١٣٧٩–١٣٣٨ش).
٤. عيون أخبار الرضا، تحقيق: حسين الأعلمي، (١٤٠٤–١٩٨٤م).
٥. الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (١٤٠٣– ١٣٦٢ش).
٦. الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة– قم (١٤١٧).
* الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن ايوب بن مطير اللخمي الشامي (٣٦٠هـ).
١. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، ط١، الرياض (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
* الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (٥٤٨ هـ / ١١٥٤م).
١. أعلام الورى باعلام الهدى، تحقيق: مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، ط١،مؤسسة آل البيت لأحياء التراث (قم ١٤١٧ هـ).
٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط٢، دار العلوم للتحقيق والنشر. بيروت (١٤١٥–١٩٩٥م).
* الطبري الصغير، أبي جعفر بن محمد بن جرير الشيعي (ت ق ٤ هـ).
١. دلائل الامامة، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة (قم ١٤١٣هـ).
*الطوسي، أبي جعفرمحمد بن الحسن، (٤٦٠هـ).
١. الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية– مؤسسة البعثة، ط١، (١٤١٤هـ).
* الغرناطي الكلبي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الجزي (ت ٧٥٨هـ / ١٣٥٨م).
١. الأنوار في نسب النبي المختار (صلى الله عليه وآله وسلم)، تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مكتبة سماحة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى (قم ١٤٣١هـ).
* القاضي النعمان، أبي حنيف بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٥م).
١. شرح الاخبار، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، ط٢، مؤسسة النشر الأسلامي (د م ، ١٤١٤).
* القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٣ م).
١. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أبو اسحاق ابراهيم اطفيش، دار احياء التراث العربي (بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م).
* القمي، الشيخ عباس.
٢. مفاتيح الجنان.
* القمي، علي بن إبراهيم (٣٢٩ن).
١. تفسير القمي، تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، ط٣، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم– ايران (١٤٠٤).
* الكجوري، محمد باقر، (١٢٥٥هـ).
١. الخصائص الفاطمية، تحقيق: سيد علي جمال اشرف، ط١، ج١.
*الكليني، محمد بن يعقوب، (٣٢٩/ ٣٢٨هـ).
١. الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الاسلامية.
* المجلسي، محمد باقر.
١. بحار الانوار، ج٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، ١٩٨٦م.
٢. بحار الانوار، ج١٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، ٢٠٠١م.
٣. بحار الانوار، ج٤٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، ٢٠٠٨م.
* المسعودي، محمد فاضل (د ت)
١. الاسرار الفاطمية، تقديم السيد عادل العلوي (قم ١٣٧٨هـ/١٩٩٩م).
* المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢ م).

١. أمتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، ط١، منشورات علي بيضون _ دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م).

* الموسوي، يوسف حلو خضر الناجي

١. قبس من أنوار الزهراء الملكوتية والملكية، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر، ط١، (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).

* النيسابوري، محمد بن الفتال (٥٠٨هـ).

١. روضة الواعظين، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم – ايران.

* الهيثمي، ابن حجر

١. الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة، ط٢، (مصر ١٩٦٥م).

* مجهول، (ق ٤ هـ).

١. القاب الرسول وعترته، مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي (قم ١٤٠٦هـ).

* نعمة الله الجزائري، الموسوي (ت ١١١٢هـ / ١٧٠١م).

١. النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، منشورات الشريف الرضي (قم. ايران، دت).

٢. نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين (أنيس الوحيد في شرح التوحيد)، تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مؤسس النشر الأسلامي (قم ١٤١٧هـ).

المواقع الالكترونية:

١. https://www.ralqalam.com/article/categories

الدور الريادي الاجتماعي لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليه السلام) في الاسلام

م٠م٠عماد اياد حسين التميمي/ مديرية تربية واسط

lran.online79@gmail.com

م٠حسام حسين عباس التميمي/ كلية الامام الكاظم(ع)–اقسام واسط

hsamaltmymy81@gmail.Com

المقدمة

يهدف البحث للتعرف على الدور الاجتماعي لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) ولتحقيق مرمى البحث اتبعنا المنهج الوصفي الاستقرائي باستقراء أحاديث رسول الله (ص) وروايات آل البيت (ع) بحق الزهراء البتول (ع). وقد جاء البحث على ضوء المحاور التي حددها المؤتمر في حياة السيدة الزهراء(ع) ثم تطرقنا الى مولدها ومكانتها عن الرسول (ص) وعلاقتها مع المجتمع من خلال تعاملها وتوجيها للمجتمع.

اولا - الزهراء (عليه السلام) ولادتها ونشأتها ٠

هي فاطمة بنت محمد بن عبدالله نبي الامة وهاديها (ص) وأمها خديجة بنت خويلد (ع) زوجة رسول الله واكثر من آزره في بداية نبوته (ص). الحوراء الانسية لها تسعة أسماء يرمز كل منها لصفات ومناقب هذه السيدة الطاهرة المباركة وهي: (فاطمة، الصديقة ، الطاهرة ،المباركة ،الزكية، الراضية، المرضية ، المحدثة ، الزهراء). وكفى باسمها (فاطمة) الذي حمل البشارة الكبرى لمواليها ومحبيها ، فلفظ فاطمة قد أخذ من مادة (فطم) بمعنى (الانفصال) ومنه فطام الولد بمعنى فصله عن الرضاعة، فقد ورد في الحديث أن رسول الله (ص) قال لأمير المؤمنين (ع) (أتعلم يا علي لم سميت أبنتي فاطمة ؟ قال (ع) لم يا رسول الله(ص) فقال (ص) إن الله عز وجل فطمها ومحبيها من النار فلذلك سميت فاطمة ويتألق أسم الزهراء (ع) من بين أسماها ، وحين سئل الصادق (ع) لم سميت فاطمة بالزهراء؟ قال (ع) (لأن الزهراء كانت زاهرة كالنور، فاذا وقفت في محرابها للصلاة كانت تزهر لاهل السموات، كما تزهر النجوم لاهل الارض، ولهذا سميت بالزهراء)(١).

وكان رسول الله (ص) يعيش أصعب الظروف وأعقدها ، في العام الخامس من بعثته النبوية الشريفة، والاسلام في عزلة خانقك، والمسلمون الأوائل قلائل وتصاعدت حدة الضغوط، فضلًا عن اجواء الظلم التي كانت القت بظلالها على مكة، إثر الشرك والوثنية، والجهل والحروب القبلية العربية، وسيادة منطق القوة، واستشراء الفقر والحرمان في صفوف الناس، كان رسول الله (ص) يتطلع الى الغد المشرق الكامن وراء السحب السوداء الداكنة. وجاءت واقعة المعراج الكبرى، التي اذن الله فيها الرسول (ص) بالعروج لمشاهدة ملكوت السماء (لنريه من آياتنا)(٢) فيرى عظم آيات ربه بعينك، ويتأهب لتلقي ثقل الرسالة المصحوبة بسعة الامل، فقد روي الفريقان– السنة والشيعة – إن رسول الله (ص) وطا الجنة ليلة المعراج، فناوله جبرئيل (ع) فاكهة من شجرة طوبى، فلما عاد الى الارض انعقدت نطفة فاطمة من تلك الفاكهة ولذلك جاء في الحديث ان الرسول (ص) قال: (إن فاطمة إنسية الجنة ، فكلم اشتقت الى الجنة جعلت اقبلها)(٣) .

إن اهم ما يميز الزهراء–ع– انها امراة روحانية، قامت بدورها الرسالي الذي خطه الباري لها واكده رسول الله –ص– فبذريتها بدأ خط الإمامة المبارك ، وبناءً على اعداد رسول الله –ص– لها واشرافه على توجيهها وفقا لما تقتضيه إرادة الله تعالى باتت –ع– في مبادئها واخلاقها كما لو كانت آية الباري تبارك في علاه تمشي على الأرض لأنها تجسيد حي وعملي لكل ما يريده الله تعالى، قال رسول الله– ص – " ان اول شخص يدخل عليَّ الجنة فاطمة بنت محمد"(٤)

بعد العام العاشر للهجرة أُصيب المسلمون بعام سمي بعام الأحزان إذ فقد فيه رسول الله –ص– إثنين من أَشد من آزره في دعوته زوجته السيدة خديجة الكبرى وعمه الذي لم يدّخر جهداً في الدفاع عنه "ابي طالب" فحزن رسول الله حزناً شديداً، وبقي وحده في الساحة، وقد بانت شدة حزنه بهذين الشخصين– والذين كان لكل منهما دوره في انتشار الإسلام– حين سمى ذلك العام بعام (الأحزان) .

ومن الالطاف الإلهية ان يهب الباري تبارك في علاه لرسوله –ص– علي ابن أبي طالب –ع– الذي كان كأبيه ، يقي رسول الله –ص– بنفسه ، كان كذلك من انبثاق الدعوة وهكذا سد الفراغ الذي تركه اباه لعد رحيله، بينما خلّفت فاطمة الزهراء–ع– امها في رعاية رسول الله–ص– فكانت البنت الحنونة الشجاعة والمضحية ، التي وقفت إلى جانب ابيها تشد ازره ، وتشاركه همه وغمه. وكان أمير المؤمنين–ع– في التاسعة عشر من عمره، بينما لم تكن فاطمة– على ضوء الروايات الصحيحة – قد جاوزت الخامسة من عمرها، والجدير بالذكر أنهما عاشا معاً في بيت رسول الله–ص– ، يؤنسانه ويخففان عنه ألم الوحدة فقد كانت السنوات الثلاث الأخيرة التي سبقت الهجرة مملوئة بالاذى والمرارة والمعاناة بسبب الجهود المضنية التي كان يبذلها أعداء الدعوة من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين.

لقد نالت قريش من رسول الله –ص– من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة ابي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على راسه التراب، فدخل رسول الله(ص) بيته والتراب على راسه، فقامت اليه فاطمة –ع– فجعلت تمسح التراب عن رأسه وهي تبكي، ورسول الله (ص) يقول لها: (لا تبكي يا بُنيتي، فإن الله مانع اباك)(٥)٠ وروي عن ابن عباس: ان قريشاً اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا بأللات والعُزى ومناة لو رأينا محمداً لقمنا مقام رجل واحد ولنقتلنه ، فدخلت فاطمة –ع– على النبي –ص– باكية وحكت له مقالهم ، فقال: (يا بُنتي إدني وضوئي فتوضأ وخرج إلى المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا وخُفضت رؤوسهم وسقطت اذقانهم في صدورهم فلم يصل رجل منهم ، فأخذ النبي –ص– قبضةً من التراب فحصبهم بها ، وقال: (شاهت الوجوه فما اصاب رجلاً منهم إلا قُتل يوم بدر)(٦)٠

ومما يؤكد عظم تفكيرها –ع– انها لم تقتصر في رعايتها لرسول الله –ص– في داخل البيت فقط بل تعدى ذلك للدفاع عنه ضد المشركين مع انها ام تبلغ من العمر الكثير، وهذا ما يدل على عظم تفكيرها وحسن تدبيرها إذ سبق عقلها وعملها عمرها وخو ما لا يستغرب مع عالمة غير متعلمة تلقّت علماً عظيما ونشأت في كنف النبوّة. وتورد الروايات انها كانت الوحيدة في الدفاع عن رسول الله –ص– عندما رمى عليه ابو جهل روث البقر، وهو –

ص– يصلي واصحابه عند الكعبة، فلم يجرؤ احد على التدخل ، لكنها خرجت واسمعت ابا جهل ما روّعهُ عن الاستمرار في السخرية من النبي (ص).

هكذا كانت (ع) مثالاً للشجاعة عند افتقار الجرأة في الشجعان من الرجال في الدفاع عن رسول الله ص، وبعد أن انقضت فصول معركة أُحد، وغادر جيش العدو ساحة الوغى، كان رسول الله –ص– لا يزال في ميدان أُحد وقد كُسِرَتْ رباعيته وشُجّت جبينه، وبينما هو كذلك إذ أقبلت فاطمة–ع– وهي صغيرة السن من المدينة إلى أُحد سيراً على الاقدام، لتقوم بغسل وجههُ المبارك وإزالة الدم عن محياه الشريفة ، لكن الجبين لم يزل ينزف، عندها قامت بحرق قطعة من الحصير ثم وضعت رماده على مكان الجرح فإنقطع النزيف ، والإعجاب من ذلك انها كانت تُهيء لأبيها السلاح في المعركة التي جرت في اليوم التالي(٧)٠ وفي معركة الاحزاب التي هي من أهم الغزوات الإسلامية ، وفي أحداث فتح مكة عندما انتصر جنود الإسلام على آخر متراس للمشركين، والسيطرة على البيت العتيق وتخليصه من الاصنام التي كانت تلوّثه ،نرى الزهراء(ع)واقفة إلى جانب ابيها –ص– ففي الخندق تُقبل عليه بأقراصٍ من الخبز معدودة، وفي الفتح المبين نراها تضرب له خيمته وتهيء له ماءً ليستحم ويغتسل، ويرتدي ثياباً نظيفة يخرج بها للمسجد الحرام .

ثانيا : سيدة نساء العالمين (عليها السلام) تصف المجتمع وتتعامل معه:

لقد وصف أمير المؤمنين علياً (ع) قبل بزوغ فجر الإسلام بالقول: (وانتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار، تنيخون بين حجارة خشن، وحيّات صم ، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دمائكم، وتقطعون ارحمائكم، الاصنام فيكم منصوبة، والآثام فيكم معصوبة) (٨)، ويبين (ع) ان العرب كانت على شر دين وهو الإشراك بالله تعالى ولذا باتت ديارهم شر دار إن لم يؤمنوا بالله تعالى، ثم وصف أحوالهم بأنهم يعبدون الاصنام ويشربون الخمر فتذهب عقولهم، ويقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق وكل ذلك يعود إلى تعنتهم وعدم إيمانهم ويستمر هذا الحال ما دامت الاصنام منصوبة وموجودة وهو ما يسبب إثقالكم بالأنام، واستمر (ع) ببيان ظلمة الجهل الديني الذي استشرى بالمجتمع فباتت أحوال العرب مضطربة وبات رأيهم مختلف وحتى في جمعهم يمثلون قلة لعدم توحيد كلمتهم وتوحيد صفّهم، وبات الجهل مسيطر عليهم، حتى وأدوا بناتهم وعبدوا اصنامهم وقطعوا ارحامهم ، ولعله (ع) في حديثه هذا إنما يشير إلى أمراض انتشرت واستشرت قبل انتشار الدين الإسلامي.

لقد لخّصت الزهراء (ع) عبر خطبتها حال المجتمع آنذاك بقولها: (فرأى الأمم فرقاً في اديانها، عكّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلات، وموطئ الاقدام، تشربون الطَرقْ، وتقتاتون الورق، اذلةً خاسئين، تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم(٩). وبعد بزوغ الغجر المحمدي وانتشار الدين الإسلامي تغيرت طائفة من ذلك المجتمع، فسارت على نهج الهداية الذي رسم خطوطه ومهّد طريقه رسول الله (ص) وسار على ذات النهج آل البيت (ع)، فأخذوا يربون المجتمع على الدين وعرّفوا الناس أحكام الإسلام التي جعلتهم خير المجتمعات، وكان أبرز من ساهم في تربية المجتمع الإسلامي تربية سليمة السيدة الزهراء (ع) فكانت علاقتها بالمجتمع علاقة وثيقة وإن كانت جليسة الدار.

ثالثا: العلاقة العلمية بين الصديقة الزهراء (عليه السلام) والمجتمع٠

لا يختلف عاقلان على ان الصديقة الزهراء (ع) غير متعلمة فهي ذات علمي لدنّي رباني، ومن يشك في ذلك عليه ان لا ينسى انها بضعة المختار (ص)، وانها نشأت وتربت في كنف النبوة وتعلمت من علم الهادي الأمين (ص). فقد باتت الصدّيقة الطاهرة تنشر من بحر علومها وتعلّم البشرية من معارفها الغزيرة طيلة ايام حياتها، بل كانت تبرز من علومها عندما يحير الآخرون في الجواب ليتعلم المجتمع الأكبر، ومصداق ذلك نروي بعض الروايات التي تثبت العلاقة العلمية بين الزهراء والمجتمع ومنها:

ففي رواية عن الإمام العسكري –ع– انه قال: حضرت امراة عند الصديقة الزهراء–ع– فقالت: ان لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعتني إليك أسألك، فأجابتها الزهراء(ع) عن ذلك فثنّت فأجابتها، ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا اشق عليك يا إبنة رسول الله(ص) فقالت الزهراء(ع) هاتي وسلي عما بدا لكِ، أرأيت من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مئة الف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا فقال (ع): اكتريت انا لكل مسألة بأكثر مما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى ان لا يثقل عليّ(١٠). ومما يؤكد عظم علومها وعلو شأنها ما ورد في خطبتها الغرّاء المليئة بالمعارف والأحكام، وذلك لما رأت المجتمع الإسلامي اخذ يتوجه نحو طريق الانحراف فسعت إلى توعيته من عمق المصيبة وشدة الخطب علها تعيده إلى رشده وصوابه، لكن وللأسف الشديد كان الشيطان قد استحوذ عليهم وانساهم ذكر الله . فها هي –ع– تنبه المجتمع لما يمكن عده علاجاً للأمراض التي قد تستشري به فتهدي الناس إلى طريق الصواب : فجعل الله لكم الإيمان تطهيراً لكم من الشرك وتنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق والصيام تثبيتا للإخلاص والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وامامتنا اماناً من الفرقة(١١)، فضلا عن تعليمها للنساء ما يشكل عليهن من الأحكام الشرعية والمعارف الإلهية الضرورية ، وكان يخشاها نساء المدينة وجيران بيته٠

ويبدو ان بيتها كان المدرسة النسائية الأولى في الإسلام، حيث تقبل عليها النساء طالبات للعلم، فيجدن فاطمة العالمة وهي تستقبلهن بصدر رحب لا يعرف الملالة والسأم. ولم يقتصر دور الزهراء –ع– على تعليم النساء بل كانت تطرف القاصدين إليها بما عندها من العلم والمعرفة، فعن ابن مسعود قال : جاء رجل إلى فاطمة بنت رسول الله (ص) فقالت: يا إبنة رسول الله (ص): هل ترك رسول الله (ص) عندكِ شيئاً تطريفينه، فقالت: "يا جارية، هاتي تلك الحريرة" فطلبتها فلم تجدها ، فقالت : ويحك اطلبيها ، فإنها تعدل عندي حسناً وحسيناً"(١٢)٠

فطلبتها فإذا هي قد قمّتها في قمامتها، فإذا فيها: قال رسول الله–ص–: ليس من المؤمنين مَنْ لم يأمن جاره بواقئه. ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او يسكت . إن الله يحب الخيّر الحليم المتعفف، ويبغض الفاحش الضنين السَّئال الملحف، ان الحياء من الإيمان، والايمان في الجنة ، وأن الفحش من البذاء ، والبذاء في النار"(١٣)٠ وكان للزهراء –ع– مشاركة فعالة ومؤثرة في الدعوة إلى الله تعالى في مواقع مختلفة اهمها المباهلة مع النصارى، إذ نزل فيها قرآن يُتلى إلى يوم القيامة (ونساءنا ونساءكم). فقد اختصت هي (ع) دون غيرها بهذا الفضل ولم يشركها فيه احد من نساء الأمة(١٤).

أن الروايات السالفة الذكر تؤكد عظم العلاقة الروحية بين الزهراء البتول –ع– والمجتمع، إذ جسدت عظم تلك العلاقة ومدى حرص الزهراء على التواصل مع ذلك المجتمع وتقديم النصح والإرشاد ، والتوجيه له لتفادي المشكلات الاجتماعية وممارسة حلها، مع ان هذه الروايات لا تمثل النزر اليسير.

رابعا : العلاقة الروحية بين الزهراء-ع- والمجتمع ٠

لا تتشكل المجتمعات من علاقاتها المادية فقط بل هناك علاقات اهم واسمى من العلاقة المادية الا وهي العلاقة الروحية، ومتى كانت هذه العلاقة متينة ومبنية على أسس قوية ، يكون المجتمع متقدماً لا يُهزم أمام العقبات والمشاكل مهما كانت، اما اذا كان المجتمع منهزماً روحياً فسيهزم أمام ابسط المشاكل، وخير ما يُجسد العلاقة الروحية بين الزهراء–ع– انها لم تنسى دورها الاجتماعي حتى في عبادتها ، فقد كانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، متحلية بالخلق النبوي والادب الإسلامي الرفيع، لقد ركزت الصديقة الطاهرة –ع–على البعد الروحي للمجتمع ، والشواهد على ذلك كثيرة ، منها ما نقله الإمام الحسن المجتبى –ع– قال : رأيت امي فاطمة –ع– قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشي ، فقلت لها: يا أماه لمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟ فقالت: يابني الجار ثم الدار ٠ وكانت تعمل الصدّيقة على أن يكون المجتمع مرتبطاً روحياً بحيث لا ينسى الآخرين في افضل الأوقات وهي ساعة الارتباط بالله عز و جل والتوجه إليه. وفي رواية أخرى عنها (ع): انها سمعت ان رسول الله(ص) أراد أن يجعل مهرها من الدراهم اغتنمت الفرصة ونظرت إلى المجتمع ولم تنسه حتى في مثل هذه الأوقات فقالت لا بيها إن بنات الناس يتزوجنَّ بالدراهم ، فما الفرق بيني وبينهن؟ أسألك أن تردها وتدعو الله أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة امتك ، فنزل جبريل ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها : جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبين من أمة ابيها (١٥).

قائمة المصادر والهوامش٠

١–أبي جعفر بن شهراشوب المازندراني ، مناقب آل أبي طالب ، تحقيق : يوسف البقاعي ، دار الأضواء ، لبنان –بيروت ، ط١ ، ج١ ، ص١٣٥ .

٢–القرآن الكريم .

٣–الأصول من الكافي ، الشيخ أبي جعفر بن يعقوب أبن إسحق الكليني الرازي ، دار الكتب الأسلامية ، ط٢ ، ج٢ ، ص٣١٥ .

٤–الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، إبن حجر الهيثمي ، دار المعرفة ، مصر ، ط١ ، ١٨٩٩ ، ص٢٨٩

٥–كتاب الأمالي ، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن علي الطوسي ، تحقيق وتصحيح : بهرات الجعفري – الاستاذ علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الأسلامية ، ط١ ، ١٣٦٣ ، ج١ ، ص٢١١ .

٦–الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي –بيروت ، ط١، ١٤٠٧ ، ج٢، ص٠٣٦٧

٧–أمالي الصدوق ، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، منشورات مؤسسة الأهلي للمطبوعات ، ١٤١٧ ، ط١ ، ج١ ، ص٤١٠ .

٨–بحار الأنوار ، المجلسي : الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، منشورات مؤسسة الأهلي للمطبوعات ، ط٢ المصححة ، ١٤٠٣ ، ج٣٤ ، ص٧٠٦ .

٩–ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري ، دار الكتب المصرية ، ١٣٦٥ ، ط١ ، ص١٥٨ .

١٠–سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي ، المكتبة المصرية ، ط١ ، ١٤١٠ –١٩٩٠ ، ج١ ، ص١٦٥ .
١١–سنن الترمذي (مع أحكام الألباني) ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، المحقق : محمد ناصر الدين الألباني ، مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف للنشر ، ط١ ، ١٤٠٦ ، ص٦٢٢ .
١٢–السيرة البوية (سيرة بن هشام) ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار بن كثير ، بيروت –لبنان ، ط٢، ج٢ ، ص٦١٥ .
١٣–شرح نهج البلاغة ، أبن ابي الحديد المعتزلي ، تحقيق : محمد أبراهيم ، دار الكتاب العربي ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، ، ط٣ ، ٢٠٠٧ ، ج١ ، ص٢٧٥ .
١٤–صحيفة الأمام الرضا –عليه السلام– ، طبع مؤسسة الأمام المهدي ع ، قم ، ١٣٦٦ ، ط١، ص٤١١ .
١٥–الصحيفة الجامعة لأدعية سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ع وشبليها ، السيد محمد باقر موحد الأبطحي الأصفهاني ، مؤسسة الأمام المهدي ، قم المقدسة ، ١٩٨٦ ، ص٤٥ .

المنحَى الاحْتِجَاجيّ والاسْتِشْرَافيّ في الخُطْبةِ الفَدَكيّة

م.م علي حسن رحيمة

مكتب مجلس النواب – واسط

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين، أما بعدُ، فقد زخر التراث الإسلامي بفكر عظيم، واتخذ اتجاهات عدة من بينها الاتجاه الاجتماعي، فقد أولى أهل البيت (عليهم السلام) الجانب الاجتماعي عناية كبيرة، وقد ظهر ذلك في كلمات السيد فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها الفدكية الشهيرة، وقد آثرت أن أقسم ورقتي البحثية على مبحثينِ، ذكرت في المبحث الأوّل المنحى الاحتجاجي لدى الزهراء ع في كلماتها، محاولا الوقوف على محطات من ذلك، وبعد ذلك انتقل للحديث في المبحث الثاني عن المنحى الاستشرافي في خطبتها ع وتنبؤها بمآل المجتمع المسلم، سائلا الله عزّ وجلّ التوفيق والسداد إنه نعم المجيب .

As for what follows, the Islamic heritage was full of great thought and took several directions, including the social one. The Ahl al-Bayt, peace be upon them, gave the social aspect great care, and this was evident in the words of Sayyid Fatima al-Zahra (peace be upon her) in her famous sermon on Fadakia. I chose to take the protest side of Al-Zahraa in her words, trying to stand on stations, and then he moved on to talk about the forward-looking visions in her sermon, peace be upon her, and her prediction of the fate of the Muslim community, asking God Almighty for success and payment. Tha who

المبحث الأوّل : المنحى الاحتجاجيّ في الخطبة الفدكيّة

في البدء ينبغي الإشارة إلى الخطبة الفدكية والمصادر التي وردت فيها فقد وردت في الشافي ذكرها السيد المرتضى[١] ورواها المسعودي في مروج الذهب [٢]وذكرها صاحب كشف الغمة [٣]ووردت في البحار حيث أوردها العلامة المجلسي [٤] وذكرها ابن أبي الحديد في شرحه[٥]

بدأت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بحمد الله وتمجيده وتوحيده، بعد ذلك انتقلت للصلاة على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أوردت كلمات عظيمة تزخر بمعاني التوحيد والعبودية والتمجيد للحق تعالى. ثم قالت: "أيّها الناس اعلموا : إنّي فاطمة وأبي محمّد- صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أقول عَوداً وبدواً ولا أقول ما أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل شططاً" فأجهش[٦] القوم لها بالبكاء، يبين هذا النص سيطرة الجانب الروحي والاجتماعي لدى الزهراء ع في المجتمع وتأثيرها الروحي الذي نعبر عنه بالكاريزما وقوة الشخصية وبلاغة وصدق الخطاب وقوة الحجج والبراهين وبيان ذلك بأجمل أسلوب ورد الحجة بحجة أبلغ وبيان أوضح كما سنقف على جملة من ذلك.

---

(١) – ينظر الشافي :٤ /٦٩-٧٢.

(٢) – ينظر مروج الذهب : ٢ /٣٠٤،

(٣) – ينظر كشف الغمة ١/ ٤٨٠– ٤٩٢،

(٤) ينظر بحار الأنوار: ٢٩ /٢١٥،

(٥)– ينظر شرح نهج البلاغة ١٦ /٢١٠.

(٦) أجَهْشُ : أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء ، كالصبيّ يفزع إلى أُمّه وقد تهيّأ للبكاء . الصحاح : ٣ / ٩٩٩.

أتت الزهراء ع على بيان القيمة الاجتماعية والعلل الدينية في قضايا العقيدة والفقه، أي الجانب الأصولي والجانب الفرعي. تقول ع في ذلك: "فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام..."(١)

وبيان أثر ذلك في تنظيم المجتمع وعدم تفرقه وشرذمته وتحزبه وعزل أهل الحل والعقد الذين نص عليهم القرآن الكريم والرسول الأعظم ص.

خروج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يبين الواقع الاحتجاجي والمطالبة بالحقوق المسلوبة، من قبل السلطة ورفض الظلم فهي ع بكلماتها مثلت الاحتجاجي السلمي بأبهى صوره ،مطالبة بحقها رافضة ظلم السلطة، محتجة بأجلى الحجج وأوضحا بيانا وأعلاها برهانا، فهي ع تؤسّس للاحتجاج الواقعي والإنساني. يقول السيد الشهيد محمد الصدر في بيان المطالبة بالحقوق "إنّ كل فرد صاحب حق إذا حرم من حقه و أخذه منه الظالمون فإن له الحق أن يُطالب بحقه، وأن يُذكر المجتمع به ،وأن يبرز حججه وبيناته على ثبوته ما أوتي إلى ذلك من سبيل، وهذا لا ينبغي أن يكون محل شك إطلاقاً، والمهم أن الأصل في كل ذي حق أن يدافع عن نفسه ، ويطالب بحقه، لا أن يدافع عنه غيره، لكن حينما تقتضي المصلحة العامة غير ذلك فلا بأس أن يدافع الكثيرون عن الحق المغصوب والظلم المتراكم"(٢)

ومن هنا نعلم قيمة التكليف الذي قامت به عليها السلام، وانطلقت بدءا بالتعريف بحقها ومكانتها السامية (أيها الناس الموا أني فاطمة وأبي محمد) فقد اتخذ خطابها الفدكيّ اتجاها عامًّا ولم يكن خاصًّا فهي لم تقل يا أيها المسلمون أو المؤمنون، زيادة على ذلك سيطرة الحجاج على لغة الخطبة "وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفَحُكم الجاهليّة تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟!! أفلا تعلمون؟ بلى، قد تجلّى لكم كالشّمس الضاحية : أنّي ابنته"(٣).

وقد اتخذت الخطبة الفدكية جانب الاستفهام التوبيخي والتقريعي، وهو معنى بلاغي تخرج فيه الهمزة عن المعنى الأصلي لمعان أخر، منها الإنكاري يقول ابن هشام في المغني "قد تخرج الْهمزَة عَن الِاسْتِفْهَام الْحَقِيقِيّ فَترد لثمانية معَان... وَالثَّانِي الْإِنْكَار الإبطالي وَهَذِه تَقْتَضِي أَن مَا بعْدهَا غير وَاقع وان مدعيه كَاذِب نَحْو "{أفأصفاكم ربكُم بالبنين وَاتخذ من الْمَلَائِكَة إِنَاثًا} الإسراء :٤٠{فاستفتهم ألربك الْبَنَات وَلَهُم البنون} الصافات:١٥٠ {أفسحر هَذَا}الطور:١٥ {أشهدوا خلقهمْ} الزخرف:١٩ {أَيُحِبُّ أحدكُم أَن يَأْكُل لحم أَخِيه مَيتا} الحجرات: ١٢" (٤)

(١) بحار الأنوار:٢٩/٢٢٠ –٢٣٣

(٢) منبر الصدر : ٥٤.

(٣) – بحار الأنوار ٢٩/ ٢٢٠– ٢٣٣

(٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ١ /٢٤

ونجد في كلام الزهراء (عليها السلام) أسس الاحتجاج وقوة الحجة، والدليل فالجانب الاحتجاجي نجده مهيمنا على ثيمة النص، وهي تؤسّس للمجتمع عامة، وللمرأة خاصة احتجاجا سلميًّا، ومن أسس الاحتجاج الخروج وبيان الدليل وعرض ورقة الاحتجاج، ومن ثَمَّ إلقاؤها بخطاب علنيّ مباشر، والوقوف أمام السلطة الخلافة، وقد روي عن رسول الله (ص) أنه قَالَ "إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ"[١] وعلى الرغم من أن المرأة تتماز بطبيعة تختلف عن الرجل، من حيث القوة والجرأة في الثورة ؛ لأن الثورة تحتاج لقوة جسدية واستعداد للتضحية، فضلا على سقوط الجهاد بالنسبة للمرأة والخروج على الحكام إلا أن الزهراء ع قد مثّلت الشخصيّة القوية الفذّة الثائرة المطالبة بحقوقها فنراها حملت بجرأة قلّ نظيرها وببيان واضح بليغ وكانت قد انمازت بـ: "جرأة أدبية، وملكة بيانية مؤثرة، وقدرة على صب معاني الثورة كلها في كلمات وبراعة فنية في تصوير النقمة ونقد الأوضاع القائمة تصويراً ونقداً يجعلان في الألفاظ معنى من حياة، وحظاً من خلود، لتكون الحروف جنود الثورة الخيرة، وسندها الخالد في تاريخ العقيدة ، ولكنه الإيمان والاستبسال في سبيل الحق الذي يبعث في النفوس الضعيفة نقائضها ، ويفجر في الطبائع المخذولة قوة لا تتعرض لضعف ولا تردد . ولذا كان اختيار الثائرة لهذا الطريق مما يوافق طبعها ، ويلتئم مع شخصيتها المركزة على الانتصار للحق ، والاندفاع في سبيله"[٢]. فهي ع خرجت مواجهة الخليفة موجهة كلماتها في محضر حاشيته ومكان حكمه وسلطته قائلة له: "يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث اباك ولا..."

ويرى بعض المحدثين أنّ "الحركة الاحتجاجية تعرف بأنّها إقدام جماعة ما على القيام بفعل اعتراض ضد جماعة أخرى، وذلك حول قضية محددة وملحة الوجود، وهي بهذا المعنى عامة ومتعددة الأشكال ومتنوعة الأساليب. فهي كفعل اعتراض أحد أبرز الأشكال التي تستخدمها الحركات الاجتماعية أو السياسية في مواجهة السلطة، ولها عدة نماذج قد تأخذها في استخدام القوة والتواصل مع الآخرين وسرعة التكيف، بعضها نماذج ناعمة والأخرى حازمة. وما يميزها كفعل اعتراضي هو كسرها للروتين اليومي في الحياة العامة من خلال العمل العنفي أو العمل الشرعي؛ بالتظاهر أو العصيان أو الاعتصام، أو غير ذلك من الممارسات"[٣]. أضف إلى ذلك توظيف النصوص القرآنية الكريمة مما يقوي الحجة ويعضد البرهان، ويجعل الخصم ضعيفا لا يدري جوابا ، وقد ذكرت ع نصوص الإرث لدى الأنبياء خاصة ونصوص الإرث عامة قال تعالى : {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ } النمل: ١٦، وقال جلّ اسمه {وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} مريم: ٥-٦.{وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} الأنفال: ٧٥.{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ

(١) سنن الترمذي:٨/٣٤٥.

(٢) – فدك في التاريخ: ٧-٨.

(٣)– .الحركات الاحتجاجية ودورها في مخرجات التغيير السياسي العربي – دراسة مقارنة بين مصر وتونس والبحرين إسراء جمال رشاد عرفات:١٩.

مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} النساء: ١١"

زيادة على ذلك الاقتباس القرآني يجعل النص متناسقا جميلا يبين بلاغة اللفظ وفصاحته حيث تقول ع: "وزعمتم : أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصَّكم الله بـ آية من القرآن أخرج أبي محمّداً (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) منها؟ أم هل تقولون: إنّ أهل الملّتين لا يتوارثان؟ أوَ لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحَكَم الله، والزعيم محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم ما قلتم إذ تندمون، ولكلّ نبأ مستقرّ، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم"[١] وقد جاءت كلماتها في استنهاض الأمة في رفض الظلم وردعه، وتذكير المهاجرين والأنصار، وعدم السكوت والنكوص أمام السلطة مهما كانت تقول في ذلك: " يا معشر النقيبة وأعضاد الملّة وحضنة الإسلام، ما هذا الغميزة في حقّي والسِّنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»؟ سرعان ما أحدثتم..."[٢]

جاء في لسان العرب "النخبة... نخب: انْتَخَبَ الشيءَ: اختارَه. والنُّخْبَةُ: مَا اخْتَارَهُ، مِنْهُ. ونُخْبةُ القَوم ونُخَبَتُهم: خِيارُهم. قَالَ الأَصمعي: يُقَالُ هُمْ نُخَبة الْقَوْمِ، بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِ الخاءِ. قَالَ أَبو مَنْصُورٍ وَغَيْرُهُ: يُقَالُ نُخْبة، بإِسكان الخاءِ، وَاللُّغَةُ الْجَيِّدَةُ مَا اخْتَارَهُ الأَصمعي. وَيُقَالُ: جاءَ فِي نُخَبِ أَصحابه أَي فِي خِيَارِهِمْ. ونَخَبْتُه أَنْخُبه إِذا نَزَعْتَه. والنَّخْبُ: النَّزْعُ. والانْتِخابُ"[٣] وفي خطابها هذا تريد ع استنهاض الأمة من الأنصار والمهاجرين بكلمات قلّ نظيرها، فهي تفرغ عن لسان أبيها محمد. ص. أضف إلى ذلك لغة الحوار بينها وبين الخليفة أبي بكر، حيث احتجّ عليها بقول رسول الله "إنّا معاشر الأنبياء لا نورث" في حين احتجّت بحجة أبلغ، وردّت عليه ببيان أوسع لا قبل للعالمين على مواجهة سطوة بيانها، ودليل احتجاجها، ووضوح نصوصها، وقوتها على مستوى الدليل القرآني والنبوي والقرائن الأخرى، مؤكدة ذلك بقولها: "أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فريّاً على الله ورسوله! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم" وقد أتت على عرض آيات الإرث وبيان سير الأنبياء السابقين ع.

ولم يكن الاحتجاج بفدك لغرض ماديّ إنما لغاية سامية تستبطن ما وراء فدك وهو الولاية والخلافة الحقّة لآل البيت عليهم السلام يقول السيّد الشهيد محمد باقر الصدر: "فالمسألة إذن ليست مسألة ميراث ونحلة إلا بالمقدار الذي يتصل بموضوع السياسة العليا، وليست مطالبة بعقار أو دار، بل

(١) بحار الأنوار:٢٩/ ٢٢٠-٢٣٣

(٢) – بحار الأنوار : ٢٩ / ٢٢٠ –٢٣٣

(٣) لسان العرب: ١/ ٧٥١– ٧٥٢

هي في نظر الزهراء مسألة السلام وكفر ومسألة إيمان ونفاق، ومسألة نص وشورى وكذلك نرى هذا النفس السياسي الرفيع في حديثها مع نساء المهاجرين والأنصار"[١]. وكانت فدك تمثل الدلالة الرمزية للسيدة فاطمة الزهراء ع فهي تمثل "معنًى رمزياً يرمز إلى المعنى العظيم ولا يعنى تلك الأرض الحجازية المسلوبة، وهذه الرمزية التي اكتسبتها فدك هي التي ارتفعت بالمنازعة من مخاصمة عادية منكشة في افقها محدودة في دائرتها إلى ثورة واسعة النطاق رحيبة الأفق"[٢].

هنا نجدها عليها السلام قد رسمت لوحة احتجاجية إنسانيّة مشرقة في بيان حقوق المرأة في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية وينبغي عليها أخذ زمام المبادرة بعد إحراز قوة الدليل والإثبات والبيان ومن ثم الاحتجاج والتظاهر أمام السلطة فهي ع تريد زرع تلك المفاهيم في مجتمعها بل وفي المجتمعات اللاحقة **ثم عطفت على قبر أبيها ص وتمثلت بأبيات شعر**

"قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم يكبر الخطبُ
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوُا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا فغبت عنا فكل الخير محتجبُ
وكنت بدرا ونورا يستضاء به عليك تنزل من ذي العزة الكتبُ" [٣]

المبحث الثاني :المنحى الاستشرافيّ في الخطبة الفدكيّة

في البدء لا بد من تعريف بمفهوم الاستشراف والوقوف على أسسه ويرى بعض أن استشراف المستقبل أو (الدراسات المستقبلية) كما يعبرون يعد حقلا من حقول المعرفة أو قل هو ميدان نشاط يعمل على تحديد التغييرات المحتملة في المستقبل سواء أكان قريبا أم بعيدا أو هو منظومة م النشاطات المميزة التي تتوافر عن النظرة المستقبلية، فهو منهج يسمح بدراسة التطورات المختلفة والمحتملة لوضع معين في حدود واضحة[٤]

لقد مثلت ع روح النبوة وعظم وجودها وألهمت العلوم الإلهي فكانت محدثة كيف لا وهي سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين وسأقف على البعد الاستشرافي في نصوص من خطبتها الفدكية العظيمة. ويرى بعض المحدثين أنّ قضية الاستشراف قد "أصبحت مثار اهتمام الباحثين في علوم عدة وبدأت الأنظمة السياسية تهتم به اهتماما كبيرا في المجالات المختلفة والمتعددة نتيجة وقوعها في مشكلات وتعرضها لأزمات، لان استشراف المستقبل أو الدراسات المستقبلية أخذت تتبنى منهجا علميا منظما يعتمد على النظرية، والفروض أو المظاهر الواقعية، والنتائج المتولدة عنها والتي لا تبتعد ولا تنفصل عن الواقع؛ فحقل الدراسات المستقبلية يعتمد على الواقع (الحاضر) ولا يلتفت إلى الماضي، وعليه

(١) –فدك في التاريخ السيد محمد باقر الصدر:٤٥
(٢)– فدك في التاريخ: ٤٤
(٣) بحار الأنوار ٢٩/ ٢٣٣.
(٤) ينظر استشراف المستقبل في النظم السياسية (مدخل نظري ونموذج تطبيقي)د عبد العظيم جبر حافظ: ٦

فاستشراف المستقبل هو استشراف واقعي وموضوعي ومنطقي، وعقلاني..."[١] ونجدها قد استشرفت حال الأمة بسبب منع أهل البيت عليهم السلام حقهم وانزواء الخلافة الحقة متمثلة بالإمام ع وإبعاد الامامة الإلهية عن مسرح الأحداث وقد بيّنت سوء عواقب ذلك بنصوص اختصرت واقع الأمة، حيث قالت ع: (سيعرف التالون غبّ ما أسّس الأولون.)[٢] مبينة أن التأسيس للانحراف ومنع ذوي التخصص الذين وردت بحقهم نصوص التنزيل، وصدحت فيها كلمات الرسول الأمين كفيل بانحدار الأمة نحو التسافل على مستوى الاتجاهات كافة، فالتجرؤ على المنصب الشرعي وغصب فدكا من الزهراء عليها السلام، وغصب حقوق أهل البيت عليهم السلام، والذين هم أعلى الناس مكانة وأكثرهم فضلا وأبلغهم تأثيرا، ومكانة سامية يعد تأسيسا خطيرا، ونجد المنحى الاستشرافي جليّا في عبارتها إذ تقول: "أَمَا لَعَمْري، لَقَدْ لقحَتْ، فَنَظِرَة رَيْثُمَا تُنْتِج، ثم احْتَبَلُوا مِلْءَ القَعْبِ دَماً عَبيطاً، وَذعَافاً مُبِيداً، هُنالِكَ يَخسَرُ المُبْطِلُونَ، وَيُعْرَفُ التَّالُون، غبَّ مَا سَنَّ الأوَّلُونَ، ثُمَّ طِيبُوا عَن دُنْيَاكُم أنْفُساً، وَاطْمَئِنُّوا للفِتْنَةِ جَأْشاً، وأبْشِرُوا بِسَيفٍ صَارِمٍ، وَسَطْوَةِ مُعْتَدٍ غَاشِمٍ، وَهَرَجٍ شَامِلٍ ، وَاسْتِبْدَادٍ مِنَ الظَّالِمِينَ.يَدَعُ فَيئَكُمْ زَهِيداً، وَزَرْعَكُم حَصِيداً، فَيَا حَسْرَتي لَكُمْ، وَأنَّى بِكُمْ: (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) هود: ٢٨"

ولعل قولها يعرف التالون غب ما أسس الاولون يعدّ نقطة فارقة في استشراف مآل الامة وسوء عواقبها، إذ المقدمات تتسق مع النتائج، وهذا هو استشراف واقع المجتمع المستقبلي ثم نجدها قد أتت على تِوبيخ القوم بقولها ع: "إيهاً بني قيلة، أأُهضَمُ تراث أبي؟ وأنتم بمرأىً مِنّي ومسمع؟ ومنتدىً ومجمع ؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوة وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت"[٣]. وجاء في لسان العرب أن معنى "نخب: انْتَخَبَ الشيءَ: اختارَه. والنُّخْبَةُ: مَا اخْتَارَهُ، مِنْهُ. ونُخْبةُ القَوم ونُخَبَتُهم: خِيارُهم. قَالَ الأَصمعي: يُقَالُ هُمْ نُخَبة الْقَوْمِ، بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِ الخاءِ. قَالَ أَبو مَنْصُورٍ وَغَيْرُهُ: يُقَالُ نُخْبة، بإِسكان الخاءِ، وَاللُّغَةُ الْجَيِّدَةُ مَا اخْتَارَهُ الأَصمعي. وَيُقَالُ: جاءَ فِي نُخَبِ أَصحابه أَي فِي خِيَارِهِمْ. ونَخَبْتُه أَنْخُبه إِذا نَزَعْتَه. والنَّخْبُ: النَّزْعُ. والانْتِخابُ"[٤]

ولعل قولها (عليها السلام): "يعرف التالون غب ما أسس الأولون " يكاد يكون أصرح من الصريح في ما نحن بصدده من تأصل الأصول من خلال المواقف، وطرح الأصول الإسلامية جانبا لنفس السبب، وذلك ما يجر الويلات ويؤثر على الأصعدة كافة، ومنها حديث الرسول وسنته، فقد نالهما

(١) – استشراف المستقبل في النظم السياسية (مدخل نظري ونموذج تطبيقي)د عبد العظيم جبر حافظ: ٢

(٢) – بحار الأنوار : ٢٩ /٢٢٠– ٢٣٣

(٣) – بحار الأنوار : ٢٩/ ٢٢٠ – ٢٣٠

(٤) لسان العرب: ١/ ٧٥١– ٧٥٢

قسط وافر من الضياع والتغيير، الذي تأزم فظهر غبه شيئا فشيئا، وازدادت وخامة عواقبه إلى حد يصعب معه تدارك الموقف، واستخلاص الصحيح من السقيم المعوج"[١]

الخاتمة

١– حوت الخطبة الفدكية المنحى الاحتجاجي إذ يكاد يكون السمة الغالبة على نصوصها

٢–بيان الحجج والأدلة بمختلف أشكالها والتأسيس للاحتجاج السلميّ تجاه السلطة أيّا كانت.

٣– احتوت الفقرات الأخيرة من الخطبة المنحى الاستشرافي والرؤى المستقبليّة في بيان مآل المجتمع الإسلاميّ

٤– انطلقت رؤية السيّدة الزهراء ع من المقدمات وأعطت نتائج الأمة الإسلامية ويعد هذا من استشرافا المستقبل قريبا كان أم بعيدا

القرآن الكريم

- استشراف المستقبل في النظم السياسية (مدخل نظري ونموذج تطبيقي) د عبد العظيم جبر حافظ:
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي ،مؤسسة الوفاء بيروت .
- الحركات الاحتجاجية ودورها في مخرجات التغيير السياسي العربي – دراسة مقارنة بين مصر وتونس والبحرين إسراء جمال رشاد عرفات – فلسطين.
- سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق :أحمد محمد شاكر – ومحمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٩٧٥ م
- الشافي لشافي في الإمامة، تأليف علي بن الحسين المعروف بالشريف المرتضى حققه وعلق عليه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب
- شرح نهج البلاغة شرح نهج البلاغة : المؤلف عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦ هـ) المحقق محمد أبو الفضل ابراهيم
- الصحاح : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧
- فدك في التاريخ السيد الشهيد المطبعة الحيدرية النجف الأشرف السيد الشهيد محمد باقر الصدر
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، الناشر: دار الفكر – دمشق
- كشفُ الغُمَّة في مَعرِفَةِ الأئمّة (عليهم السلام) كتاب لبهاء الدين علي بن عيسى الإربلي المتوفى ٦٩٢ هـ– بيروت١٩٨٥م
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور (ت ٧١١هـ) دار صادر – بيروت الطبعة ٣ – ١٤١٤
- مجلة تراثنا – مؤسسة آل البيت ج ٥٧ ، نشرة فصلية تصدر في قم.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر المؤلف: أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) بيروت
- منبر الصدر، دار الأضواء، مجموعة خطب الجمعة للشهيد محمد الصدر، محسن الموسوي.

(١) – مجلة تراثنا – مؤسسة آل البيت – ج ٥٧ – الصفحة ٨٩– ٩٠

شذرات من التسامح والتعايش السلمي في فكر السيدة فاطمة الزهراء (عليه السلام)

م .م صدام عمران وحيد ابراهيم الخفاجي/ جامعة واسط ـ كلية التربية للعلوم الانسانية
م .م هبه عبد هنيدي سكران الطائي/ جامعة واسط ـ كلية الادارة والاقتصاد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صفوة الخلق محمد وآله الهداة المهديين الذين اجتباهم الله من خلقه و جعلهم الادلاء على طاعته والدعاة الى سبيله ورحمته وبركاته.

وبعد لقد تبلورت لدي الفكرة و ايقنت بها، عندما وجدت وانا أتأمل بشذرات من السيرة الفذة للصديقة فاطمة الزهراء (ع)، ان حياتها سلسلة من السلوك و المواقف ؛ ففي كل سلوك أمثولة في طفولتها . تلك الطفولة التي كرمها وغذاها الرسول الاكرم محمد (ص) من خلالها او في سائر مراحل حياتها، او في كل موقف درس بليغ ، مشحونا بالعطاء و التضحية والجهاد وتحمل الاذى لأجل مرضاة رب العالمين.

لأجل ذلك فقد قسمت بحثي الى خمسة محاور ، فقد كان المحور الاول: **التسامح و التعايش السلمي مع الاخر في فكر السيدة فاطمة الزهراء (ع)**، بينما تناول المحور الثاني: **الجوانب السياسية والاقتصادية في حياة السيدة فاطمة الزهراء (ع)** ، فيما تطرق المحور الثالث: **الجوانب التربوية والاجتماعية في حياة السيدة فاطمة الزهراء (ع)**، اما المحور الرابع: **الجوانب الفكرية و العلمية في حياة السيدة فاطمة الزهراء (ع)**، واخيرا كان المحور الخامس : **الابعاد الغيبية والرؤى الاستشرافية في فكر السيدة فاطمة الزهراء (ع)**، ثم **الخاتمة** فالهوية التعريفية للسيدة فاطمة الزهراء (ع)، اذ تزخر نصوص شخصية السيدة الجليلة فاطمة الزهراء (ع) بدورها المؤثر في مجتمعها وتعليمها ، و نشاطها و تبليغها، هي شذرات من هالات نورانية احاطت بها، فسلاما عليها يوم ولدت، و سلاما عليها يوم استشهدت، وسلاما عليها يوم تبعث حيا .

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the elite of creation, Muhammad and his family, the guides, the Mahdis whom God chose from his creation and made them And after that, the idea .guides to his obedience and the callers to his path, mercy and blessings crystallized for me and I became certain of its preponderance when I found, while meditating on fragments of the outstanding biography of the friend Fatimah al-Zahra (peace be upon him), that her life is a series of behavior and attitudes; In every behavior in her childhood - that childhood that was honored and nourished by the Noble Messenger Muhammad (peace be upon him) through it or in all stages of her life, or in every situation an eloquent lesson, charged with giving, sacrifice, jihad and As the texts of the personality of the .bearing harm for the sake of the pleasure of the Lord of the worlds venerable Lady Fatima al-Zahra (peace be upon him) are rich in her influential role in her society, her education, her activity and her communication, they are fragments of the luminous auras that surrounded her, so peace be upon her on the day she was born, and peace be upon her on the day she was martyred, and peace be upon her on the day she will be resurrected alive

المحور الاول : التسامح و التعايش السلمي مع الاخر في فكر السيدة فاطمة الزهراء (ع)

ولدت السيدة العذراء فاطمة الزهراء (ع) بنت محمد بن عبدالله بن عبد المطلب[١] ، في دار والدتها السيدة خديجة بنت خويلد بزقاق الحجر "زقاق العطارين" بمكة المكرمة[٢] بعد المبعث النبوي بخمس سنوات [٣] ، في العشرين من جمادى الاخر يوم الجمعة المبارك[٤] ، وقد سميت السيدة فاطمة الزهراء (ع) بهذا الاسم الهاما من الله عز وجل فقد روى عن رسول الله (ص) قال: "**انما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها و فطم محبيها عن النار** "حيث سيكون حب شيعتها و محبيها وسائر مجتمعها لها وتوليها سبب في أنفطامهم معها عن النار اذ تتجلى ابرز سمة من سمات التعايش و التسامح في فكر السيدة فاطمة الزهراء (ع) بالشفاعة و حب الخير مع الاخر[٥] ومن اسمائها: الصديقة [٦]، **الطاهرة** [٧]، **المحدثة** [٨]، **الزهراء**[٩]، **الزكية، الرضية، المرضية، البتول وام ابيها**[١٠] ، **الحوراء الانسية، المباركة، الحانية، الريحانة والبضعة** [١١] .

المحور الثاني : الجوانب السياسية و الاقتصادية في حياة السيدة فاطمة الزهراء (ع)

تعتبر شخصية السيدة فاطمة الزهراء (ع) في الابعاد السياسية والاقتصادية والجهادية، شخصية مميزة ذات محتوى ومضمون، امرأة ولدت في بيت الثورة، وامضت منذ نعومة اظافرها كل طفولتها في حضن اب ذي جهاد عالمي عظيم، اذ تحلت بالصبر والسعي والدرس والثورة، والخطابة والدفاع عن النبوة والامامة[١٢]، فقد كانت بحرا مترامياً من الجهاد والعبادة والشهادة، اذ اصبحت رقما صعبا في الحياة السياسية رغم ان المجتمع كان لم يعط للمرأة دورا ذا اثر في الحياة السياسية والاقتصادية فقد تجلت بابهى صورها بخطبة فدك المعروفة ، الحق الشرعي للسيدة

---

[١]) قطب الدين الراوندي : ابو الحسين سعيد بن هبه الله ، ٢٠٠٧ م، الخرائج و الجوارح ، تحقيق مؤسسة الامام المهدي ، ايران ، قم ، الطبعة الاولى ، ج ٢ / ص ٥٢٥ .

[٢]) الاصفهاني : ابي نعيم احمد بن عبدالله ، حلية الاولياء و طبقات الاصفياء ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

[٣]) الحسني: هاشم معروف ، سيرة الائمة الاثني عشر ، القسم الاول ، دار الكوخ للطباعة و النشر ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٦ ، ايران .

[٤]) حاجى خليفة : مصطفى بن عبد الله ، الارناؤوط ، محمود عبد القادر، صالح، صالح سعداوي ، سلم الوصول الى طبقات الفحول ، ج١ / مجلد ٣ ، / ص ٩ ، ٢٠١٠ ، مركز الابحاث للتاريخ و الثقافة الاسلامية ، استنبول / تركيا .

[٥]) الرضا: علي بن موسى، صحيفة الامام الرضا عليه السلام، تحقيق وتصحيح / محمد مهدي نجف، ايران، الطبعة الازولى/ ص٤٥

[٦]) الشيخ الكليني : محمد بن يعقوب بن اسحاق ، الكافي ، تحقيق و تصحيح ، علي الاكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية ، ايران / طهران ، الطبعة الرابعة ، ج ٦ / ص ٤٩ .

[٧]) القزويني : السيد محمد كاظم ، فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد ، مكتبة بصيرتي ، ايران / قم ، ١٤١٤ هـ ، ص ٤٤ .

[٨]) المسعودي : الشيخ محمد فاضل ، الاسرار الفاطمية ، تقديم السيد عادل العلوي ، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة ، رابطة الصداقة الاسلامية للطباعه و النشر ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٩٥ .

[٩]) الشيرازي : محمد بن ابراهيم ، شرح اصول الكافي ، تحقيق محمد الخواجوي ، نشر مؤسسة الابحاث الثقافية، ، ايران / طهران ، ١٤٢٥ هـ ، ج ١ / ص ٣٣٣ .

[١٠]) المسعودي : الشيخ محمد فاضل ، الاسرار الفاطمية ، تقديم السيد عادل العلوي ، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة ، رابطة الصداقة الاسلامية للطباعه و النشر ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٧٩ .

[١١]) المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي، بحار الانوار، ايران، اصفهان، طبعة بيروت، مؤسسة تعارف للمعلومات،ج٢٨/ ص٣٧

[١٢]) العلامة المجلسي : ابو عبد الله محمد باقر بن محمد تقي ، بحار الانوار ، ج ٢٠ / ص٣١ .

فاطمة الزهراء عليها السلام [١]، فنزلت بحقها الاية " .. **{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ}** [٢] "اذ يعلمنا سلوكها سلام الله عليها ، كيف للمراة في اعلى درجات العفة ان تكون في قلب السياسة و تغدو شخصا مؤثر في قراراته ، وقد خاضت فاطمة الزهراء (ع) وهي صغيرة حصار قريش، في شعب ابي طالب، ووفاة امها وابي طالب، وقد وقفت الى جانب ابيها رغم قساوة الظروف و معاناة والدها (ص) ،و يبرز الفكر السلمي عند فاطمة الزهراء (ع) عندما اوصت لأزواج النبي من اوقافها وصداقاتها، لكل منهن اثنتا عشر اوقية، ولنساء بني هاشم مثلهن، ولأمامة بنت ابي العاص، يذكر انه كان لها سبعة بساتين وقفتها على بني المطلب وبني هاشم، وجعلت النظر فيها لأمام زمانها الامام علي بن ابي طالب (ع)، فان دل هذا السلوك دل لأجل الاعانة على الطاعة، واداء التكليف الشرعي بكل مستوياته [٣] .

المحور الثالث : الجوانب التربوية و الاجتماعية في حياة السيدة فاطمة الزهراء (ع)

ان تقديم الانموذج الصالح و عرضه للآخرين له امر بالغ الاهمية، وهو اسلوب قرآني في الحقيقة حيث يقول عز و جل: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " كما اكدت الدراسات الحديثة هذا الاسلوب حديثا لان النفس البشرية ميالة للاختيار لا الى الاجبار، اذ نراها سلام الله عليها متهجدة متعبدة ، تقوم ليلها حتى تتورم قدماها، وهو امر لا تشكوه لاحد عن نفسها ابدا[٤]، فقد روى عن الامام الحسن المجتبى (ع) لما استيقظ ورأى امه واقفة في محرابها، تصلي الليل بطوله ، تدعو لجيرانها ولا تدع لنفسها ، فدلته بشكل سلوكي على قيمة محبة الاخرين في المجتمع الواحد المنسجم ، فقد اعتمدت سلام الله عليها التربية على القيم بأسلوب النموذج، المتجلي بقيمة الحضور الالهي والارتباط به وحب الخير للآخرين[٥] . كما ان للتدبير المنزلي الاثر البالغ في مسيرة تكامل الانسان، وان اجر المرأة العاملة في منزلها لعظيم ، فقد قسمت السيدة فاطمة الزهراء (ع) اعمال منزلها فيما بينها و بين جاريتها فضة ، فما كانت لتغرق نفسها بالأعمال المنزلية بل خصصت وقتا لتعبدها، وتؤدي مهامها تجاه المجتمع ، فكانت عنوان للرأفة والرحمة وتقبل الاخر والحب و الرحمة والتعايش السلمي ما لمع بـريقه في العائلة النبوية المحمدية الفاطمية [٦].

المحور الرابع : الجوانب الفكرية و العلمية في حياة السيدة فاطمة الزهراء (ع)

كانت عليها السلام معلمة للناس في عصرها، خاصة النساء فقد كن يقصدنها، ويسألنها عما بدا لهن من تفسير القرآن الكريم والاحكام الشرعية، وحل النزاعات وترسيخ العقائد وغيرها، فقد كانت تجيب عن كل الاسلة والاستفسارات الموجهة لها بكل رحابة صدر اذ يتجلى التعايش السلمي في رقي افكارها و علميتها سلام الله عليها، وما **مصحف فاطمه** الا نقطة من بحر فيوض تعاليمها الالهية وهي سلام الله عليها تؤصل العديد من القيم والاصول الفقهية

---

[١]) ابن طاووس: السيد علي بن موسى، طرف من الانباء والمناقب، تحقيق وتصحيح قيس العطار، دار تاسوعاء للنشر، مشهد، ١٤٢٠ هـ ، الطبعة الاولى ، ص ٢٩ .

[٢]) الاسراء : اية ٢٦

[٣])القزويني : السيد محمد كاظم ، فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد ، مكتبة بصيرتي ، ايران / قم ، ١٤١٤ هـ ، ص ٨٦.

[٤]) الشيخ الصدوق : ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه ، علل الشرائع ، ج١ / ص ١٨٢ .

[٥]) الطبرسي : الحسن بن الفضل ، مكارم الاخلاق ، انشارات الشريف الرضي ، ايران ، قم ، ١٤١٢ هـ ، الطبعة الرابعه ، ص٩٤ .

[٦])البحراني : عبد الله بن نور الله ، مستدرك سيدة النساء الى الامام الجواد ، تحقيق و تصحيح احمد ابطحي ، و محمدباقر الاصفهاني ، ،دار عوالم العلوم ، الطبعة الاولى ، ج١١ / ص ٤٥١ .

والاخلاقية للأجيال اللاحقة ، و روي عن الامام الحسن العسكري (ع) انه قال: "حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء (ع) ، فقالت: ان لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في امر صلاتها شيء، وقد بعثتني اليك ؛ أسالك فأجابتها فاطمة الزهراء عليها السلام عن ذلك، ثم ثنت . فأجابت، ثم ثلثت، فأجابت : الى ان عشرت ـ فأجابت، ثم خجلت من الكثرة ، فقالت: لا اشق عليك يا بنت رسول الله (ص)، فقالت فاطمة سلام الله عليها: هات وسل ما بدا لك، أ رأيت من اكترى يوما يصعد الى السطح بحمل ثقيل، وكراؤه مائة الف دينار، أيثقل عليه؟ ـ فقالت: لا، فقالت(ع): اكتريت انا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى الى العرش لؤلؤا، فاحرص على ان لا يثقل علي[1] " وقالت فاطمة عليها السلام: "يا أمَة الله إنّ سِلكاً من تلك الخلع لأفضل ممّا طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة، وما فَضُل فإنّه مشوبٌ بالتنغيص والكدر"[2]وكان هذا دأبها سلام الله عليها طيلة حياتها الفكرية . اذ امست سيدة ناء العالمين مركزا بليغا للمراجعات و الاسئلة الدينية، لسائر نساء مجتمعها. وفي هذا السلوك دلالة واضحة عن مدى اهتمامها بالعلم وحرصها، ومحافظتها عليه .

المحور الخامس : الابعاد الغيبية و الرؤى الاستشرافية في فكر السيدة فاطمة الزهراء (ع)

ان من كرامات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام التي سجلها لها التاريخ اسم المحدثة و لا يمكن نكرانه لدرجتها السامية ومقامها الرفيع[3]، كون صاحب الاسم يكون ملهما ومؤيدا بالأفاضات الغيبية، والعنايات الربانية[4]، بحيث تحدثها الملائكة فتسمعها، "**فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**"[5]، ان الاتصال بالعالم الغيبي غير محصور بالأنبياء والمرسلين، كذلك يمكن لأي مؤمنه ان تستجلب التسديد والمدد الغيبي الى حياته، فكل ما مر مرهون بالأفعال والسلوك الذي يصدره الانسان ويؤكد الرسول الاكرم (ص) هذه الحقيقة فيقول: "**لولا تزييد في حديثكم وتمزيج في قلوبكم لرأيتم ما أرى، ولسمعتم ما أسمع**"[6]، ونلتمس من ارتقائها الملكوتي بالزهد والايثار والكرم والصبر بقصة الاطعام الغنية عن التعريف اسمى دليل لمظاهر الخلق السامي والرفيع والتعايش السلمي، فمقاماتها الرفيعة ومعرفتها بالله وبحقائق الكون وفلسفة الحياة وعلومها الزاخرة جهلتها مدرسة الاجيال عبر السنيين قدوة لكل الرجال والنساء.

الخـــاتمـــــة

لو تمعن ذو لب، اي كان مذهبه ودينه، في منهج الاسلام وتعاليمه، وحياة اهل البيت (ع) لادرك انهم فعلا المنبع الحقيقي لحقوق الانسان، والتعايش السلمي بين الاديان، والاختلافات الفكرية والمذهبية، والتعددية الفكرة، كلها تنبع من موطن الوحي؛ البيت المحمدي العلوي الفاطمي، فقد ساهمت السيدة فاطمة الزهراء (ع) في نشر ثقافة التعايش الايجابي وقبول الاخر، فكانت قدوة وآية للتعايش ودعائمه، لينقل مقوماته ممن الخزين المعلوماتي والمعرفي

---

[1]) العلامة المجلسي : ابو عبد الله محمد باقر بن محمد تقي ، الاحتجاج، ج٢ / ص ٣ .

[2]) ابن شهر اشوب : ابو جعفر محمد بن علي المازنداني ، تفسير الامام الحن العسكري (ع) ، ص ٣٤١ .

[3]) مركز المعارف : للتأليف و النشر، السيرة و التاريخ ،السيدة فاطمة قدوة واسوة ، اصدار دار المعارف الاسلامية الثقافية ، ٢٠١٨ ، ص٣٩

[4]) المهاجر : الشيخ عبد الحميد ، المنبر الحر ، الناشر دار المجتبى ، مطبعة ثامن الائمة ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٦ ، ج٤ / ص ١٢٤ .

[5]) مريم : اية ١٧ .

[6]) الشيرازي : محمد بن ابراهيم ، شرح اصول الكافي ، تحقيق و تصحيح محمد الخواجوي ، ج١ /ص٣٣١

للبشرية الى الواقع الحياتي، ليترجم التعايش السلمي وفكر قبول الاخر في النوايا والسلوك، فسلام عليها يوم ولدت، وسلام عليها يوم بعثت، ويوم استشهدت، والف رحمه و سلام يوم تبعث حيا .

المصادر :

- **القرآن الكريم**

١.) ابن شهر اشوب : ابو جعفر محمد بن علي المازنداني ، تفسير الامام الحن العسكري (ع) ، ص ٣٤١ .

٢.) ابن طاووس: السيد علي بن موسى ، ١٩٩٨م ، طرف من الانباء و المناقب ، تحقيق و تصحيح قيس العطار ، دار تاسوعاء للنشر ، ايران ، مشهد ، الطبعة الاولى ، ص ٢٩ .

٣.) الاصفهاني: ابي نعيم احمد بن عبدالله ، حلية الاولياء و طبقات الاصفياء ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤.) البحراني: عبد الله بن نور الله ، مستدرك سيدة النساء الى الامام الجواد ، تحقيق و تصحيح احمد ابطحي ، و محمدباقر الاصفهاني ، ،دار عوالم العلوم ، الطبعة الاولى ، ج١١ / ص ٤٥١ .

٥.) الحسني: هاشم معروف،٢٠٠٦ م، سيرة الائمة الاثني عشر، القسم الاول، دار الكوخ للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، ايران.ج ٢/ص٣٦

٦.) الرضا: علي بن موسى ، صحيفة الامام الرضا عليه السلام، تحقيق و تصحيح/ محمد مهدي نجف، الطبعة الازولى / ص ٤٥ .

٧.) الشيخ الصدوق : ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه ، علل الشرائع ، ج١ / ص ١٨٢ .

٨.) الشيخ الكليني : محمد بن يعقوب بن اسحاق ، الكافي ، تحقيق و تصحيح ، علي الاكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية ، ايران / طهران ، الطبعة الرابعة ، ج ٦ / ص ٤٩ .

٩.) الشيرازي: محمد بن ابراهيم، ١٩٩٧، شرح اصول الكافي، تحقيق محمد الخواجوي، نشر مؤسسة الابحاث الثقافية، طهران،ج١/ ٣٣٣

١٠.) الشيرازي : محمد بن ابراهيم ، ١٩٩٧ م ، شرح اصول الكافي ، تحقيق و تصحيح محمد الخواجوي ، نشر مؤسسة الابحاث الثقافية ، ايران ، طهران ، الطبعه الاولى ، ج ١ / ص ٣٣١

١١.) الطبرسي : الحسن بن الفضل ،٢٠٠٠م ، مكارم الاخلاق ، انشارات الشريف الرضي ، ايران ، قم ، الطبعة الرابعه ، ص٩٤ .

١٢.) العلامة المجلسي : ابو عبد الله محمد باقر بن محمد تقي ، الاحتجاح ، ج٢ / ص ٣ .

١٣.) العلامة المجلسي : ابو عبد الله محمد باقر بن محمد تقي ، بحار الانوار ، ج ٢٠ / ص٣١ .

١٤.) القزويني : السيد محمد كاظم ،٢٠٢٠م ، فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد ، مكتبة بصيرتي ، ايران / قم ، ص ٤٤

١٥.) المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي، بحار الانوار، ايران، اصفهان، طبعة بيروت، مؤسسة تعارف للمعلومات،ج٢٨/ ص ٣٧

١٦.) المسعودي : الشيخ محمد فاضل ، ٢٠٠٩م ،الفيض الالهية الفاطمية ، تقديم السيد عادل العلوي ، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة ، رابطة الصداقة الاسلامية للطباعه و النشر ، الطبعة الثانية ، ص ٢٧٩ .

١٧.) المسعودي : الشيخ محمد فاضل ،٢٠١٦م ، الاسرار الفاطمية ، تقديم السيد عادل العلوي ، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة ، رابطة الصداقة الاسلامية للطباعه و النشر ، الطبعة الثانية ، ص ٣٩٥ .

١٨.) المهاجر: الشيخ عبد الحميد،٢٠٠٦م، المنبر الحر ، الناشر دار المجتبى ، مطبعة ثامن الائمة ، الطبعة الاولى ، ج٤ / ص ١٢٤ .

١٩.) حاجى خليفة : مصطفى بن عبد الله ، ،٢٠١٤م الارناؤوط ، محمود عبد القادر، صالح ، صالح سعداوي، سلم الوصول الى طبقات الفحول ، ج١ / مجلد ٣ ، / ص ٩ ، مركز الابحاث للتاريخ و الثقافة الاسلامية ، استنبول / تركيا .

٢٠.) قطب الدين الراوندي: ابو الحسين سعيد، ٢٠٠٧ م، الخرائج والجوارح، تحقيق مؤسسة الامام المهدي، قم، الطبعة الاولى، ج٢/ ص٥٢٥

٢١.) مركز المعارف: للتأليف والنشر،٢٠١٨م، السيرة والتاريخ ،السيدة فاطمة قدوة واسوة، اصدار دار المعارف الاسلامية الثقافية، ص٣٩

فاطمة الزهراء عليها السلام في تاريخ اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ)

م. م ناظم مطير محمد/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة واسط
م. م يوسف خضير كسار/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة واسط

أولاً- الحياة الأسرية والشخصية للسيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام)

هي فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) سيدة نساء هذه الأمة وزوج الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) ووالدة الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، أحدى الفصيحات العاقلات ولدت سنة أحدى وأربعين من مولد النبي (صلى الله عليه واله وسلم)[١]، وقد اختلفت الروايات في مولدها وتزوجها الإمام علي (عليه السلام) وعمرها خمسة عشر سنة وخمسة اشهر ونصفاً[٢]. أمها فسيدة رزان جمعت العقل الحصيف الى النسب الشريف وضمت الى ذلك الخلائق الفاضلة والثروة الطائلة، فكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وتنعت بسيدة قريش، وقد حبا الله هذه السيدة الوقور صباحة الوجه مع ما حباها به من الخلق الجميل والحسب الأثيل والمال الجزيل هذه هي أم فاطمة الزهراء، أما أبوها فسيد المرسلين وخاتم النبيين وأمام المتقين فأعظم بهذا النسب الكريم نسباً[٣]، ولكن حنان الأبوين لم يحل دون تعهد المحبوبة الأثيرة بالتربية وأعدادها لتحمل المسئوليات[٤]، فقد روي أنها كانت تقوم وحدها بصنيع بيتها لا يعينها في أكثر أيامها أحد، وأنها كانت تضمد جراح أبيها صلوات الله عليه في غزوة أحُد[٥].

ولما بلغت الزهراء مبلغ النساء طمعت اليها الأنظار، فكان في جملة من خطبها أبو بكر وعمر فردهما رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)رداُ كريماُ وكأنما كان يريد أن يخص بها علياُ (عليه السلام)[٦].

وفي السنة الثامنة للهجرة خطب علي (عليه السلام) فاطمة الزهراء(عليها السلام) فما أسرع ما أستجاب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الى طلبه فخر ساجداً شكراً لله، فلما رفع رأسه من سجوده قال له رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بارك الله لكما وعليكما، واسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب[٧]، وقد شهد عقد فاطمة الزهراء على علي بن أبي طالب (عليهما السلام) أبو بكر وعمر، وعثمان ، وطلحة والزبير من المهاجرين وعدد يماثل عددهم من الأنصار[٨].

---

[١] ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤/ص١٨٩٣.
[٢] المصر نفسه، ج٤/ص١٨٩٣.
[٣] الباشا، صور من حياة الصحابيات، ص٣٥.
[٤] المرجع نفسه، ص٣٧.
[٥] ابن سعد، الطبقات، ج٨/ص١٧؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج٧/ص٢١٦.
[٦] ابن سعد، الطبقات، ج٨/ص١٧.
[٧] ابن الأثير، أسد الغابة، ج٧/ص٢١٦.
[٨] الباشا، صور من حياة الصحابيات، ص٣٨.

ولما أخذ القوم مجالسهم قال عليه الصلاة والسلام: " **الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته، أن الله عز وجل جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً، وحكماً عادلاً وخيراً جامعا أوشج بها الأرحام وألزمها الأنام**"[١]، أشهدكم أني زوجت فاطمة من علي (عليهما السلام) على أربع مائة مثقال فضة إن رضي بذلك على السنة القائمة، والفريضة الواجبة ... فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما... أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم) وزفت سيدة نساء المسلمين الى بيت زوجها وما كان لها من جهاز غير سرير مشروط، ووسادة من أدم حشوها ليف ونورة ومنشف[٢].

لم يطق الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) صبرا على بعد الزهراء عنه، فعزم على أن يحولها إلى جواره وأسكنها منزلاً قريباً منه ومنذُ أستقرت الزهراء في جوار أبيها كان يلم ببيتها ويقول (السلام عليكم أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[٣]. وكان النبي (صلى الله عليه واله وسلم)إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلي فيه ركعتين ثم يثني ببيت فاطمة ويطيل عندها المكث، ثم يأتي بيوت نسائه[٤].

وقد روي أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) خرج ذات مرة في سفرٍ ومعه علي بن أبي طالب(عليه السلام) فصنعت فاطمة(عليها السلام) في غيبتهما سوارين وقلادة وقرطين، ووضعت على باب البيت ستارةً وذلك لقدوم ابيها وزوجها، فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)دخل عليها ووقف أصحابه على الباب لا يدرون أيبقون أم ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)وقد عرف في وجهه الغضب حتى جلس على المنبر عند ذلك أدركت فاطمة (عليها السلام) أنه فعل ذلك لما رأى من السوارين والقلادة والقرطين والستر فنزعت قرطيها وقلادتها وسواريها وأنزلت الستر[٥]، وبعثت به الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وقالت لمن حملت اياها: قل للرسول تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول لك اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه قال: قد فعلت فداها أبوها ليست الدنيا من محمدٍ ولا من الِ محمدٍ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء[٦].

ثم أن بيت فاطمة الزهراء (عليها السلام)ما لبث أن سعد بالذرية الصالحة وكانت فرحة الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) بهم كبيرة وكان يدلل أولادها ويستأنس بهم، وكان يتأنى في صلاته ويطيل في سجوده عندما يصعد أحد منهم على كتفه لكي لا يزحزحه عن مركبه. كان من عادته صلوات الله عليه أن

---

[١] ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤/ص١٨٩٤.

[٢] ابن سعد، الطبقات، ج٨/ص٤١٩؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٧/ص٢١٦.

[٣] ابن الأثير، أسد الغابة، ج٧/ص٢١٦.

[٤] الباشا، صور من حياة الصحابيات، ص٤١.

[٥] الباشا، صور في حيات الصحابيات، ص٤٢.

[٦] المرجع نفسه والصفحة.

يبيت في بيت فاطمة بعد حين ويتولى خدمة أطفالها بنفسه وأبواهما قاعدان[١].

كانت فاطمة عليها السلام إذا دخلت على رسول الله (صلى الله عليه واله) أخذ بيدها ورحب بها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت له ورحبت به وأخذت بيده فقبلتها، ودخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه فأسر اليها فبكت، ثم أسر اليها فضحكت وكانت عائشة ترى ذلك فقالت في نفسها: كنت أحسب لهذه المرأة فضلاً على النساء فإذا هي واحده منهن بينما هي تبكي إذ هي تضحك. فلما توفي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)سألتها عن ذلك فقالت: أسر ألي فأخبرني أنه ميت فبكيت، ثم أسر ألي أني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت[٢]، لم تمكث فاطمة عليها السلام بعد وفاة ابيها عليه الصلاة والسلام طويلا فلحقت به[٣].

ثانياً – فاطمة الزهراء (عليها السلام) في كتاب تاريخ اليعقوبي

امتازت مرويات اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ) في هذا السياق كونها مختصرة ومنقولة عمّن سبقه من المؤرخين فهو على الاعم الاغلب لم ينفرد بالجديد، لكن تبقى تحتفظ بأهمية مميزة .

يروي اليعقوبي ان فاطمة (عليها السلام) لما توفت امها خديجة (عليها السلام)، جعلت تتعلق بأبيها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وهي تبكي لفراق امها وتقول : اين أمّي ؟ فنزل عليه جبرائيل (عليه السلام) فقال: "**قل لفاطمة إن الله تعالى بنى لأُمك بيتاً في الجنة من قصب لانصب فيه ولا صخب**"[٤].

وقدم علي بن أبي طالب (عليه السلام) بفاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)وذلك قبل نكاحه إيّاها، وكان يسير الليل ويكمن النّهار حتى قدم فنزل مع رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) ثم زوجها من علي (عليه السلام) بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، فلمّا زوّجها عليّاً قالوا في ذلك، فقال رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم): "**ما أنا زوّجته ولكن الله زوّجه**"[٥].

وذكر اليعقوبي الهجوم على دار فاطمة الزهراء عليها السلام بقوله: وبلغ ابا بكر وعمر ان جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب(عليه السلام) في منزل فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار، وخرج علي(عليه السلام) ومعه السيف، فلقيه عمر فصارعه عمر فصرعه وكسر سيفه ، ودخلوا الدار فخرجت فاطمة (علها السلام)، فقالت:

---

[١] ابن الأثير، أسد الغابة، ج٧/ص٢١٦.

[٢] الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٢/ص٢٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ص١٢٠.

[٣] المصر نفسه، ج٢/ص٤٢.

[٤] تاريخ اليعقوبي، ج١/ص٣٥٤.

[٥] المصدر نفسه، ج١/ص٣٦٠-٣٦١.

والله لتخرجنّ أو لأكشفن شعري ولأعجنّ إلى الله ! فخرجوا وخرج من كان في الدار[١].

وروى ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) الهجوم على دار فاطمة (عليها السلام) لكن بشيء من التفصيل ومن جملة ما قال: "**إن أبا بكر رضي الله عنه تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده. لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفصٍ إن فيها فاطمة؟ فقال: وإنْ ... فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم...**"[٢]. وعلى ما يبدوا ان الهجوم على دار فاطمة عليها السلام حقيقة ثابتة بدليل تصريح ابا بكر في مرضه وندمه على ما فعل عندما قال: "**ليتني لم افتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال، ولو كان أغلق على حرب**"[٣].

يقول اليعقوبي واتت فاطمة(عليها السلام) ابنة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) تطالب ميراثها من ابيها، فقال لها: قال رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم): إنا معشر الانبياء لا نُورث ما تركناه صدقة، فقالت: أفي الله أن ترث أباك ولا ارث أبي ؟ أما قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): المرءُ يحفظ ولده ؟ فبكى أبو بكر بكاءً شديداً[٤].

وكان بعض نساء رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أتينها في مرضها فقلن:" **يا بنت رسول الله! صيّري لنا في حضور غسلك حظاً! قالت: أتردن تقلن فيّ كما قلتن في أمي؟ لا حاجة لي في حضوركنّ**"، ودخل إليها في مرضها نساء رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) وغيرهن من نساء قريش فقلن: كيف أنت؟ قالت: أجدني والله كارهة لدنياكم، مسرورة لفراقكم، ألقى الله ورسوله بحسرات منكنّ، فما حفظ لي الحقّ ولا رُعيت مني الذمة، ولا قُبلت الوصية، ولا عُرفت الحرمة[٥].

اوصت (عليها السلام) علياً زوجها أن يغسلها وأعانته أسماء بنت عميس، وكانت تخدمها وتقوم عليها، قالت: "**ألا ترين إلى ما بلغت ؟ أ فأحمل على سرير ظاهراً؟ قالت: لا لعمري، يا بنت رسول الله، ولكني أصنع لك شيئاً كما رأيته يُصنع بالحبشة. قالت: فأرينيه! فأرسلت إلى جرائد رطبة فقطعتها، ثمّ جعلتها على السرير نعشاً، وهو أول ما كانت النعوش، فتبسمت، وما رأيت متبسمة إلاّ يومئذً**"[٦].

---

[١] المصدر نفسه، ج٢/ص١١.

[٢] الإمامة والسياسة، ج١/ص٣٠.

[٣] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢/ص٢٥.

[٤] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢/ ص١٢. وينظر: ابن سعد، الطبقات، ج١٠/ص٢٨.

[٥] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١/ص٤٤٦.

[٦] المصدر نفسه، ج١/ص٤٤٦.

توفيت عليها السلام بعد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بأربعين ليلة، وقال قوم بسبعين ليلة، وقال أخرون ثلاثين ليلة؛ وقال أخرون ستة أشهر[1].

قائمة مصادر البحث ومراجعه

- ابن الأثير، عزّ الدين الجزري أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت٦٣٠هـ):

١–أسد الغابة، تحقيق: علي محمد، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ـ ١٩٩٤م).

- أصبهاني ابو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد(ت٤٣٠هـ):

٢–حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر، السعادة(مصر ـ ١٩٧٤م).

- باشا، عبد الرحمن رأفت:

٣–صور من حياة الصحابيات، ط٨، دار الأدب الإسلامي(القاهرة ـ ٢٠١١م).

- ذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ):

٤–سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و حسين الأسد، ط١، مؤسسة الرسالة (بيروت١٩٨١م).

- سعد، محمد بن سعد بن منيع(ت٢٣٠هـ):

٥–الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية(بيروت ـ١٩٩٠).

- عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد(ت٣٢٨هـ):

٦– الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجبل(بيروت ـ ١٩٩٢م).

- قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ):

٧–الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق: طه علي شيري، ط١، دار الاضواء(بيروت ـ١٩٩٠م).

- يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح(ت بعد٢٩٢هـ):

٨–تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١، الاعلمي للمطبوعات (بيروت ـ ٢٠١٠م).

[1] المصدر نفسه، ج١/ص٤٤٥.

الأدلة العقلية في الخطبة الفدكية للسيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام)

م.م ميادة فاضل عيسى
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى اله الطيبين الطاهرين ، واصحابه المنتجبين الى يوم الدين.

وبعد ... لا شك في إنّ الكلام الرفيع بين المتكلمين مهما بلغت مكانته وعلا شأنه يحتاج الى أدلة عقلية ، وبراهين فكيف اذا كان الحوار بين شخصين مختلفين في الرأي متنازعين كل احدهما يحتج بالقرآن الكريم والبراهين العقلية ، والثاني يحتج بالسنة النبوية الشريفة ويحاول تغيير الحقائق ويستعمل الادلة الواهية لإقناع الحاضرين فالموقف في هذا المقام يحتاج الى ادلة قوية للرد على الخصم وبيان الحق من الباطل وبالفعل فقد استعملت السيدة الزهراء (ع) اسلوب الاستدلال العقلي اذ ضمنت كلامها بآيات قرآنية حتى لا تترك أدنى شك في تلك القضية . علما أنّي لم اتطرق لحياة السيدة الزهراء(ع) ؛ تجنبا للتكرار أذ لا يخفى على المتلقي حقيقة من هي الزهراء(ع) بل وحتى الأقلام لتعجز عن تعريفها وبيان مكانتها ويكفينا القول بأنّها : روح رسول الله (ص) التي بين جنبيه .

ملخص البحث

تناول هذا البحث موضوعا مهما وهو (الادلة العقلية في الخطبة الفدكية) إنّما وقع اختياري على خطبة فدك ؛ لأنّها من أبرز محطات علم الزهراء(ع) فالزهراء هذه الشخصية العظيمة قد بلغت المكانة العالية من العلم على مستوى معرفة الله سبحانه وتعالى ، فضلا عن المعرفة التاريخية والاجتماعية والقراءة الدقيقة للأحداث قبل بعثة أبيها رسول الله (ص) وبعدها ، فضلا عن معرفتها بالعبادات السماوية والأحكام الشرعية ومن هنا فقد جاءت حجتها قوية رصينة عظيمة ، وادلتها تامة كاملة ، فضلا عن الأسلوب التي امتازت به من أعلى درجات الفصاحة والبلاغة مما جعلها خطبة خالدة الى يوم الدين وتعد أول دليل على مظلومية أهل بيت النبي (عليه وعليهم السلام)وقد قسّمتُ البحث على مقدمة ومبحثين : فأمّا المبحث الأول فتناولتُ فيه اسم الخطبة (فدك) والموقع الجغرافي لفدك ومعاهدة فدك ونص الخطبة ، في حين تناولتُ في المبحث الثاني: الأدلة العقلية والبراهين التي اعتمدت عليها الزهراء(ع) في بيان حقها المسلوب ، ثم اشتملت الخاتمة على ابرز نتائج البحث متلوة بقائمة مصادر البحث.

Abstract

This research dealt with an important topic, which is (the rational evidence in the Fadak sermon), but I chose the Fadak sermon. Because it is one of the most prominent stations of the knowledge of Al-Zahraa (PBUH). Al-Zahraa, this great personality, has reached a high position of knowledge at the level of knowledge of God Almighty, as well as historical and social knowledge and In addition to the method that distinguished it from the highest degrees of eloquence and rhetoric, which made it an immortal sermon until the Day of Judgment, and it is considered the first evidence of the oppression of the people of the Prophet's house (upon him be upon him and upon them be peace). Fadak, the Treaty of Fadak, and the text of the sermon, while in the second topic, I dealt with the mental evidence and proofs that Al-Zahraa

(pbuh) relied on in explaining her usurped right, then the conclusion included the most prominent results of the research, followed by a list of research sources. an accurate reading of events before and after the mission of her father, the Messenger of God (PBUH), as well as her knowledge of heavenly worship and rulings. Hence, its argument is strong, sober and great, and its evidence is complete and complete

المحور الاول- خطبة فدك أسبابها

فدك عبارة عن واحة تقع في شبه الجزيرةِ العربية وتحديداً في المملكة العربية السعودية ، تقع بالقرب من خيبر، في الجزء الجنوبي الغربي من منطقة حائل حيث تتبع إداريا لها، كانت قديما مسكناً لليهود، وقبلهم (العماليق) أحفاد سام بن نوح، وتمت إبادتهم على يد الملك العراقي (نابونيد)، ولكنهم تمكنوا من السيطرة على الواحة بعد عشرة أعوام، وبقوا فيها إلى أن تمكن من السيطرة عليها يهود خيبر. تشتهر فدك بزراعة التمور والقمح، وتقع على مسافة يومان من المدينةِ المنورة.

معاهدة فدك

لقد كان يهود تلك المنطقة يدعمون أعداء الإسلام و يتعاونون معهم، وفي السنة السابعة من الهجرة النبوية المباركة و بعد فتح خيبر بعث النبي (صلى الله عليه وآله) بسرية إلى فدك فأصاب اليهود الرعب، وقاموا على الفور بعقد معاهدة صلح مع الرسول (صلى الله عليه و آله)، مفادها تمليك نصف أراضي فدك للنبي (صلى الله عليه و آله) إلى جانب حق بقائهم على أراضيهم و على أن يدفعوا نصف محاصيلهم الزراعية إلى رسول الله ليتصرف فيها كما يراه، فتم الاتفاق، وكان الجباة يذهبون إلى فدك كل عام و يستلمون النصف المتفق عليه. وكانت تنفق موارد فدك على فقراء بني هاشم وغيرهم من الفقراء. تنقلت فدك بين الكثير من الحكّام طوال التاريخ ، كما أنها صارت في يد أولاد فاطمة في فترات محدودة من التاريخ.

أعلن ابو بكر بُعيد واقعة السقيفة أنّ فدك ليست ملكاً لأحد وانتزعها لمصالحه. فجاءته فاطمة معترضة ووقع نزاع بينهما تذكره المصادر التاريخية والروائية مع اختلاف في التفاصيل. وقيل أنّها طلبت إعادة ملكية فدك إليها فقال أبو بكر أنّه سمع عن النبي(ص) أنّه قال: " لا نورث ما تركنا فهو صدقة " وذهبت بعض المصادر إلى أن أبا بكر نقل عن رسول الله أنّه قال:" نحن معاشر الأنبياء لا نورث[1]" فاحتجت السيدة الزهراء (بأن النبي وهب فدك لها في حياتها وما ورثها. فطلب أبو بكر الشهود لإثبات ذلك فأتت السيدة الزهراء ببعلها أمير المؤمنين وأم أيمن فذعن أبو بكر للواقع وأمر بأن لا يتعرض أحد لفدك. إلا أنّ عمر بن الخطاب لما رأى السيدة الزهراء خارج المجلس مزق الرسالة.

نص الخطبة :

نصت المصادر على الرواية الاتية ((روى عبد الله بنُ الحسن عليه السلام بإسنادِه عن آبائه عليهم السلام أنَّه لَمّا أجْمَعَ أبو بكر عَلى مَنْعِ فاطمةَ عليها السلام فَدَكَ، وبَلَغَها ذلك، لاثَتْ خِمارَها على رأسِها، واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وأَقْبَلَتْ في لُمَةٍ مِنْ حَفَدَتِها ونساءِ قَوْمِها، تَطأ ذُيُولَها، ما تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله، حَتّى

دَخَلَتْ عَلى أَبي بَكْر وَهُو في حَشْدٍ مِنَ المهاجِرين والأَنصارِ وَ غَيْرِهِمْ فَنيطَتْ دونَها مُلاءَةٌ، فَجَلَسَتْ، ثُمَّ أَنَّتْ أَنَّةً أَجْهَشَ القومُ لها بِالْبُكاءِ. فَارْتَجَّ الْمَجلِسُ. ثُمَّ أَمْهَلَتْ هَنِيَّةً حَتَّى إذا سَكَنَ نَشيجُ القومِ، وهَدَأَتْ فَوْرَتُهُمْ، افْتَتَحَتِ الْكَلامَ بِحَمدِ اللهِ وَالثناءِ عليه والصلاةِ على رسولِ الله، فعادَ القومُ في بُكائِهِمْ، فَلَما أَمْسَكُوا عادَتْ فِي كلامِها، فَقَالَتْ عليها السلام:

الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأَها، وَسُبُوغ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلَى الْخَلايِقِ بِإجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أَمْثالِها. وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها. الْمُمْتَنِعُ مِنَ الأبْصارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ. اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهاً عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازاً لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ. وَأَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطَفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُور، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى إتْماماً لأمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ. فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أَدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأَوْثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ. ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيارٍ، ورَغْبَةٍ وَإيثارٍ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ في راحةٍ، قَدْ حُفَّ بالمَلائِكَةِ الأبْرارِ، وَرِضْوانِ الرَّبِّ الغَفارِ، ومُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبّارِ. صلى الله على أبي نبيِّهِ وأَمينِهِ عَلى الوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

ثُمَّ التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أَنْتُمْ عِبادَ الله نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وأُمَناءُ اللهِ عَلى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ المَكْتُوبَةُ. فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق، والصِّيامَ تَثْبيتاً للإخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييداً لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقاً لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزاً لِلإسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصاصَ حِصْناً لِلدِّماءِ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْريضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوازِينِ تَغْييراً

لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السِّرْقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ الله الشِّرْكَ إخلاصاً لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، {فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} وَ أطيعُوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّه (إنَّما يَخْشَى الله مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ)

ثُمَّ قالت: أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً: {لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيم} فَإِنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إلَيْهِ صَلى الله عليه وآله. فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظامِهِمْ، داعِياً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ، حَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الْخِماصِ، وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، {تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ.{

فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، {كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ}، أَوْنَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً في ذاتِ اللّهِ، مُجْتَهِداً في أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللّهِ سيِّدَ أَوْلياءِ اللّهِ، مُشْمِّراً ناصِحاً ، مُجِدّاً كادِحاً . وأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ. فَلَمَّا اخْتارَ اللّهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلِّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين. فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ .ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ اِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ، ابْتِداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، {أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَانَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ.{

فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، {بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً} {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ .{ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا الاّ رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَيَسْلَسَ قِيادُها ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ، وَاطْفاءِ أَنْوارِالدِّينِ الْجَلِيِّ، وَاهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْواً فِي ارْتِغاءٍ، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي الْخَمَرِ وَالْضَّراءِ، وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى مِثْلِ حَزِّ الْمُدى، وَوَخْزِ السِّنانِ فِي الحَشا، وَأَنْتُمْ تزْعُمُونَ ألاّ ارْثَ لَنا، {أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} أَفَلا تَعْلَمُونَ؟ بَلى تَجَلّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنّي ابْنَتُهُ.

أَيُهَا الْمُسْلِمونَ أَأُغْلَبُ عَلى ارْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ! أفي كِتابِ اللّهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، وِلا أرِثَ أبي؟ {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا}، أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ اذْ يَقُولُ: {وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ}، وَقالَ فيمَا اخْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَي بْنِ زَكَرِيّا عليهما السلام اذْ قالَ رَبِّ {هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِياً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ} وَقَالَ: {وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّه} وَقالَ: {يُوصِكُمُ اللّهُ في أوْلادِكُمْ لِلذكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ} وقال: {انْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ بِالْمعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ}. وزَعَمْتُمْ أَلا حِظوَةَ لِي، وَلا إرْثَ مِنْ أبي ولارَحِمَ بَيْنَنَا! أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أخْرَجَ مِنْها أبِي؟ أمْ هَلْ تَقُولونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ، أوَ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟ فَدُونَكَها مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً، تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعَةِ يخسَرُ المبطلون، وَلا يَنْفَعُكُمْ إذْ تَنْدَمُونَ، {وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ{

ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِها نَحْوَ الْأَنْصارِ فَقالَتْ:

يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟ أما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله أبِي يَقُولُ: "اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ"؟ سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما اُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ! أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله؟! فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَاُضِيعَ الْحَرِيمُ، وَاُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكَ وَاللهِ النّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ –جَلَّ ثَناؤُهُ– فِي أَفْنِيَتِكُمْ فِي مُمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ هِتافاً وَصُراخاً وَتِلاوَةً وَإلحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: {وَما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإنْ ماتَ أَو قُتِلَ انقلَبْتُمْ على أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ.{ أيْهاً بَنِي قَيْلَةَ! أاُهْضَمُ تُراثَ أبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الاُمَمَ، وَكافَحْتُمَ الْبُهَمَ، فَلا نَبْرَحُ أو تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ حَتَّى دَارَتْ بِنا رَحَى الإِسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيّامِ، وَخَضَعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نيرانُ الْكُفْرِ، وهَدَأتْ دَعْوَةُ الْهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّينِ؛ فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيمانِ؟ {أَلا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَداؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ{ أَلا قَدْ أرى أنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إلَى الْخَفْضِ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعَيْتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ، {فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ}. ألا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خامَرَتْكُمْ، وَالْغَدْرَةِ التِي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ، وَخَوَرُ الْقَنا، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ. فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، باقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِنارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. فَبِعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}، وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ

يَدَيْ عَذابٍ شَديدٍ، {فَاعْمَلُوا إنّا عامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إنّا مُنْتَظِرُونَ.{

فَأَجابَها أَبُوبَكْرٍ (عَبْدُاللهِ بْنُ عُثْمانَ)، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ، لَقَدْ كانَ أَبُوكِ بالمُؤْمِنِينَ عَطُوفاً كَرِيماً، رَؤُوفاً رَحِيماً، وَعَلَىَ الْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً وَعِقاباً عَظِيماً ؛ فَإِنْ عَزَوْناهُ وَجَدْناهُ أباكِ دُونَ النِّساءِ، وَأَخاً لِبَعْلِكِ دُونَ الْأَخِلاّءِ، آثَرَهُ عَلى كُلِّ حَمِيمٍ، وَساعَدَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ، لا يُحِبُّكُمْ إلّا كُلُّ سَعِيدٍ، وَلا يُبْغِضُكُمْ إلّا كُلُّ شَقِيٍّ؛ فَأَنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله الطَّيِّبُونَ، وَالْخِيَرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ، عَلَى الْخَيْرِ أَدِلَّتُنا، وَإِلَى الْجَنَّةِ مَسالِكُنا، وَأَنْتِ –يا خَيْرَةَ النِّساءِ وَابْنَةَ خَيْرِ الْأَنْبِياءِ– صادِقَةٌ فِي قَوْلِكَ، سابِقَةٌ فِي وُفُورِ عَقْلِكِ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكِ، وَلا مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ، وَوَاللهِ، ما عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله يَقُولُ: ((نَحْنُ مَعاشِرَ الْأَنْبِياءِ لا نُوَرِّثُ ذَهَباً وَلا فِضَّةً وَلا داراً وَلا عِقاراً، وَإنَّما نُوَرِّثُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ، وَما كانَ لَنا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوَلِيِّ الْأَمْرِ بَعْدَنا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ)). وَقَدْ جَعَلْنا ما حاوَلْتِهِ فِي الكُراعِ وَالسِّلاحِ يُقابِلُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَيُجاهِدُونَ الْكُفّارَ، وَيُجالِدُونَ الْمَرَدَةَ ثُمَّ الْفُجّارَ، وَذلِكَ بِإِجْماعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ أَتَفَرَّدْ بِهِ وَحْدِي، وَلَمْ أَسْتَبِدَّ بِما كانَ الرَّأْيُ فِيهِ عِنْدِي. وَهذِهِ حالي، وَمالي هِيَ لَكِ وَبَيْنَ يَدَيْكِ، لانَزْوِي عَنْكِ وَلا نَدَّخِرُ دُونَكِ، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ أُمَّةِ أَبِيكِ، وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكِ، لا يُدْفَعُ ما لَكِ مِنْ فَضْلِكِ، وَلا يُوضَعُ مِنْ فَرْعِكِ وَأَصْلِكِ؛ حُكْمُكِ نافِذٌ فِيما مَلَكَتْ يَداي، فَهَلْ تَرينَ أَنْ أُخالِفَ فِي ذلِكِ أباكِ صلّى الله عليه وآله؟

فَقَالَتْ عليها السلام: سُبْحانَ اللهِ! ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآلهِ عَنْ كِتابِ الله صادِفاً، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اْغتِلالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ. هذا كِتابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً، وَناطِقاً فَصْلاً، يَقُولُ: {يَرِثُني وَيَرِثُ مَنْ آلِ يَعْقوبَ} ،{وَوَرِثَ سُلَيْمانَ داوُدَ} فَبَيَّنَ عَزَّ وَجَلَّ فيما وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الأَقْساطِ، وَشَرَّعَ مِنَ الفَرايِضِ وَالميراثِ، وَأَباحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرانِ وَالإِناثِ ما أَزاحَ عِلَّةَ المُبْطِلِينَ، وأَزالَ التَّظَنّي وَالشُّبُهاتِ في الغابِرِينَ، كَلاّ {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُم أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَميلٌ وَاللهُ المُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفونَ.{

فَقالَ أَبو بَكْرٍ: صَدَقَ اللهُ وَرَسولُهُ، وَصَدَقَتِ ابْنَتُهُ؛ أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صوابَكِ، وَلا أُنْكِرُ خِطابَكِ هؤلاءِ المُسْلِمونَ بَيْنِيَ وبَيْنَكِ، قَلَّدوني ما تَقَلَّدْتُ، وَباتِّفاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ ما أَخَذْتُ غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدٍّ وَلا مُسْتَأْثِرٍ، وهُمْ بِذلِكَ شُهودٌ. فَالتَفَتَتْ فاطِمَةُ عَلَيْها السَّلام وَقالَتْ: مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ {أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍهِم أَقْفالُها} كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلاً، وَغِبَّهُ وَبيلاً إذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ، {وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تَكونوا تَحْتَسِبونَ} وَ {خَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلونَ.{

المحور الثاني- الادلة العقلية في الخطبة (المضامين)

تعد هذه الخطبة من خطب السيدة الزهراء (ع) المشهورة إذ اشتملت على أركان الخطاب الأساسية كافة المتضمنة (المتكلم ، والمخاطَب –المتلقي– والرسالة التي تحاول ايصالها للآخرين) وكذلك حققت الأسس الزمانية والمكانية لإلقائها على الناس ، وقد يرى بعضهم ان هذه الخطبة هي خطبة ناجحة وناجعة لتحقيق اهداف حملة المبادئ الذين يريدون ايجاد الوعي في النفوس لجلب القلوب اليهم . لقد اختارت السيدة الزهراء المكان والزمان

المناسبين للخطبة اذ اختارت مسجد رسول الله (ص) لأنه يمثل المركز الاسلامي آنذاك ولم تذهب الى بيت أبي بكر وتبدي الحوار معه ولعلها اختارت مسجد رسول الله(ص)؛ لأنّها ارادت أن تلقي الحجة عليه في المسجد لكي تذكره بآيات الله سبحان وتعالى ومكانتها من الرسول، وكذلك اختارت الزمان المناسب وقت اجتماع الناس في المسجد على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين والأنصار وكذلك خروجها مع مجموعة من النساء ارادت ان تؤكد للعالم ان المرأة تستطيع أن تطالب بحقوقها–سيما حقوق مغصوبة– وتبين مظلوميتها امام الملأ. خروج الزهراء (ع) مع ما تحمله من حزن وكبت وألم بانتزاع حقها المسلوب أمام عينيها وممن؟ من أحد أصحاب رسول الله (ص) الذي كان رفيقه في دربه وحياته، ومع الأسس والأسباب التي اختارتها للخطبة جعلت منها خطبة منظمة، منسّقة بعيدة عن الاضراب في الكلام، ومنزهة عن المغالطة، بل كل ما قالته في تلك الخطبة إنما ينمّ عن عظمتها وشخصيتها، ومكانتها ، وعصمتها. وتعد هذه الخطبة من الخطب الخالدة التي تعبر عن الحق المغصوب والظلم الشنيع الذي حلّ بأهل البيت (ع) وحلّ بالسيدة الزهراء بعد وفاة أبيها (ص) بفترة وجيزة، ونحن لا نقول هذا من باب التعصب والهوى وإنما كل المصادر التاريخية والإسلامية على اختلاف طبقاتها ومللها قد ذكرت هذا الكلام.

في الحقيقة ان المتمعن بكلام السيدة الزهراء(ع) ولا سيما في هذه الخطبة قد يصل الى الذهول من هول ما وقع على الزهراء(ع) فلو جئنا الى أركان الكلام : اولا المتكلم هنا سيدتنا الزهراء(ع) وهي ابنة النبي وربيبة الوحي زوج امام الفصاحة وسيد البلاغة، ام الأئمة وحجة الله على خلقه من الأولين والآخرين فهكذا شخصية كيف يصدر منها الخطاب؟ الركن الثاني: المتلقي (المخاطَبين) اذ ضم المسجد كثير من الحاضرين على اختلاف طبقاتهم منهم المهاجرين والأنصار والنساء والرجال، العالم والجاهل، الكبير والصغير، والمتلقي الرئيس هنا هو ابو بكر، وربما ضم ايضا العدو والموالي.. والركن الثالث: الخطاب–الرسالة– التي حاولت مولاتنا ايصالها الى المتلقين ولعل من أهم الركائز التي قامت عليها الخطبة والرسالة التي حاولت ايصالها هي الاحتجاج على ابي بكر في منع حقها من فدك وسلب ذلك الحق علنا وبيان الادلة العقلية للخصم ببيان حقها في فدك وما وقع عليها من ظلم ونزع الحقوق وايضا اعلام الحاضرين بحقها المسلوب والقاء الحجة وبيان الحق من الباطل.

وهنا يأتي السؤال المهم على ماذا اعتمدت فاطمة الزهراء (ع) في بيان حقها المسلوب، وكيف كانت تناولها للأدلة العقلية والبراهين على بيان الحقيقة ولاسيما وان الشخص المقابل يحتج بقول الرسول(ص) لإبعادها عن فدك وورث فدك؟ ولاشك في ان الحوار القائم بين شخصين مختلفين في الرأي او متخاصمين مهما بلغ شأنه وعلا مكانه لابد أن يقوم على ادلة عقلية وبرهانية لإيضاح الحق وبيانه للناس اذ كثير منهم قد يلتبس عليه الامر ولا يميز بين الحق والباطل او بين الخبيث والطيب خاصة اذا كان هناك شخص بمكانة اجتماعية عالية في المجتمع يقنع الاخرين بحجج يرتضيها هو لنفسه فيقتنع بها الاخرون سواء اكانت تلك الحجج واهية وضعيفة ام قوية، فالحوار في هذا المكان والزمان يتطلب حجج قوية للرد على الخصم وادلة عقلية ، ففي هذه الخطبة نجد ان الزهراء(ع) قد استعملت اسلوب الاحتجاج القوي ومتسلحة بالحجة الواضحة والبرهان القاطع، والدليل المقنع.

وقبل الولوج في الخطبة وادلتها ينبغي علينا ان نقف على نقطة مهمة الا وهي الرواية المنقولة بالإجماع عن الفريقين ان الزهراء(ع) عندما حضرت المجلس وأرادت أن تلقي خطبتها أنّت أنّة اجهش لها القوم بالبكاء، فارتجّ

المجلس، ثم امهلت هنيئة، حتى اذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم ، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله(ص) فعاد القوم في بكائهم ، فلما امسكوا عادت . قد يسأل سائل لماذا قبل أن تفتتح الخطبة أنّت هذه الأنة التي اجهش لعا القوم بالبكاء ..ومن العجز ان يجيب احد على هكذا سؤال اذ لا نستطيع تصور درجة الحزن في نفس مولاتنا والالم وحرقة القلب ولماذا أنّت في هذا الموضع بالذات دون غيره، ربما لسبب واضح هو مدى قسوة المجتمع عليها بعد ارتدادهم عن ابيها رسول الله(ص) وانقلابهم عليه، وتغيير أفكار الناس، وسلب حقها دون مراعاة مكانتها من رسول الله(ص) .

أدلة الخطبة :

افتتحت السيدة الزهراء(ع) خطبتها بحمد الله والثناء عليه وبيان قدرته وحكمته وتوحيد الله وان افتتاح الكلام بحمد الله والثناء عليه والتوحيد يعد من اهم مقومات الكلام عامة والخطاب الادبي خاصة ، لما يعطيه من قوة استدلال الهية ، ثم ذكرت النبوة أي نبوة ابيها محمد (ص) وبيان رسالته وبيان حالة الامم في العصر الجاهلي قبل بعثة الرسول الأعظم(ع) وبعده، ثم التفتت الى اهل المجلس وبدأت بذكر الأدلة وهي : الحديث عن القران وبصائره واسراره العظيمة وبراهينه الكافية، ثم بيان فلسفة الاحكام والشرائع السماوية التي تشتمل على (الايمان، والصلاة، والحج، والعدل، وبر الوالدين، والحلال والحرام)، ثم دخلت في صلب الموضوع بعد تلك المقدمات بخطابها للحاضرين بقولها: (ايها الناس، اعلموا اني فاطمة وابي محمد (ص)....من المؤكد ان هذه الجملة بحد ذاتها هي خير دليل وبرهان على تعريف نفسها للحضور وانها ابنة الرسول (ص) لكي يعلموا ان المتكلم الذي امامهم المظلوم هو فاطمة بنت محمد بنت الرسالة السماوية ومع عظيم مكانتها الا انها ظلمت وحرمت حقها وعاشت مضطهدة في قوم ابيها رسول الله (ص) بعد وفاته، ومن جل المصائب التي بينتها مولاتنا هي الفتنة التي وقعت في قوم ابيها بعد وفاته والنفاق الكبير الذي عم على المجتمع، بعد تسلسل الحديث عن الفتنة الكبيرة التي حلت على الامة والنفاق الذي طال المسلمين وجعلهم ينقسمون بعد وفاة الرسول بفترة وجيزة جدا شرعت تتحدث عن اهم قضية الا وهي الارث واعظم ما يميز خطبتها انها تتضمن آيات قرآنية لتعضيد كلامها وبيان الحجة القوية واقناع الخاطئين وتذكيرهم بكتاب الله الذي نبذوه وراء ظهورهم حال وفاة الرسول (ص)، نلاحظ توجيه الخطاب الى ابن أبي قحافة (ابو بكر) والقاء الحجة عليه في الإرث وبيان المفارقات بين الطرفين فكيف يمنع الارث عنها، اذ يعد هذا تلاعبا بأحكام الله سبحانه وتعالى وتحريفا للقران الكريم.

ثم في خطابها للأنصار الحاضرين وبيان مكانتها من الرسول (ص) وتذكيرهم بأحوالهم تتخذ اسلوب التذكير ببطولاتهم السابقة وكفاحهم، وبينت ان هذا الادبار عن الحق والتغافل عنه سيقود حتما الى العار وغضب الجبار وهذا دليل برهاني واضح على الجزاء الذي يناله الانسان نتيجة اغفاله واعراضه عن الحق مع علمه التام بمكانة السيدة الزهراء(ع) نجد في هذه الخطبة كثيرا من الاحداث وبيان حال الامة التي انقلبت على اعقابها بعد وفاة رسولها الاعظم اذ تاه الناس في ضلالة حالكة تقودهم الى التهلكة ، وفي جواب ابي بكر عليها لاحظنا جانبين فأمّا الاول فهو افتتاح كلامه بجملة (يا بنت رسول الله ....) هذا يدل على مدى ظلمه للزهراء وسلب حقها على الرغم من معرفة مكانتها من ابيها ومن قومها، وأما الأمر الآخر فهو محاولة ابي بكر الابتعاد عن أدلة القران الكريم بل غير أدلة

السنة النبوية وقدم دليلا على منع الإرث بما يوافق رأيه هو فقط وحاول أن يعضد كلامه بدليل إجماع المسلمين وموافقتهم لرأيه وهذه حيلة اخرى لإقناع الأخر بنسبة الحق اليه لا لغيره، والذي يتمعن بجواب ابي بكر الاخير (هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم اخذت ما اخذت) يجد دليل الاجماع على الباطل واضحا وضوح الشمس ، نجد اجماع واتفاق على سلب الحق من الزهراء (ع) وتكالب القوم عليها، وانقلابهم بعد وفاة الرسول(ص)، ولا نستطيع تصور حجم الفتنة التي اعمت اعين الناس حتى يصلون الى هذه المرحلة وربما هؤلاء القوم قد اجتمعوا ووافقوه الرأي على خوف منه او تحت التهديد المباشر مثلما يحدث الان من تهديد السلطات الدكتاتورية للشعب حتى يلسب السلطان الجائر الحق ويضطهد دون رادع. اذا نصل من هذا الى المفارقات الواضحة بين الطرفين بين ادلة الحق وادلة الضلالة، بين الادلة الساطعة والادلة الواهية .

الخاتمة

بعد الخوض في هذه الخطبة العظيمة الشأن ، العالية المقام قد توصل البحث الى النتائج الآتية :

– إن السيدة فاطمة الزهراء(ع) ليست كغيرها من النساء ، إذ انفردت في علمها ومعرفتها ، وسعة ادراكها وهي سيدة نساء العالمين ، بل سيدة المخلوقين من الجن والإنس، وأثبتت (ع) أنّها من دعاة السلام والمدافعين عن الإسلام كما أكدت على ردء الفتنة وقتل النفاق الذي حل على المجتمع بعد وفاة الرسول الأعظم (ص) .

– دعت المسلمين الى التمسك بكلام الله (القرآن الكريم) والرجوع الى السنة النبوية الصحيحة وعدم تغيير الحقائق وعدم تحريف مضامين أحاديث الرسول الأعظم (ص)، وأكدت على أنّ الابتعاد عن القرآن الكريم ونهج الرسول الأعظم(ع) حتما سيؤدي الى الفرقة والضلالة

– اتضح لنا من خطبتها أنّها متفقهة في الدين عارفة بالعلوم الإلهية متسلحة بالأدلة والبراهين، وخاضت موضوعات فقهية إلهية وأدلة تنمّ عن سعة ادراكها واحاطتها بعلم الأولين والآخرين .

– كذلك أكدت أنّها مؤهلة وقيادية للدين بإثبات حقها المسلوب أمام الحاضرين، وحاولت إقناع الآخر بالأدلة العقلية والبراهين على أحقيتها بفدك فلاحظنا مدى تمسكها بالقرآن الكريم ، وحتى توقظ الحاضرين من هذه الغفلة والفتنة التي اصابت الامة .

– ستظل هذه الخطبة خالدة الى يوم الدين وتبين مدى مظلومية أهل البيت (عليهم السلام)

قائمة بعض مصادر البحث

– **التتمة في تواريخ الأئمة**، السيد تاج الدين بن علي بن احمد الحسيني العاملي، قسم الدراسات الاسلامية، قم

– **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين الصفدي، دار احياء التراث الادبي، ٢٠٠٠م.

تراجم أعلام النساء، الشيخ محمد حسين الحائري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الاولى .

–**فاطمة من المهد الى اللحد**، ، السيد محمد كاظم القزويني ، مطبعة سيد الشهداء (ع) ، قم ، ايران ، ١٤١٤للهجرة .

مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب محمد بن علي ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف .

بلاغات النساء، ابو الفضل احمد بن ابي طاهر ابن طيفور، تصحيح وشرح: احمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ، القاهرة.

منال الطالب في شرح طوائل الراغب، ابن الأثير ابو السعادات، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي

سيرة السيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام" في المصادر والتفاسير دراسة تحليلية

م.م. علي حسام عبد علي
جامعة واسط / كلية الآداب
الأميل : ahusam@uowasit.edu.iq

كلمات مفتاحية : (فاطمة الزهراء ، سيرة السيدة فاطمة ، الجوانب العلمية والفكرية)
(Scientific and intellectual aspects ، Biography of Lady Fatima ، Fatima Alzahraa)

الملخص :

ان دراسة شخصية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تأتي ضمن حقل الدراسات الاسلامية التي تهتم بدور المرأة المسلمة، والدراسات التي تناولت حياة أهل البيت (عليهم السلام) للتعريف بجهودهم في حفظ رسالة الاسلام ومبادئه، وليس هناك أفضل من بنت رسول الله (ﷺ) مثالاً يقتدى به، لاسيما لما حملت تلك الطاهرة من مبادئ سامية قدمتها للبشرية، فضلاً عن علمها الذي وضعته خدمةً للأجيال حتى قيام الساعة، كما كان لها دور مهم في الحفاظ على بيضة الإسلام بعد استشهاد نبي الرحمة والإنسانية محمد (ﷺ) من الاختلافات التي حصلت في الأمة الإسلامية.

The study of the personality of Mrs. Fatima Al-Zahra (peace be upon her) comes within the field of Islamic studies that are concerned with the role of Muslim women, and studies that dealt with the life of Ahl al-Bayt (peace be upon them) to introduce their efforts in preserving the message and principles of Islam, and there is no better example than the daughter of the Messenger of God. Especially when that pure woman carried lofty principles that she presented to humanity, in addition to her knowledge that she laid down for generations to come until the end of the hour, and she also had an important role in preserving the egg of Islam after the martyrdom of the Prophet of mercy and humanity Muhammad (PBUH) from the differences that occurred in the Islamic nation

أولا: اسمها ونسبها وولادتها وإلقابها :

السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي: بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أبن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد أبن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية. فالسيدة (عليها السلام) قرشية من الوالدين[١]. فُضلت (عليها السلام) بخواص ميزتها عن باقي الخلق اجمع، إذ انحدرت من سلالة عريقة ونقية امتلكت الشرف والكرامة والأخلاق الكريمة، فوالدها رسولاً الله (ﷺ) على جميع الأنس والجن كافرهم ومؤمنهم[٢]، لاسيما هو سيد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين إذ قال الله تعالى في كتابه العزيز: "**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** "[٣]، فان الله تعالى منح السيدة فاطمة والدان من خيرة خلقة، فوالداها كانت حياتهم كلها فضائل وكرامات وصدق وأمانة، من ثم سُمي والدها النبي بـ(الصادق الأمين) قبل ان يبعث هادياً ونبياً للعالم البشري[٤]، لاسيما والدتها السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام)

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ، ج١/ص٣٧٥ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج١/ص٢٦

(٢) المسعودي، مروج الذهب ، ج١/ص٤٥٠ ؛ ابن حزم ، المحلى ، ج١/ص٨

(٣) الاحزاب ، ايه ٤٠

(٤) ابن اسحاق ، السيرة النبوية ، ج١/ص١

أول من آمن ودعم رسول الله (ﷺ) للنهوض في الدعوة [١] ، فضلاً عن المساهمة المالية الفعالة التي قدمتها لسيد الخلق الرسول الأكرم، لكون الدعوة كانت بأمس الحاجة الى المردود المالي. ولما بشر النبي محمد (ﷺ) بولادة السيدة فاطمة (عليها السلام) قال: "**ريحانة أشمها ورزقها على الله**"[٢]. وقد اختلف المؤرخين في ولادتها (عليها السلام) فهناك من اشار إن ولادتها كانت قبل البعثة النبوية في حين اشار البعض الآخر إن ولادتها بعد البعثة النبوية ومن هذه الآراء:

الرأي الأول: أنها ولدت قبل البعثة واختلف في عدد السنين فقيل خمس[٣]، وقيل ست أو أحدى عشرة سنة[٤].

الرأي الثاني: أنها ولدت بعد البعثة إذ روي أنها ولدت والنبي (ﷺ) كان عمره أحدى وأربعون سنة[٥]، وقيل ولدت في السنة الثانية [٦]، وقيل في السنة الخامسة للبعثة[٧]

ان اختلاف الآراء في تحديد ولادة السيدة الزهراء (عليها السلام) يدعونا في الرجوع الى بطون المصادر والتدقيق والتتبع لسيرة السيدة فاطمة (عليها السلام) فهل ولادتها قبل البعثة ام بعد البعثة؟، وهذا يحتاج الى أدلة تثبت ذلك، لكون هذا الأمر اصبح متعارف عند المؤرخين في تدوين السير الشخصية، لاسيما شخصية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فكان موضوع ولادتها (عليها السلام) محط اختلاف بين المؤرخين الأوائل وانعكس هذا الاختلاف على المؤلفين المعاصرين ، فاخذ كل مؤلف كتب عن مولدها الشريف الجمع بين الروايات ويحاول التوصل إلى تاريخ ولادتها الصحيح ويعطي الأسباب التي دفعته لاختيار هذا التاريخ بالتحديد، وأيضا الأسباب التي دفعته إلى استبعاد أو رفض بعض الروايات ، وبعضهم من درس ولادتها بصورة سطحية ووضع الرأي الذي أعتقد انه الصحيح دون الدخول في تفاصيل هذا الموضوع.

يبدو أن الرأي الذي قال: ولادتها كانت قبل البعثة بخمس سنوات وقريش تبني الكعبة استند لما ذكر الديار بكري نقلاً عن (ذخائر العقبى): "**كانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبني الكعبة وولدت الحسن ولها احد عشر سنة بعد الهجرة بثلاث سنين** " [٨]، فان عمرها سنة ثلاث للهجرة واحد وعشرون سنة وليس احد عشر مما ينفي صحة هذه الرواية . وهذا الرأي يتعارض مع الروايات التي ذكرت خلقها وتسميتها بأمر من الله سبحانه وتعالى ، اذ ذكر ان الله خلق نورها قبل ان يخلق الأرض والسماء إذ قال رسول الله (ﷺ) : " **أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله (عز وجل)**

---

(١) القاضي النعمان ، شرح الاخبار ، ج ١ / ص ١٢٠ ؛ الروحي القيرواني ، بلغة الظرفاء ، ص٨ ؛ أبن خلدون ، تاريخ أبن خلدون ، ج ٢ / ص ٤١٠ .

(٢) ابن عبد ربة ، العقد الفريد ، ج١/ص٢٣٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٩٠/ص١٠١

(٣) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٤/ص٢٤١

(٤) ابن عبد البر ، الإستيعاب ، ج٤/ص٣٨٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٨٩٣ ؛ المقريزي ، أمتاع الأسماع ، ج ٥ / ص ٣٥١ .

(٦) الطوسي ، مصباح المتهجد ، ص ٧٩٣ .

(٧) الكليني، الكافي، ج١/ ص٤٥٧ ؛ أبن الفتال، روضة الواعظين، ص١٤٣ ؛ المجلسي، مرآة العقول ، ج ٥ / ص ٣١١ .

(٨) تاريخ الخميس، ج١/ص٢٧٧

آدم بألفي عام فلما خلق الله (عز وجل) آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس"[١] ، **فقال الله تبارك وتعالى: (أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ)**[٢]، كما ان أمر مهم يثبت ولادة السيدة الزهراء بعد البعث ما روي عن رسول الله (ﷺ) قال: "**لما عرج بيَّ الى السماء اخذ بيدي جبرائيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي ، فلما أهبطت الى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة (عليها السلام) ففاطمة حوراء أنسية وكلما اشتقت الى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة(عليها السلام)**"[٣] من ثم ان ليلة الاسراء والمعراج التي عرج بها الرسول (ﷺ) الى السماء كانت بعد البعثة. كما ان هناك رواية اخرى تثبت ولادة السيدة الزهراء (عليها السلام) بعد البعثة النبوية، إذ ان النبي (ﷺ) قال : جاءني جبرائيل بتفاحة من تفاح الجنة وقال: "**إن الله أهدى إليك تفاحة من الجنة... ثم قال : يا محمد كلها ، قلت: حبيبي جبرئيل هدية ربي تؤكل؟ قال: نعم قد أمرت بأكلها فأفلقتها فرأيت منها نورا ساطعا فرعت من ذلك النور قال: كل فان ذلك نور المنصورة فاطمة . قلت: يا جبرئيل ومن المنصورة ؟ قال: جارية تخرج من صلبك اسمها في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة**"[٤].

اما بخصوص أسمائها (عليها السلام) إذ اشار الشيخ الصدوق الى عدة اسماء **(فاطمة، الزهراء، البتول، المحدثة، الطاهرة، المباركة، الراضية، المرضية، الزكية)** [٥]، وكل تسمية لها سبب.

١– **فاطمة** : وجاءت هذه التسمية من الله عز وجل، إذ أوحى إلى نبيه (ﷺ) " **يا محمد إني أنا الله لا اله ألا أنا فاطر السموات والأرض وهبت لأبنتك أسما من أسمائي فسميتها فاطمة ، وانا فاطر كل شي**"[٦]، كما ان هناك رواية مسندة أخرى يرويها لنا المجلسي قوله: "**عن يحيى عن جامع بن أحمد عن علي بن الحسن بن العباس عن إبراهيم بن محمد الثعالبي عن يعقوب بن أحمد السري عن محمد بن عبد الله بن محمد عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن الرضا عن آبائه ع قال قال رسول الله ص إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها وفطم من أحبها من النار**"[٧]، وقيل أيضاً جاءت التسمية عن طريق إيحاء على هيأة ملك من الله تعالى على لسان نبيه على حد قول صاحب كتاب (العلل والشرائع) قوله: "**حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله قال حدثنا محمد بن يحيى العطار عن محمد بن الحسين عن محمد بن صالح بن عقبة عن يزيد بن عبد الملك عن أبي جعفر ع قال لما ولدت فاطمة ع أوحى الله عز وجل إلى ملك فأنطق به لسان محمد فسماها فاطمة ثم قال إني فطمتك بالعلم**

---

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج١١/ ص١٤٢

(٢) ص ، ايه ٧٥

(٣) المجلسي ، بحار اللانوار ، ج١٨/ص٣٥١

(٤) المجلسي ، بحار الانوار ، ج٤/ص٣٤ ؛ ابراهيم الكوفي ، تفسير الكوفي ، ج١/ص٣٢

(٥) علل الشرائع ، ج١/ص١٧٨

(٦) الحسيني ، تأويل الآيات ، ج ٢/ ص ٦٢٤ ؛ البحراني ، البرهان ، ج ٥ / ص ١٨٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٤/ ص ٣٢٤؛ القمي المشهدي، تفسير كنز الدقائق،ج ١٢/ص ٤٧٤.

(٧) بحار الانوار ، ج٦٥/ص١٣٣

وفطمتك عن الطمث ثم قال أبو جعفر ع والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمث بالميثاق"[١] .

وهناك رأي اخر عند المؤرخ ابن خلكان (ت٦٨١هـ) حول التسمية بهذا الأسم قوله : " **كنت ببغداد فقال لي محمد بن منده بن مهريزد: هل لك أن ادخلك على محمد بن علي الرضا فقلت: نعم، قال: فأدخلني عليه، فسلمنا وجلسنا، فقال له: حديث رسول الله (ﷺ) أن فاطمة رضي الله عنها أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار**"[٢] .

تعقيب: لو نظرنا الى تعدد الآراء بين المؤرخين وأن اختلفوا في الأقوال، إلا إن كل التفاسير والتأويلات لهذه التسمية كانت تصب عن الإرادة الإلهية في فطم ابنتة الرسول ومحبيها من النار ، لاسيما فأننا نتوصل إلى ان هذا الاسم هو من اختيار وبأمر من الباري (عز وجل)، وهذا ما يفسر اهتمام النبي والأئمة (عليهم السلام) بهذا الاسم ، إذ رويّ عن أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) انه قال إذا سمى احد أبنته فاطمة فلا تسبها ولا تلعنها ولا تضربها [٣] .

٢– الزهراء: يأتي معنى زهراء هو تأنيث الأزهر، أي النير المشرق من الألوان وأراد به إشراق نور أيمانها وأضاءته على أيمان غيرها [٤]، ويعد هذا اللقب من هو الأشهر عند السيدة فاطمة (عليها السلام)، لاسيما جاء هذا اللقب لعدة اسباب منها: "رويّ " **ان عليا اخذ شيئا من الشعير من يهودي ورهنه بذلك مرطا** [٥] **لفاطمة فأخذه اليهودي ووضعه في بيت من داره فلما مسى بعث زوجته إلى ذلك البيت لتأخذ منه متاعا لهم فيه، فتحت الباب وان في البيت مصباحا قد أضاءت الدار به كأنه زهرة السماء أو زهرة الروضة الفناء فأخبرت زوجها بذلك... فذهب الرجل إلى قرابته والمرأة إلى قرابتها فاستحضراهم فلما رأوا ذلك اسلموا كلهم**" [٦]، كما إن هناك رواية أخرى تذكر عن سبب تسمية فاطمة بالزاهراء قيل : " **كان أبوها يشم رأسها وصدرها ويقول (عليه السلام) أجد رائحة زهر الجنة منها وهي زهراء تشبه أباها في الخلق والخلق والحسن والجمال**"[٧]، كما ورويّ عن الإمام الحسين (عليه السلام) قال: "**لأنها كانت تزهر لأمير المؤمنين (عليه السلام) في النهار ثلاث مرات : في الصباح تزهر بنور البياض وعند الزوال تزهر وجهها بنور الصفرة وعند الغروب بنور احمر وفي كل مرة يأتي الناس إلى النبي (ﷺ) فيبعثهم إلى بيت فاطمة (عليها السلام) فيعلمون ان هذه الأنوار من فاطمة (عليها السلام)**"[٨]، لم تكن هذه الرواية الوحيدة التي نقلت عن الإمام الحسين (عليه السلام) فقد روي انه قال: "**لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء**

---

(١) الشيخ الصدوق ، ج١/١٧٩

(٢) وفيات الأعيان ، ج٤/ص١٧٥

(٣) عبدالله الجزائري ، المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ . ينظر : الكليني ، الكافي ، ج٦ / ص ٤٩ ؛ الطوسي، تهذيب الأحكام ، ج ١٢ / ص ١١٢ ؛ رغد ، السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في المصنفات المغربية الأندلسية – دراسة تاريخية ، ص١٣

(٤) أبن الأثير ، منال الطالب ، ج ٢ / ص ٥٠٨ .

(٥) مرط : رداء من الصوف أو الخز او الكتان . الفراهيدي ، العين ، ج ٧ / ص ٤٢٧ .

(٦) مجهول ، ألقاب الرسول وعترته ، ص ٤٠

(٧) المصدر نفسه والصفحة

(٨) الصدوق، علل الشرائع، ج١/ ص١٨٠–١٨١؛ الكجوري، الخصائص الفاطمية، ج١ / ص ٢٠٧) الشاهرودي، مستدرك، ج٤ / ص ٣٨٢

كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض"[١] .

٣– **البتول:** الحق، وتبتله قطعته، والتبتل الانقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى، فالبتول هي المنقطعة إلى الله (عز وجل) عن الدنيا[٢]، وجاءت هذه التسمية منها "**سأل النبي (ﷺ) عن سبب تسميته مريم بالبتول؟ وفاطمة بالبتول ؟ فقال: (ﷺ)" البتول التي لم تر حمرة قط أي لم تحض فان الحيض مكروه في بنات الأنبياء**"[٣] ، وهناك تفسير آخر قيل: " **أنها (عليها السلام) بتلت نفسها على المحظورات والمكروهات عقلا وشرعا فتبتلت وانقطعت إلى طاعة الله وعبادته علما وعملا وتبل الحيض والاستحاضة والنفاس عنها**"[٤] .

٤–**المحدثة:** ويأتي تأويل هذه التسمية لما جاء عن لسان الإمام الصادق (عليه السلام) قوله "**أنما سميت فاطمة (عليها السلام) محدثة ، لان الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول:يا فاطمة ان الله اصطفاك وطهرك ،واصطفاك على نساء العالمين يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي، واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها**" [٥] .

٥– **الطاهرة:** وجاء تفسير هذه التسمية "**كانت من الذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهير**"[٦]

٦– الكوثر: ذكرت في قوله تعالى: "**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**"[٧].

كما إن لها (عليها السلام) لها عدة ألقاب اشار القرطبي (ت٦٧١هـ) منها (**العليمة والعالمة والحكيمة والحليمة والتقية والنقية وحبيبة أبيها والسيدة والزاهدة وحوراء أنسية وبضعة رسول الله وشجنة نبي الله والمظلومة والمضطهدة والشهيدة ومؤنسة خديجة الكبرى في بطنها ام الأئمة ووالدة حجج الله (تع) أمة الله وبنت النبي وزوجة الوصي وسيدة نساء اهل الجنة وسيدة نساء العالمين والأمة البارة والمدفونة بالليل والكاظمة والرؤوفة**)[٨] .

ثانياً : الجانب العلمي والفكري للسيدة فاطمة (عليها السلام)

إنّ الله (عز وجل) فضل وأكرم آل بيت الرسول الأكرم (عليهم السلام) وأدر عليهم من علمه الوفير فكانوا وما زالوا منبعاً للعلم إذ أنزل علمهم على البشرية " **انزل بتأييد رباني وإلهام لدني وتعليم أبوي وإعلام نبوي، وينبغي أن يعلم أن علم الأئمة الطاهرين ليس كعلمنا ولا تعلمهم مثل تعلمنا بحيث يحتاجون إلى زمان طويل وفكر كثير بل كان يكفيهم لكمال ذاتهم ونقاوة صفاتهم وصفاء أذهانهم وقوة أفهامهم أدنى توجه وأقصر زمان لكمال الاتصال**

---

(١) الصدوق ، علل الشرائع، ج ١ / ص ١٨١ ؛ معاني الاخبار ، ص ٦٤

(٢) أبن منظور ، لسان العرب، ج ١١ / ص ٤٢ – ٤٣

(٣) الصدوق، علل الشرائع، ج ١ / ص ١٨١ ؛ معاني الاخبار ، ص ٦٤

(٤) مجهول، ألقاب الرسول وعترته ، ص ٣٩

(٥) الحسيني ، تأويل الآيات، ج ١ / ص ١١١

(٦) مجهول ، ألقاب الرسول وعترته ، ص ٣٩

(٧) الكوثر ، آية ١ – ٣ .

(٨) تفسير القرطبي ، ج ٢٠ / ص ٣٨ – ٤٥ .

بينهم وبين المفيض بل كانوا عالمين أبدا غير جاهلين أصلا في بدء الفطرة وأصل الخلقة، جعلهم الله تعالى أساس الدين وعماد اليقين وأثبت لهم حق الولاية وخص بهم لواء الخلافة ليفئ إليهم القاصرون ويلحق بهم الناقصون، زادهم الله شرفا وتعظيما وجدد لهم توقيرا وتكريما، ثم أراد أن يشير إلى أنه عالم بالحلال والحرام وعارف بجميع الأحكام وبصير بجميع الامور والأسباب لأن كلها في الكتاب يعرفها من نظر إليه وهو في العلم وحيد"[١]، من ثم إن السيدة الزهراء (عبيها السلام) احد اركان آل البيت (عليهم السلام) فكانت خير خلف لوالدها النبي المصطفى (ﷺ) وشهد لها بالعلم الإلهي رسول الله (ﷺ) والأئمة (عليهم السلام) إذ "**روي عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده ع قال قال رسول الله ص أنا ميزان العلم و علي كفتاه والحسن و الحسين حباله وفاطمة علاقته والأئمة من بعدهم يزنون المحبين والمبغضين**"[٢]، والحمد لله الذي جعلنا من المحبين والمخلصين ولم يجعلنا من المبغضين الناصبين الذين عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين. وقوله تعالى "**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إِبْراهِيمَ وآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ**"[٣]، وجاء تفسير الآيه الكريمة، أن آل إبراهيم هم آل محمد تأويل الآيات الظاهرة المعصومون لأن الاصطفاء لا يقع إلا على المعصوم وهو الذي يكون باطنه مثل ظاهره في الطهارة والعصمة وآل محمد من هذا القبيل لا شك ولا ريب[٤]، كما جاءت اقوال الأمة المعصومين الأطهار عن السيدة الزهراء (عليها السلام) إذ اشار الإمام باقر العلوم (عليه السلام) عن لسان رسول الرحمة (ﷺ): "**إني فطمتك بالعلم وفطمتك من الطمث، ثم قال أبوجعفر عليه السلام: والله لقد فطمها الله بالعلم وعن الطمث في الميثاق**"[٥].

أما علمها المكتسب فقد تعلمته من المعلم الأول في الاسلام والدها رسول الله (ﷺ) إذ كانت السيدة تستفسر منه الكثير من الأمور حتى بعد زواجها تزوره ليرفدها بالعلم، فيزودها به أما شفاها كما علمها التسبيح الذي عرف بتسبيح فاطمة (عليها السلام)[٦]، "**يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كلَّه**"[٧]، أو كان مكتوبا كما زودها كتاباً وقال لها: تعلمي ما فيه وكان مكتوب فيه "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت**"[٨] .

ونتج عما كسبت من علم خلفت لنا ما يسميه المؤرخون **(بمسند فاطمة)** وكتب المؤرخون كتب بهذا العنوان جامعين فيه الأحاديث التي نقلتها السيدة عن والدها رسول الله (ﷺ) وبعض من سيرتها معه بالإضافة إلى فضائلها

---

(١) المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ج٣/ص٤٨٩–٤٩٠

(٢) الحسيني ، تأويل الآيات ، ج١/ص٨٥

(٣) آل عمران ، ايه ٣٣

(٤) الطبرسي ، ج٨/ص٦٣

(٥) الكليني ، الكافي ، ج١/ص٦٧٤

(٦) القاضي النعامن ، شرخ الأخبار ، ج٣/ص٦٧–٦٨

(٧) الغزالي ، أحياء علوم الدين ، ج ١ / ص ٣١٤

(٨) الكليني ، الكافي/ ج١/ ٨٩٤؛ ألمجلسي الأول، روضة المتقين، ج ٩/ ص٣٧٢ ؛ الفيض الكاشاني، الوافي، ج٥/ ص٥١٦

وفضائل أهل البيت (عليهم السلام) إذ جمعت المؤلفة (انتصار عبد الواحد العواد) سبعة كتب لمؤرخين مختلفين تحت مسمى مسند فاطمة (عليها السلام) [١] .

كما خلفت السيدة الزهراء (عليها السلام) مصحفاً يعرف **(مصحف فاطمة)** ورد ذكره في العديد من الروايات التاريخية ولم يذكر احد الرواة بأنه رآه وإنما سمعوا عنه من الأئمة (عليهم السلام) لأنه بحوزتهم إذ ان السيدة (عليها السلام) دفعته إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما مضى صار إلى الحسن ، ثم إلى الحسين، ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب الأمر الإمام المهدي (عج)[٢]، مما يدلل ان هذا المصحف انتقل من إمام إلى آخر حتى وصل إلى يد الإمام المهدي (عج) اختلف الرواة في تحديد مصدر هذا المصحف، لذا يتحتم علينا ذكر الاثبات من خلال الروايات الواردة عن الإمة الاطهار (عليهم السلام) .

رويّ عن الإمام أبو جعفر الباقر(عليه السلام) قال: "**فلما أراد الله (عز وجل) أن ينزله عليها، أمر جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوا المصحف فينزلوا به عليها، وذلك في ليلة الجمعة من الثلث الثاني من الليل ، هبطوا به عليها وهي قائمة تصلي، فما زالوا قياما حتى قعدت، فلما فرغت من صلاتها سلموا عليها، وقالوا لها: السلام يقرئك السلام. ووضعوا المصحف في حجرها، فقالت لهم: الله السلام ، ومنه السلام ، وإليه السلام ، وعليكم يا رسل الله السلام. ثم عرجوا إلى السماء، فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه ، حتى أتت على آخره**"[٣] .

كما رويّ عن الإمام الصادق(عليه السلام) انه قال: "**إن الله تعالى لما قبض نبيه (صلى الله عليه وآله) دخل على فاطمة (عليها السلام) من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله (عز وجل) فأرسل الله إليها ملكا يسلي غمها ويحدثها ، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا**"[٤]، وقيل ايضاً خلفت فاطمة مصحفا ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله انزل عليها املاء رسول الله وخط علي (عليه السلام)[٥].

وعلى الرغم من اختلاف الروايات، إلا أنها جميعها يدل على ان ما جاء في هذا المصحف فهو منزل الله (عز وجل) خصيصا للسيدة بعد استشهاد رسول الله (ﷺ) وتوارثه الأئمة من بعدها، إلا إن السؤال ما محتوى هذا المصحف، إذ دكرت الروايات نقلاً عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) منها: "**إن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم قال: إنه لعلم وما هو بذاك**"[٦].

---

(١) السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ص ٥٦٧ – ٥٧٠ .

(٢) الطبري الصغير ، دلائل الإمامة ، ج٨/ص١٠

(٣) المصدر نفسه ص١١

(٤) البحراني ، ج١/ص١٢٤

(٥) الصفار ، بصائر الدرجات ، ص١٧٦

(٦) الكليني ، الكافي ، ج١/ص٣٥٢

هذا وأشار ايضاً الشيخ المفيد قوله: "**وأما مصحف فاطمة ع ففيه ما يكون من حادث وأسماء كل من يملك إلى أن تقوم الساعة**"(١). والجدير بالذكر سأل الإمام عن هذا المصحف وما يحويه من علم فقال : " **أما إنه ليس فيه شئ من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون**"(٢). اما الصحيفة كما تعرف " **وأما (الصحيفة) فهي صحيفة فاطمة (عليها السلام) فإنه أشار بها إلى ذكر الوقائع والفتن والملاحم وما هو كائن إلى يوم القيامة**"(٣). قال: "**فمصحف فاطمة (عليها السلام)... كان جبرئيل (عليه السلام) يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها ، وكان علي (عليه السلام) يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة (عليها السلام)**"(٤).

يتضح من الروايات الواردة ان صحيفة السيدة (عليها السلام) احد معاجز الأئمة (عليهم السلام) وتحتوي على تاريخ الأمم السابقة ومن يحكمون فيها بالإضافة إلى العديد من أسرار الكون لا يعلم خبرها ألا الله (عز وجل) أفشى الله هذه الأسرار للسيدة (عليها السلام) .

قائمة المصادر والمراجع

المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٨ م) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط ٢ ، منشورات دار الهجرة (قم ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م) .
أبن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ، سنة الولادة / سنة الوفاة ٢١٣ ،
السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤف سعد ، الناشر دار الجيل ، سنة النشر ١٤١١مكان النشر بيروت
القاضي النعمان ، أبي حنيف بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي المغربي (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٥ م) .
* الأرجوزة المختارة ، تح : اسماعيل قربان حسين يوناوالا ، ط ١ ، معهد الدراسات الأسلامية جامعة مجيل (كندا ١٩٧٠ م)
* دعائم الاسلام ، تح : اصف بن علي اصفر فيضي ، دار المعارف (القاهرة ، ١٣٨٣ هـ . ١٩٦٣ م)
* شرح الاخبار ، تح : محمد الحسيني الجلالي ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الأسلامي (د م ، ١٤١٤) .
* المجالس والمسيرات ، تح : الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليغلاوي ، ط ١ ، دار المنتظر (بيروت ١٩٩٦ م) .
٤– ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤١ م) . الرازي ، محمد بن عمر فخر الدين (ت٦٠٦هـ/١٢١٠م)
العقد الفريد ، تح : مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م) .
٥– القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م) .
الجامع لأحكام القران (تفسير القرطبي) ، تح : أبو اسحاق ابراهيم اطفيش، دار أحياء التراث العربي (بيروت ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م)
٦– ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٢ م) .
الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ط ١ ، دار الجيل (بيروت ، ١٤١٢ هـ).
المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة– ١٩٩٦)
– المقريزي ، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢ م) .
أمتاع الأسماع بما للنبي (ص) من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد، ط ١، منشورات علي بيضون ـ دار الكتب العلمية (بيروت١٤٢٠هـ– ١٩٩٩
الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م) .
مصباح المتهجد ، ط ١ ، مؤسسة فقه الشيعة (بيروت – لبنان ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م) .

(١) الإرشاد ، ج٢/ص١٨٢

(٢) الكليني ، الكافي ، ج١/ص٣٥٣

(٣) القندوزي ، ينابيع المودة ، ج٣/ص٢٠٠

(٤) الكليني ، الكافي ، ج١/ص٢٤٠–٢٤١ ؛ البحراني ، ينابيع المعاجز ، ج١/ص١٣٠

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤٢ م) .
الأصول في الكافي، تح: علي أكبر الغفاري ، ط ٣ ، دار الكتب الاسلامية (طهران ١٣٦٧ هـ)
النيسابوري ، أبو جعفر محمد بن الحسن الفتال (٥٠٨ هـ / ١١١٥ م)
روضة الواعظين، ط ٢ (قم ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦ م)
ألمجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١ هـ / ١٦٧٠ م) .
بحار الأنوار ، تح : محمد باقر البهبودي وعبد الريان الشيرازي ، ط ٣ ، دار التراث العربي (بيروت ١٣٠٤ هـ . ١٩٨٣)
مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، تصحيح : هاشم الرسولي ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية (د م ١٤٠٤ هـ) .
١٢– ابراهيم الكوفي ، فرات (ت ٣٥٢ هـ / ٩٦٤ م). تفسير فرات الكوفي، تح: محمد كاظم، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر الإسلامي لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي (طهران ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م) .
الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه ألقمي (ت ٣٨١ هـ / ٩٩٢ م).
علل الشرائع، تح : محمد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها (النجف ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م) .
الحسيني ، شرف الدين (ت ٩٦٥هـ / ١٥٥٩ م)
* . تأويل الآيات ، تح : مدرسة الأمام المهدي (عج) ، ط ١ ، مدرسة الأمام المهدي (عج) (قم ١٤٠٧ هـ)
١٥– القمي المشهدي ، محمد بن محمد رضا (ت ١١٢٥ هـ / ١٧١٤ م)
تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تح: حسين دركَاهي، ط١، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الأسلامي (طهران١٤١١ هـ – ١٩٩١ م).
– ابن خلكان، أبو العباس احمد بن محمد (ت٦٨١ هـ/١٢٨٣م) .
وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : أحسان عباس ، دار الثقافة (لبنان د ت) .
– البحراني، هاشم بن سلمان (ت ١١٠٧ هـ/١٦٩٦م) .
ينابيع المعاجز ، مطبعة العلمية – قم ، لا يوجد معلومات
١٨– مجهول ، (ق ٤ هـ) .
ألقاب الرسول وعترته ، مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي (قم ١٤٠٦ هـ) .
١٩– الشاهرودي، علي النمازي (ت ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م).
مستدرك سفينة البحار ، تح : حسن بن علي النمازي ، مؤسسة النشر الأسلامي التابعة لجماعة المدرسين (قم ١٤١٩ هـ)
٢٠– ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ /١٣١٢ م) .
لسان العرب، أدب الحوزة (قم ١٤٠٥ هـ) .
٢١– المازندراني ، محمد صالح (١٠٨١ هـ / ١٦٧١ م) .
شرح أصول الكافي ، تصحيح : علي عاشور ، ط ١ ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م) .
٢٢– الغزالي، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ / ١١١٢ م) .
أحياء علوم الدين ، دار الكتاب العربي ، (بيروت د ت) .
٢٣– الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م) .
بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (ع) ، تح : ميرزا حسن كوجه باغي ، منشورات الأعلمي (طهران ١٤٠٤ هـ)
٢٤– القندوزي، سليمان بن ابراهيم الحنفي (١٢٩٤ هـ / ١٨٧٨ م)
ينابيع المودة لذوي القربى ، تح: سيد علي جمال اشرف الحسيني، ط ١ ، دار أسوة للطباعة والنشر (د م ١٤١٦ هـ) .
٢٥ – رغد كريم عبد الله خلف
السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في المصنفات المغربية الأندلسية–دراسة تاريخية – من القرن (٣ _ ٨ هـ /٩_ ١٤م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الأنسانية / قسم التاريخ

لمسات مضيئة لدور فاطمة الزهراء (عليها السلام) في توجيه الأمة نحو القيم الأخلاقية والاجتماعية في التراث الإسلامي

م.م. جليلة فيصل برغش / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة واسط

jalbadrawi@uowasit.edu.iq

م.م. زينب هادي جابر / كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة واسط

الخلاصة:

أن التطرق لدراسة سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تمثّل الأنموذج الأروع والامثل الذي طبقته الرسالة السماوية للمرأة المسلمة وبمختلف مجالات الحياة سلوكاً ،ومنهجاً قويماً يحتذى به وعلى صعيد حياتها الشخصية (عليها السلام) وبما تحمله بين طياتها من أسرار العظمة الإلهية التي تجسِّدت في كيانها، وعفَّتها ،وزهدها ،وعبادتها هذا من جهة ، اما على صعيد مسيرتها الكريمة في واقع الحياة العامة من جهة أخرى ،إنّ مواقف السيدة الزهراء (ع) بعد وفاة أبيها النبي محمد (ص) كثيرة ،ومتنوعه رغم التحديات والظروف القاهرة التي واجهتها اشتملت على أبعادٍ تربوية واجتماعية خطيرة، لاَ نّها تستوعب قسماً مهماً من الأحداث والمجريات الاجتماعية التي تفاعلت في داخل الساحة الاسلامية التي تمر في أخطر مراحل مسيرتها التاريخية في توعية المجتمع وانتشاله من قيود الجهل والظلام .

Luminous touches of the role of Fatima Al-Zahra (pbuh) in directing the nation towards Moral and social values in the Islamic heritage.

Assistant Lecturer Jalila Faisal Barghash

Assistant teacher Zainab Hadi Jaber

Wasit University - College of Education for Human Sciences

jalbadrawi@uowasit.edu.iq

Praise be to God, the Great, the Beneficent, the Eternal in Benevolence, who bestows upon whomever He wills of His servants the virtues of personalization, so He made Muhammad and his family (peace be upon them) the equivalents of the Qur'an and stars to guide them to the paths of safety on the Day of Judgment.

Conclusion:

That addressing the study of the biography of Lady Fatima Al-Zahra, peace be upon her, represents the most wonderful and ideal model that the heavenly message applied to the Muslim woman and in the various fields of life in behavior, and a correct approach that is emulated and on the level of her personal life (peace be upon her) and what she carries among its folds of the secrets of divine greatness that are embodied in her being, and her chastity Her asceticism and worship on the one hand, as for her honorable path in the reality of public life on the other hand, the positions of Lady Al-Zahra (pbuh) after the death of her father, the Prophet Muhammad (pbuh), are many and varied despite the challenges and compelling circumstances that she faced. Dangerous social, because it absorbs an important part of the events and social processes that interacted within the Islamic arena, which is passing through the most dangerous stages of its historical path in educating society and lifting it from the chains of ignorance and darkness.

دور السيدة الزهراء عليها السلام في توجيه المجتمع نحو الاستقامة:

لم يقتصر دور فاطمة الزهراء (عليها السلام) في إدارة أعمال منزلها وتربية اولادها، ومتطلبات الحياة الزوجية فحسب بل تعداه أن سيدة النساء سجّلت اروع الصفحات المشرقة، وآفاق جديدة للمرأة المسلمة في مجالات الحياة، سواء الاجتماعية، والفكرية، والسياسية، ممّا يتناسب مع واقع المجتمع و التحديات التي عصفت بها(١) أذ يعتبر بيت فاطمة الزهراء (عليها السلام) اشهر المدرس النسائية في الإسلام انذاك، بل وأجلها شأناً، أذ تلجأ إليها النساء من مختلف الأمصار طلباً للعلم والمعرفة، والتفقه في الدين ،كانت السيدة فاطمة (ع) عالمة بمختلف علوم الأرض كيف وهي ابنه خير البرية ابا القاسم محمد (ص) مدينة العلم، كانت تستقبل الناس برحابة صدر لا يعرف الملالة والسأم، فقد كانت تعلّم النساء القراءة والكتابة ،وما يشكل عليهنّ من الأحكام الشرعية والفقهية، كرست كل اوقاتها لتعلم النساء(١).

ومن اهم الروايات التاريخية التي اشارت بهذا الصدد: قال ابو محمد العسكري (ع) بقوله: حضرت امرأة عند السيدة فاطمة الزهراء (ع) فقالت: "**إنّ لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك اسألك**"(٢). فأجابتها فاطمة (ع) عن ذلك، فثنّت فأجابت، ثم ثلّثت إلى أن عشّرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة [٣]، فقالت: لا أشقّ عليك يا ابنة رسول الله فقالت عليها السلام: هاتي وسلي عمّا بدا لك إنّي سمعت أبي يقول: إنّ علماء أُمّتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله ، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور[٤].

وأشار المجلسي قائلاً: روي عن ابي محمد الباقر (ع): "قالت فاطمة عليها السلام في يوماً ما وقد اختصمت إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة، والأُخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها ، فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحاً شديداً(٥).فقالت فاطمة (ع): "**إنّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ من فرحك، وإنّ حزن الشيطان ومردته أشدّ من حزنها**"(٦)، ولم يقتصر دورها (عليها السلام) على تعلم نساء عصرها مختلف علوم الحكمة فحسب، بل تعداه للنظر في حوائج الناس بما عندها من العلم،والمعرفة، واصول الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحل المشكلات الاجتماعية الصعبة وبما رواه ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، واشار الكليني: "**جاء رجل إلى فاطمة بنت النبي (ص) فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترك رسول الله (ص) عندك شيئاً تطرفينيه**"(٧)، فقالت: يا جارية، هاتي تلك الحريرة فطلبتها فلم تجدها، فقالت: "ويحك اطلبيها،

---

(١) حرز الدين، مراقد المعارف ، ص١٨٨ .

(٢) الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج٤، ص٤٥٠ .

(٣) القيومي ، صحيفة الزهراء (ع)، ص٣٧٢.

(٤) الطبرسي ، مستدرك الوسائل ، ج١٧، ص ٣١٧.

(٥) بحار الأنوار ، ج٢، ص ٨ .

(٦) الطبرسي، الاحتجاج ، ص١١ .

(٧)الكافي، ج١، ص٧ .

فانها تعدل عندي حسناً وحسيناً" فطلبتها فإذا هي قد قمّمتها في قمامتها، فإذا فيها: "قال محمد النبي (ص): ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه(١) ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت . إنّ الله يحبّ الخيّر الحليم المتعفّف، ويبغض الفاحش الضنين السؤال الملحف. إنّ الحياء من الإيمان، والايمان في الجنة، وإن الفحش من البذاء، والبذاء في النار(٢).

دور الزهراء (ع) على الصعيد الاجتماعي في عصر النبي محمد (ص) في كتب المؤرخين :

في شأن المفاهيم العقائدية والأخلاقية التي تصدت لتوجيهها نحو صفوف الامة الإسلامية كانت (عليها سلام) تمثل الوحي المتجسد بين الناس اخذ يضربون المثل الاعلى بها، ومن خلال مسيرتها العطرة كانت تلقي على النساء والرجال من جلدتها دروساً في غاية الأهمية بعيدة عن ملذات الحياة والترف في وقت كان المجتمع يعاني التخلف والجهل ،فضلا عن الفقر والحرمان ، مما اشار المجلسي بقوله: كانت تدعو ربها: "**اللهم فرّغني لما خلقتني له ولا تشغلني بما تكفلت لي به اللّهم ذلّل نفسي في نفسي وعظم شأنك في نفسي**"(٣) .

مما اضطلعت به السيدة فاطمة الزهراء (ع) ودورها البطولي في الواقع الاجتماعي أبان عصر ابيها النبي محمد (ص) تعد مثال يقتدى به في السخاء كانت ملجئً للفقراء والمحتاجين ،والسائلين انفقت (ع) في سبيل الله تعلى الكثير مما اعطاها الله من فضله، وتؤثر على نفسها ،كانت تعتق الرقاب وتعين الضعفاء، ذكر ابن شهر اشوب قائلاً: عن ابي هريرة وثوبان انهما قالا: "**كان النبي (ص) يبدأ سفره بفاطمة ويختم بها**"(٤)، وفي رواية السيد العاملي اشار بقوله: "**نزعت فاطمة الزهراء (ع) قلادتها وقرطيها، ومسكتيها، وسواريها ،ونزعت ستر بيته**"(٥)، ، فبعثت به إلى أبيها المصطفى (ص) وقالت "اجعل هذا في سبيل الله"(٦)، فلمّا أتاه قال (ص)" **قد فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ما لآل محمد وللدنيا، فإنّهم خلقوا للآخرة، وخلقت الدنيا لغيرهم**"(٧) .

ذكر المجلسي في مروياته من كرم السيدة فاطمة الزهراء ومساعدتها للمحتاجين ،وحبها للفقراء والمعدمين ووقوفها الى جانبهم في المحن، وجاء ذلك عن مرويات الإمام محمد الباقر (ع) أنّه قال: "**أمر رسول الله (ص) وسلم بذينك السوارين فكسّرا فجعلهما قطعاً، ثمّ دعا أهل الصُفّة وهم قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال**" (٨)، فقسّمه بينهم قطعاً، ثم جعل يدعو الرجل منهم العاري الذي لا يستتر بشيء، وكان ذلك الستر طويلاً ،

(١) المصدر نفسه، الجزء والصفحة .

(٢) الأمين ،اعيان الشيعة، ج٩،ص ١٩٩ .

(٣) بحار الأنوار ، ج٩٢، ص٤٠٩

(٤) مناقب ال ابي طالب ،ج٣، ١٢١ .

(٥) العاملي ،خلفيات كتاب مأساة الزهراء(ع) .

(٦) المجلسي، بحار الانوار ، ج٤٣، ص٨٦.

(٧) الريشهري، اهل البيت في الكتاب والسنة ، ص٤٦.

(٨) بحار الأنوار ، ج٤٢، ص ٨٤.

ليس له عرض ، فجعل يؤزّر الرجل ، فإذا التقيا عليه قطعه حتى قسّمه بينهم أُزراً(١)، ذكر المجلسي بقوله : قال النبي محمد (ص): "**رحم الله فاطمة، ليكسونّها الله بهذا الستر من كسوة الجنة، وليحلّينها بهذين السوارين من حلية الجنة**"(٢) .

وفي صحيفة الإمام الرضا (ع) عن أبائه عن علي بن الحسين (ع) قائلاً: حدثتني أسماء بنت عميس، قالت: كنت عند فاطمة جدتك، إذ دخل رسول الله (ص) وفي عنقها قلادة من ذهب، كان علي بن أبي طالب عليه السلام اشتراها لها من فيءٍ له"(٣) فقال النبي (ص): "**لا يغرّنك الناس أن يقولوا: بنت محمد، وعليك لباس الجبابرة؛ فقطعتها وباعتها ليومها، واشترت بثمنها رقبة فاعتقتها، فسُرّ رسول الله (ص) بذلك**"(٤).

كانت عليها السلام تتصدق بكل ما تملك وتوزعه على المحتاجين والمساكين حتى نال منها الجوع ،وغارت عيناها، وغلبت الصفرة على وجهها الكريم، ولصق بطنها بظهرها، فحظيت بعناية الله سبحانه حيث كثّر الطعام في بيتها، وأنزل عليها رزقاً من السماء كما قدّمنا، وحظيت بعناية أبيها رسول الله (ص) حيث دعا لها بإذهاب الجوع عنها(٥). وكانت (ع) غنية في نفسها قريرة العين بحالها لأنها تولعت بالقيم المعنوية للإسلام التي نادى بها أبوها لقد سمعته يقول لها: "يا فاطمة أصبري على مرارة الدنيا لتفوزي بنعيم الاخرة، وشاهدته لم يملك شيئاً ولم يدخر لنفسه شيئاً من الغنائم كان يتنكر لكل مظاهر الغنى ويواسي المساكين وكان زوجها نسخة طبق الاصل من أبيها لذلك كانت زاهدة في حياتها ولم تحفل بزخارف الدنيا ولهوها ومظاهرها"(٦) .

قائمة المصادر والمراجع :

*العاملي .

١. خلفيات كتاب مأساة فاطمة الزهراء(ع)، ط٥،دار السيرة (١٤٢٢، بيروت).

* ابن شهر اشوب (ت٥٨٨هـ)

٢. مناقب أل ابي طالب، تحقيق لجنة من اساتذة النجف الأشرف ،مطبعة الحيدرية (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م).

* الكليني ،الشيخ(ت ٣٢٩هـ).

٣. الكافي،ط٥،دار الكتب الإسلامية (ايران د.ت) .

* المجلسي (ت ١١١١هـ/ ٢٢٠٨م).

٤ بحار الأنوار ،تحقيق يحيى العايدي الزنجاني مؤسسة الفدك،(بيروت ـ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) .

ثانياً ـ المراجع :

* الأمين ، السيد محسن(ت ١٣٧١هـ)

٥ . أعيان الشيعة، تحقيق :حسن الأمين ،دار المعارف للمطبوعات (بيروت، د.ت) .

*البروجردي

---

(١) البروجردي، جامع احاديث الشيعة ، ج٦، ص ٤٤٧.

(٢) بحار الانوار ، ج٤٣، ص٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ،الجزء والصفحة.

(٤) المرعشي ،شرح إحقاق الحق ، ج١٠، ص٢٨٧ .

(٥) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٣، ص ٣٦٣ .

(٦) بيومي ، السيدة فاطمة الزهراء(ع) ، ص١١١.

٦. جامع احاديث الشيعة (ت ١٣٨٣هـ) المطبعة العلمية (قم، د.ت) .
* الشاهرودي، الشيخ علي النمازي (ت ١٤٥٠هـ).
٧. مستدرك سفينة البحار ،مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين (قم ،د.ت)
* الحلبي (ت ١٠٤٤هـ)
٨. السيرة الحلبية ،دار المعرفة (بيروت، د.ت) .
*حرز الدين ،محمد
٩. مراقد المعارف في تعيين مراقد العلويين والصحابة والتابعين والرواة والعلماء والأدباء والشعراء ،تحقيق: محمد حسين الشيخ ، ط١، انتشارات سعيد
* الأصفهاني ،ميرزا محمد تقي (ت ١٣٤٨هـ).
١٠ـ مكيال المكارم،ط١(مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، ١٤٢١هـ).
* الطبرسي ،ميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ)
١١. الاحتجاج، تعليق السيد محمد باقر، دار النعمان للطباعة والنشر(١٩٦٦م).
*الطبرسي، ميرزا حسين النوري
١٢ـ خاتمة المستدرك،ط١،مطبعة سيد الشهداء (ع) (قم المقدسة، د.ت) .
*القيومي
١٣. صحيفة الزهراء(ع)، جمع :مصادر سيرة النبي محم(ص)،ط١٣٧٣،١،مؤسسة النشر الأسلامي(قم ،د.ت) .
* المرعشي ، السيد(ت ١٤١١هـ).
١٤ـ شرح إحقاق الحق ،تحقيق :السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ،منشورات اية الله العظمى (قم، د.ت).